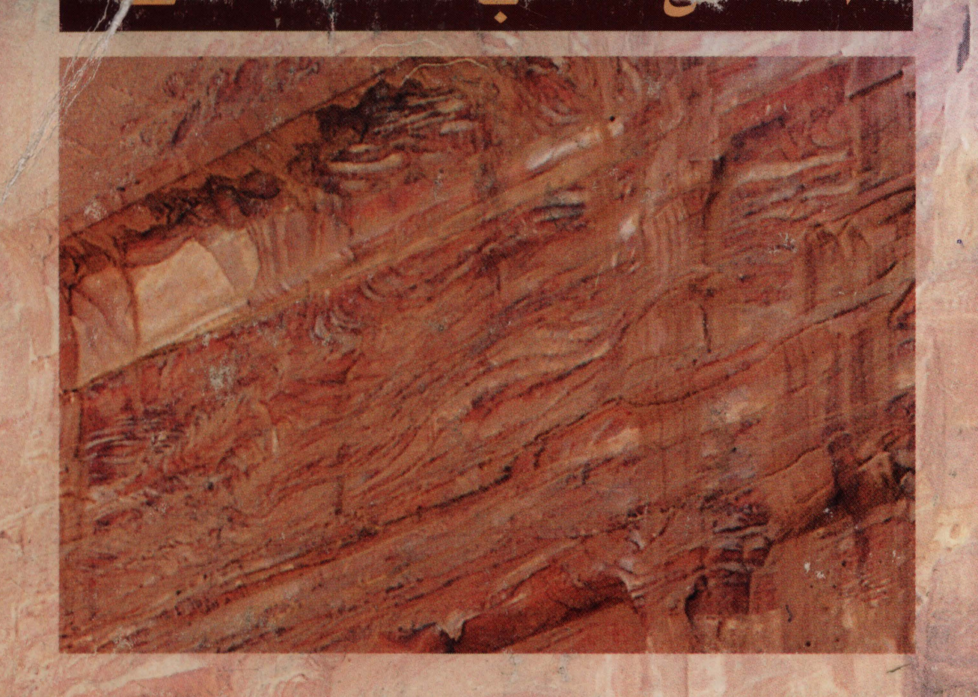


مملكة الأنباط

دراسة في الأحوال الاجتماعية والاقتصادية

خالد الحموري



٢٠٠٢م

مشروع بيت الأنباط
للتأليف والنشر (٢)



بدعم من اللجنة الوطنية العليا لإعلان
عمان عاصمة للثقافة العربية


al-maktabeh
www.
.com
مكتبة
المهتدين

مملكة العرب الأنباط

دراسة في الأحوال الاجتماعية والاقتصادية

بيت الأنباط

الهيئة العربية للثقافة والتواصل الحضاري

هيئة ثقافية مستقلة أسست عام ١٩٩٧م، مقرها البتراء في الأردن وهي هيئة ثقافية غير حكومية تعمل في مجالات الدراسات والبحوث والنشر وعقد المؤتمرات والندوات المعنية بالتاريخ والتراث والآثار والحوار الحضاري وإدارة الموارد التراثية والجوانب الثقافية في السياحة.

تنفذ الهيئة مجموعة من البرامج النوعية في الأردن بشكل عام وفي منطقة اقليم البترا بشكل خاص، في مجالات التغير الاجتماعي ونشر الوعي بأهمية المدن التراثية وحمايتها.

بيت الأنباط
البتراء - الأردن
ص. ب ٢٨١ /فاكس ٢١٥٧٩٠٢

Biet Al Anbat
The Arab Forum for Cultural Interaction

An independent Jordanian forum established in 1997. It is anon-governmental cultural forum interested in studies, research and publication, holding conferences and symposia on history, heritage, archaeology, cultural dialogne, and managing cultural aspects in tourism.

The forum is carrying out a number of qualitative programs in jordan in general, and in Petra region in particular in the fields of social change and spreading awareness concerning the importance of ancient places and ways of preserving them.

Biet Al Anbat
Jordan - Petra
P.O. Box 281
Fax 2157902

مملكة العرب الأنباط
دراسة في الأحوال الاجتماعية والاقتصادية

خالد الحموري



رقم الايداع لدى دائرة
المكتبة الوطنية
(٢٠٠٢/٥/١٣٠٥)

٩٦٥,٥
حمو الحموري، خالد
مملكة الأنباط: دراسة في الأحوال الإجتماعية والإقتصادية/
خالد الحموري ـ البتراء: بيت الأنباط، ٢٠٠٢.
(١٦٠) ص
ر. إ.: ٢٠٠٢/٥/١٣٠٥.
الواصفات:/الأنباط/تاريخ الأردن/الأردن/الأحوال الإجتماعية/
الأحوال الإقتصادية/البتراء/

■ تم اعداد بيانات الفهرسة والتصنيف الأولية من قبل دائرة المكتبة الوطنية

مشروع "بيت الأنباط" للتأليف والنشر

يأتي مشروع "بيت الأنباط" الهيئة العربية للثقافة والتواصل الحضاري للتأليف والنشر حول تاريخ العرب الأنباط وحضارتهم للمساهمة في سد الحاجة الماسة للتعريف بتاريخ الأردن القديم وآثاره، حيث تفتقد المكتبة العربية لمؤلفات حول هذا الموضوع توازي حجم الإسهام الحضاري الذي قدمته الجغرافيا التاريخية الأردنية للحضارة الإنسانية.

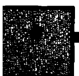
إننا في "بيت الأنباط" نرى بأن واجب نشر الوعي بأهمية حضارة العرب الأنباط وإسهامها في الثقافة العربية، هو واجب وطني وقومي وإنساني واستجابة صريحة لضرورة تأكيد الشعور التاريخي بالذات في عالم تعصف به التحولات والتقلبات، إلى جانب أهمية المشروع في تكوين قاعدة معرفية ومعلوماتية سوف تسهم في تقديم الصورة الحضارية الموضوعية حول تاريخ الأردن، وهي الصورة التي تأخر إنجازها، ويشكل هذا التأخر مأزقاً علمياً محرجاً.

لقد وضعت الهيئة العربية للثقافة والتواصل الحضاري "بيت الأنباط" التي أسست في عام ١٩٩٧، وتحمل عبء نشر الوعي بالتاريخ الحضاري للأردن من بين أهم أهدافها المشاركة في نشر الوعي بقيمة المدن التراثية في الأردن والعمل على إبراز الأهمية الحضارية للجغرافية الأردنية، ودورها في حركة التكوين التاريخي للأمة العربية، وذلك عن طريق برامج علمية واضحة ومحددة وعلى رأسها "مؤتمر دراسات الأنباط" الذي تسعى الهيئة إلى إدامة انعقاده كل عامين مرة، إلى جانب برامج متعددة في الدراسات والبحوث والترجمة إلى اللغة العربية.

إنّ برنامج "بيت الأنباط" للتأليف والنشر والذي يتضمن نشر حوالي "٣٥" كتاباً حول الأنباط وحضارتهم لا بدّ أن يسهم في تحفيز مؤسسات المجتمع المدني الأردني للانتباه إلى ضرورة تبنّي برامج متعددة الجوانب للبحث العلمي كل في مجال اختصاصها للمشاركة في تكوين قاعدة علمية شاملة تعدُّ الأساس الموضوعي لإعادة تأهيل عقل التنمية والنهضة والتغير الإيجابي.

رؤية أخرى

بقي تاريخ المشرق العربي وحضارته دوماً هو الموئل الأساسي لجذور الحداثة والبحث عن مستقبل التاريخ، لكن تاريخ الأفكار الأولى وعلاقة الإنسان مع الطبيعة،



وقصص الأنبياء ورحلة الإنسان من الخوف إلى الايمان، ثم إلى المعرفة والوعي، وبداية الأبجديات ومدوّنات الملاحم وقيام الحضارات وانهيارها عادة ما قرأت بعين واحدة هي عين المصالح التاريخية للسلطة أو الدين أو الفكرة أو المجتمع، في حين بقي التاريخ المحايد، لم يغادر يتقدم أحياناً ويتراجع أحياناً أخرى.

طالما تقدّم الراوي وتراجع الحدث، وطالما غاب ا لماضي واختنق باسم الحديث المفرط عن الماضي، لكن أي ماض أشبع بالحديث وأي تاريخ استهلكته كتب الأخبار الطوال، والسؤال الآخر الأهم، كيف ضاع الماضي في الحاضر باسم تأكيد الماضي؟ وكيف تم استهلاك التاريخ وأعلن عن نضوبه وموته، وما زال الحاضر يعاني من الندرة في توظيف موارد التاريخ واستغلالها لفهم المستقبل.

هذه الأسئلة وغيرها هي مقدمة لرؤية أخرى لإعادة النظر في معنى علاقة الذات العربية بالزمان والتاريخ، من أجل كشف المتضخم فيها واكتشاف المدهش والجديد الذي لم يقل عنه شيء بعد، والعمل على إنجاز إزاحة علمية ووجدانية بين التاريخ العبء والتاريخ الحافز، وهي الحال التي تعني ضرورة مواجهة الأسئلة الراهنة، بأسئلة أخرى أكثر عمقاً وفهماً لضرورات الاتصال مع الذات والآخرين، للاجابة على السؤال المحوري: متى وأين شكّل التاريخ في علاقته مع الإنسان العربي وحدة في الزمان ووحدة في المكان، ومتى شكلّ التاريخ منجزاً حضارياً وحداثياً؟ والسؤال الأخطر لماذا وكيف غابت الجغرافية التاريخية والحضارية للأردن عن رواية الآخر وعن رواية الذات رغم كثافة التاريخ الذي تحمله.

إنّ مشروع "بيت الأنباط" للتأليف والنشر في التاريخ القديم للمشرق العربي والأردن الذي سيبدأ بسلسلة الحضارة النبطية سوف يستفيد من تراكم النجاحات والأخطاء في الإنتاج الفكري حول المشرق العربي والأردن في مجالات التاريخ ودراسات الحضارة وعلم الآثار والنقوش والانثروبولوجيا والأثنولوجيا وغيرها من العلوم، عن طريق المراجعة النقدية والابتعاد عن الانتقائية التاريخية والقوالب الأيديولوجية والتأكيد على دور الفاعل والقوى الاجتماعية واكتشاف الأبعاد الحضارية لعلاقة الإنسان بالتاريخ والمجتمع والأشياء، والاستفادة من الأدوات المعرفية المعاصرة ومناهج العلوم المتعددة لتقديم رؤية معاصرة أكثر موضوعية وجدية تعيد للمشرق العربي وجهه الحقيقي المنفي وتضع الجغرافية التاريخية والحضارية للأردن في موقعها الحقيقي باعتبارها الجذر المؤسس للتحولات الكبرى في المشرق العربي طوال

أدوم ومؤاب وجلعاد وحوران مركز هذه الدولة ومنطلق إشعاعها الحضاري في كل الاتجاهات والمراحل الزمنية.

إلاّ أن جهود التعريف بحضارة الأنباط وتاريخهم ما تزال متواضعة سواء في مجال اكتشاف هذه الحضارة في ميدان الأوابد والآثار، حيث ما يزال المكتشف من مدينة البتراء وحدها لا يتجاوز (١٥٪) من حجم الآثار المتوقع. وفي مجال التأليف في بحوث ودراسات الأنباط باللغة العربية والذي ما يزال في مراحله الأولية، حيث لا نجد إلاّ عدداً قليلاً جداً من البحوث والمؤلفات، رغم ما تعنيه حضارة الأنباط من أهمية كبرى في التاريخ العربي القديم وتاريخ المنطقة والحضارة الإنسانية بشكل عام، إلى جانب الموقع المميز الذي يجب أن تحتله في تاريخ الثقافة العربية باعتبارها حضارة مؤسسة قدمت للثقافة العربية إنجازات نوعية هامة شكلت جذرها الموضوعي.

لَقد بقيت حضارة العرب الأنباط مهملة على صعيد المعرفة العربية، على الرغم من الالتفات المبكر من الباحثين الغربيين لهذه الحضارة وأهميتها. واليوم يقع الواجب والمسؤولية على الجيل الجديد من الباحثين العرب الذين لا تستميلهم ولا تغويهم الاستحقاقات القطرية الراهنة، وتنازع المراكز في البحث عن شرعيات تاريخية واهمة. ويقع جلّ المسؤولية على الجيل الجديد من الباحثين الأردنيين بشكل خاص لإعادة اكتشاف الوطن من جديد حماية للمعرفة والحقيقة أولاً، ولأنه البحث عن جذور المستقبل ثانياً بالعودة إلى التاريخ الحافز الذي يشكل الجذر والأساس لحماية المشروع الوطني الأردني المعاصر في ظل التحولات الإقليمية والعالمية التي تعصف بالقيم التاريخية التقليدية وتصطنع منطقتها الخاص في التغيير.

وفق هذه الرؤية التاريخية والمعاصرة جاء مشروع "بيت الأنباط" للتأليف والنشر حول تاريخ الأردن وعلاقته بالمشرق العربي.

باسم الطويسي

مدير مشروع بيت الأنباط للتأليف والنشر

أكثر من ثلاثة آلاف عام مضت قبل الميلاد.

الأهداف

أولاً: تقديم إضافة نوعية جديدة للمكتبة العربية في مجال بحوث تاريخ الأردن وحضارة العرب الأنباط وعلاقة ذلك بالمشرق العربي.

ثانياً: سد الفجوة المعرفية لدى القارىء العربي حول مراحل تاريخية وحضارية هامة ساهمت في التكوين التاريخي للمنطقة، طالما أجل النقاش المعرفي حولها أو قدم بصورة الحلول الانتقائية أو الوظيفية.

ثالثاً: الإسهام في إعادة تشكيل الوعي الحضاري للمجتمع الأردني بأبعاد الثقافة والمعرفة على قواعد الشرعية الثقافية وتعزيز الثقة بالحاضر والماضي في مواجهة التحديات الراهنة والمستقبلية.

رابعاً: تقديم انموذجاً اخر للعمل الثقافي على الساحة الأردنية يستند إلى الإنجاز الثقافي الفعلي بعيداً عن الانتقائية والثقافة اليومية.

مراحل المشروع

- سلسلة حضارة العرب الأنباط.
- سلسلة الأردن والمشرق العربي: الأرض والإنسان والتاريخ.

سلسلة حضارة العرب الأنباط

تعدُّ حضارة العرب الأنباط أحدى أرقى الحضارات الإنسانية، قدمت للبشرية أنموذجاً متقدماً لعطاء الإنسان في الإبداع والتنظيم والفنون والرقي الحضاري في مختلف المجالات، وكانت الحلقة الأولى في تكوين معالم المجتمع العربي القديم وإضفاء الهوية والشرعية عليه عن طريق إنجاز أول كيان سياسي عربي واضح المعالم في بلاد العرب الشمالية، علاوة على الإسهام الحضاري الكبير الذي قدّمه العرب الأنباط للثقافة العربية حينما منحوا اللغة العربية الحروف والكتابة وهو الإنجاز الذي يشكّل المقدمة الموضوعية للحضارة العربية الإسلامية.

لقد استطاعت الدولة العربية النبطية الحفاظ على استمراريتها التاريخية لفترة تقارب ستة قرون فوق رقعة جغرافية واسعة وصلت إلى دمشق والبقاع وجبل الدروز شمالاً والحجر ومدائن صالح والعلا في الجنوب، ومن سيناء وغزة وشرق الدلتا غرباً إلى الصحراء الداخلية شرقاً. في حين بقيت جغرافية الأردن التاريخية بأكملها من

قائمة المحتويات

المقدمة

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم

البحث في أصول الحضارات القديمة هدف نبيل يجعلنا نقدر ما وصلت إليه الحضارة العربية من تقدم وازدهار، وبه ندرك أن التنظيمات الراقية لهذه الحضارة لم تأتِ من فراغ وإنما جاءت امتداداً تاريخياً لأُصول هذه الحضارات الزاهرة.

يستثير البحث في التاريخ الاجتماعي والاقتصادي للعرب في العصور القديمة ودراسة المنابت الأولى لحضارتهم الباحثين في مختلف أنحاء الوطن العربي حيث يتطلعون إلى معرفة ماضي أمتهم العربية ومنبت قوميتهم، بُغية الرد على أباطيل أعدائهم، والتزود من أحداث الماضي بعبرات وعظات ومن تجارب أجدادهم بدروس تعينهم في الوقت الحاضر على إدراك تراثهم القديم الحافل بالأمجاد، وتحدد موقفهم من قضاياهم المعاصرة.

ولهذا اخترت موضوع هذا البحث عن واحدة من الممالك العربية التي قامت في شمال غرب الجزيرة العربية لكونها من الممالك والدول التي ظهرت قبل الإسلام، ونحن ندرك أن التاريخ العربي القديم لم يلق عناية كافية من قبل الباحثين القدامى والمحدثين إلاّ حظاً يسيراً فاخترت عنوان البحث (مملكة الأنباط دراسة في الأحوال الاجتماعية والاقتصادية)، منذ ظهور المملكة على المسرح السياسي وحتى نهايتها سنة (١٠٦م)، محاولاً بذلك رسم صورة لهذا المجتمع العربي لم تكن واضحة من قبل وخاصة باللغة العربية، ونحن ندرك أن التنظيمات الاجتماعية الراقية في مجتمعنا العربي لم تنشأ من فراغ كما أننا ندرك ما هذّبه في المجتمع العربي الإسلام من تنظيمات غير سليمة.

وباستعراض هذه الدراسة يمكن للقارىء أن يحيط بأطرها أو مناحيها، فقد قسمت هذه الدراسة إلى خمسة فصول، حوت ما أمكنني جمعه من معلومات ومعارف عن هذه المملكة وسكانها فقد بدأت بتمهيد يتضمن مقدمة جغرافية تاريخية موضحاً من خلالها عروبة الأنباط.

وجاء الفصل الأول: الذي بحثت فيه شرائح المجتمع وتقسيماته والعائلة النبطية مستعرضاً من خلالها الزواج وأنواعه، والطلاق والإرث كما بحثت في أعياد واحتفالات الأنباط الدينية والرسمية والشعبية. وقد ختمت الفصل بالحديث عن عادة الختان عند العرب الأنباط.

أما الفصل الثاني: فبحثت في المعتقدات الدينية لدى عرب الأنباط من خلال آلهتهم ومعابدهم وطقوسهم الدينية.

أما الفصل الثالث: فقد تناولت فيه الزراعة موضحاً الملكية الزراعية وكذلك الأنظمة الزراعية عند الأنباط وهندسة الري والعمل والإنتاج الزراعي.

وتناول البحث في الفصل الرابع النشاط الصناعي عند الأنباط، إضافة إلى أهم وأشهر المصنوعات عندهم.

أما الفصل الخامس فتحدثت فيه عن النشاط التجاري مبيناً الطرق التجارية البرية منها والبحرية فضلاً عن ذلك العلاقات التجارية والسلع والمعاملات التجارية.

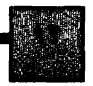
أما المصادر التي أعانتني في مشروع البحث فهي عديدة، إذ يعد كتاب جواد علي (تاريخ العرب قبل الإسلام) من أهمها، فقد صدر هذا الكتاب في بداية الأمر بثمانية مجلدات ثم صدر بعد ذلك باسم (المفصّل في تاريخ العرب قبل الإسلام)، والذي بدأ نشره منذ عام (١٩٦٨م) حتى أتمّ مجلداته العشرة سنة (١٩٧٣م).

من قراءة هذا الكتاب نجد أن جهد الدكتور جواد علي واضح فيه حيث كانت استفادتي منه كثيرة وخاصة في أجزائه التي تتعلق بالحياة الاجتماعية والاقتصادية. كما كانت استفادتي من كتاب (محاضرات في تاريخ العرب)، للدكتور صالح أحمد العلي، الذي يعتبر كتابه من الكتب العلمية الجيدة والتي عالجت فترة ما قبل الإسلام بأسلوب علمي عميق، إضافة إلى كتاب الدكتور منذر البكر (دراسات في تاريخ العرب قبل الإسلام) الذي جاء حافلاً بالمعلومات خاصة فيما يتعلق بالتجارة العربية، كما يأتي كتاب الدكتور زيدون المحيسن (البتراء مدينة العرب الخالدة) واحداً من الكتب المهمة التي كتبت عن تاريخ الأنباط، إذ جاء غنياً بالمعلومات خاصة ما يتعلق بهندسة المياه، كما يأتي كتاب هتون الفاسي (الحياة الاجتماعية في شمال غرب الجزيرة العربي ما بين القرن السادس قبل الميلاد والثاني بعده) إذ نجدها تبحث في مفهوم وطبقات عناصر السكان ومكانة المرأة في المجتمعات العربية في شمال غرب الجزيرة، وكانت استفادتي من هذا الكتاب كبيرة لما له من أهمية في موضوع هذه الرسالة.

أما المصادر الأجنبية التي عالجت تاريخ الأنباط فهي عديدة، أهمها: كتاب (Die Provin-cia Arabia) المقاطعة العربية للعالم (Brunnow) وقد صدر هذا الكتاب بثلاثة أجزاء في الأعوام (١٩٠٤، ١٩٠٥، ١٩٠٩م) وهي في الواقع دراسة فريدة من نوعها نتيجة رحلة عبر الأردن قام بها وسجّل خلالها الآثار والنقوش التي مرّ بها.

ثم يأتي كتاب (Kennedy) بعنوان (Petra, its History and Monuments) البتراء تاريخها وآثارها، الصادر عام (١٩٢٥م) ويعد هذا الكتاب دراسة تاريخية واجتماعية لمملكة الأنباط، وهناك كتاب (Kammerer) المسّى (Petra et la Nabatene) البتراء والأنباط الصادر عام (١٩٢٩م)، ويعتبر من أهم الكتب إذ نجده يتتبع تاريخ دولة الأنباط منذ أقدم ذكر لهم، كمانجده يشرح بنوع من التفصيل علاقات الأنباط التجارية وكذلك ديانة الأنباط، وتعتبر هذه الدراسة من أكمل ما كتب في تاريخ الأنباط حتى مطلع القرن.

ومن الكتب التي أفادت البحث نوعاً ما كتاب (Murray) الموسم (Petra, the Rock City of Edom)



البتراء مدينة آدوم الصخرية الصادر عام (١٩٣٩م) الذي نجده يصف عادات الأنباط وتقاليدهم ودياناتهم وتجارتهم وكان (Murrary) يعتمد في دراسته ليس النقوش وإنما على المصادر الكلاسيكية فنجد في آرائه التطرف لذا نحذر منه.

وفي عام (١٩٥٥م) ظهر كتاب ذا أهمية في دراسة أحوال الأنباط للعالم (Starcky) المُعنون (The Nabataean, a Historical Sketch) الأنباط نُبذة تاريخية. ثم جاءت مقالته في ملحق قاموس الكتاب المقدس سنة (١٩٦٦م) باسم البتراء والأنباط (Petra et la Nabatene, supplement an Dictionnaire de LaBible) وكانت دراسة ستاركي تتميز بالعمق والتحليل الدقيق لكونه يعتمد النقوش مصدراً له فضلاً عن المصادر الكلاسيكية.

ومن الدراسات المهمة في تاريخ الأنباط كتابين لـ (Glueck) الأول بعنوان (Rivers in the desert) الصادر عام (١٩٥٩م) والثاني بعنوان (The Other side of Jordan) الصادر عام (١٩٧٠م) إذ نجد أن دراسات (Glueck) جمعت نتاج الرحلات والتنقيبات الأثرية التي قام بها ونجده في دراسته يركز على الديانة والعبادة بصورة دقيقة كما يحاول ربط حضارة الأنباط بأصول يهودية أو توراتية وهذا ما لا تؤيده الحقائق والأدلة العلمية كما ذكرنا في صلب هذه الدراسة لذا نحذر منه.

كما يأتي كتاب (Negev) المعنون (Nabatean Archeology Today) الآثار النبطية اليوم الصادر عام (١٩٨٦م) وهو عبارة عن مقالات وتقارير عن التنقيبات الأثرية إذ نجد أن أهم أجزاء هذا الكتاب كانت تخص عادات الدفن والبناء الاجتماعي. لكننا نحذر من كتاباته لكونه متعصباً للديانة اليهودية ومتجاهلاً ما للعرب من تراث قومي إذ يرجع كل النتاجات الحضارية إما إلى اليهود أو للإغريق والرومان.

كما يأتي كتاب (Dalman) (Petra and Seine Felsheiligtumer) (١٩٠٨م) من الكتب التي أعانتني في موضوع هذه الدراسة كونه واحداً من الكتب التي تتحدث عن الديانة النبطية بشيء من التفصيل. كما يعتبر كتاب (Rostovtzeff) المعنون (Caravan Cities) الصادر عام (١٩٧١م) من أهم الكتب التي تحدثت بشكل دقيق ومفصّل عن التجارة، وكان لهذا الكتاب الفائدة الكبرى في موضوع هذه الدراسة.

أيضاً لا بد من الإشارة لكتاب (Hammond) المعنون: (The Nabataean-Their History, Culture and Archaeology) (الأنباط تاريخهم، ثقافتهم، آثارهم) الصادر عام (١٩٧٣م) حيث كانت دراسته نتاج التنقيبات الأثرية التي قام بها. كما يأتي كتاب (Lindner) (Petra and das konigreich der Nabataer) من الكتب المهمة التي أعانتني في دراسة تاريخ الأنباط إذ كان الكتاب عبارة عن بحوث ومقالات ذات صلة وثيقة بموضوع هذه الدراسة.

ومن الكتب التي كان لها أثر كبير في إثراء دراستي من معلومات والتي أعانتني كثيراً كتاب

(Altheim) (Finanzgeschichte des Spatantike) حيث تميزت دراسته بالعمق والتحليل الدقيق وتتجلى استفادتي من كتابه في موضوع الطبقات.

وهناك كتب تحدثت عن الدولة اللحيانية التي كان لهاعلاقة مع الأنباط مثل كتاب (Caskel) (Des altarabische Konigreich Lihjan) المملكة اللحيانية القديمة و كذلك كتاب (Lihyan and Lihyanisen) لحيان واللحيانية حيث يبين فيها المؤلف تركيب المجتمع فضلاً عن التجارة.

أما أهم الكتب الكلاسيكية التي اعتمدت عليها في هذه الدراسة فهي كتابات المؤرخ (Diodorus Siculus) المعنون (The Library of History) إذ نجده يعتمد في كتاباته على الرحالة اليوناني (Hieronymus) كما اعتمدت كتابات الجغرافي (Strabo) الذي عاش في القرن الأول ميلادي وكان Strabo يعتمد في نقل معلوماته عن شخص يوناني ضرير اسمه (Athenodorus of Tartous) لذا نحذر من صحة المعلومات التي أوردها لنا.

كما تأتي كتابات المؤرخ (Josephus) التي جاءت في كتابين الأول بعنوان (The Jewish Wars) والكتاب الثاني (Antiguities of the Jewish) ففي كتبه إشارات مباشرة وغير مباشرة عن العرب وأحوالهم لا نجدها في كتاب قديم آخر وقد عاصر هذا المؤرخ الأنباط فجاءت كتاباته عنهم فيما يخص تاريخهم السياسي وعلاقاتهم التجارية وحروبهم مع اليهود فكانت كتاباته ذات قيمة عالية لكن نحذر من كتاباته لتطرفه إلى اليهود.

أما المنهج الذي اتبعته في هذه الدراسة، فقد قمت في البدء بجمع المادة الأولية من المصادر الأساسية، فلم أترك كتاباً أو بحثاً علمت أنه يعالج تاريخ الأنباط إلاّ وحاولت الوصول إليه، حتى وإن كان مكان هذا الكتاب باريس أو بون أو واشنطن، وبعد عملية الجمع قمت بتصنيف المادة حسب مخطط الدراسة، وبعد ذلك قمت بصياغة المادة وفق أسلوب المقارنة للوصول إلى الحقائق وإثباتها، أما قضايا النقص في المعلومة فقد حاولت الاجتهاد بها عن طريق القياس، فالعرب الأنباط تميزوا بما تميز به عرب المنطقة من حيث العادات والتقاليد وأسلوب الحياة.

وأثناء الكتابة حاولت ما أمكنني أن أقدم المعلومة بأسلوب بسيط بعيداً عن التكلف والدخول في صلب الموضوع مباشرة دون الحاجة إلى مقدمات.

وصادفتني كما يصادف العديد من الباحثين صعوبات وأرى أنها أساسية وهي تعطي للجهد المبذول طابعاً متميزاً، ولعل أهم هذه الصعوبات هي كثرة المصادر التي تشير إلى الموضوع وقلة المعلومات المتخصصة إضافة إلى صعوبة الحصول على بعض المصادر الأساسية، وهنا لا بد من التنويه إلى دور الأستاذ الدكتور منذر البكر والأستاذ الدكتور زيدون المحيسن في تذليل هذه الصعوبة.

ولا بد في خاتمة هذه المقدمة أن اتقدم بالشكر والعرفان الى الأستاذ الدكتور منذر البكر الذي منحني الرعاية والمشورة والتوجيه والشكر الدائم الموصول الى استاذي الفاضل الأستاذ الدكتور زيدون المحيسن الذي كان له الفضل في تذليل الكثير من الصعاب في الحصول على المصادر والمراجع العلمية، ورعاية هذه الدراسة في مختلف مراحلها وكذلك اتوجه بالشكر الى الدكتور صالح العلي والدكتور محمود الروسان والاستاذ الدكتور محمد جواد الموسوي والاستاذ محمد المحافظة.

كما اتقدم بالشكر والامتنان الى الزملاء في بيت الأنباط «الهيئة العربية للثقافة والتواصل الحضاري وأخص الاستاذ باسم الطويسي مؤسس «بيت الأنباط» الذي كان له الدور الكبير في نشر هذه الدراسة واخراجهاللقارئ العربي.

إلى حدود مصر في سيناء[١].

يعد الحوريون من الشعوب التي استقرت في المنطقة قبل قدوم الأنباط[٢]، فقد جاء في سفر التكوين أن الأدوميين هاجموا الحوريين وغلبوهم وانتزعوا ما في أيديهم واستملكوا بلادهم[٣]. وكان الأدوميون قبائل وفرق يرأس كل قبيلة منها رجل وقد ذكرت التوراة أخباراً كثيرة وصفت العلاقة بين الأدوميين وبني إسرائيل[٤]، وكانت آدوم عصية على الملوك والأمراء الذين يطمعون فيها لمناعتها ووعورة أرضها ولموقعها الاستراتيجي فقد حمل (شاول) على أدوم في القرن العاشر قبل الميلاد ليضمها إلى دولته ولكنه لم ينجح في ذلك، غير أن داوود وسليمان تمكنا من إخضاعهم واستخدام سواحلهم موانىء للوصول إلى سواحل اليمن والحبشة والمحيط الهندي، ولكن الأدوميين كانوا ينتهزون الفرص المناسبة لمهاجمة الإسرائيلين وقد قاموا بذلك وهاجموهم وكان من بين المهاجمين الأرمن في دمشق والعمونيون والمؤابيون والعرب ثم الفلسطينيون[٥] وعندما جاء نبوخذ نصّر محرراً لفلسطين في القرن السادس قبل الميلاد كان الأدوميون عوناً له على خصومه فكافأهم بتأييد سلطانهم وتوسيع بلادهم إلى حدود مصر وشواطىء البحر الأبيض المتوسط[٦]. وبينما القوم ينشرون سلطانهم في نواحي الغرب داهمهم الأنباط من الشرق وطوّقوا آدوم من جهاتها الثلاث ثم وضعوا أيديهم عل كل ما فيها وأصبحوا سادة الأمر ثم اندمج أهلها مع الفاتحين وصاروا أمةً واحدة وعمل الشعبان جنباً إلى جنب وتزاوجا فيما بينهم[٧] وبقيت حضارتهما قائمة حيث وضع الأنباط أساس دولتهم العربية في القرن الرابع قبل الميلاد إلى أوائل القرن الثاني بعده، حيث قام الرومان بقيادة كورفلس بالما بأمر من الإمبراطور تراجان بالقضاء على وساطة الأنباط في التجارة العالمية حيث احتلها القائد المذكور (١٠٦)م[٨].

---

(١) Glueck, Neslon, Rivers in the desert, (New York, N.P, 1959), P. 198 سيشار له فيما بعد: Glueck, Rivers in the

(٢) جاء الحوريون من مرتفعات شمال شرق الهلال الخصيب بين بحيرة أوروميه وجبال زاغروس، وقد عرفوا عند اليونان بلفظة Traclodytes، راجع حتي، فيليب، تاريخ سوريا ولبنان وفلسطين، ج(١)، تر: جواد حداد، (بيروت: دار الثقافة، ١٩٥٨)، ص١٦١. سيشار له فيما بعد: حتي، تاريخ سوريا.

(٣) سفر التكوين.

(٤) ملاخى، الاصحاح الأول، الآية ٢ وما بعدها.

(٥) زغلول، سعد، تاريخ العرب قبل الاسلام، (بيروت، دار النهضة للنشر، ١٩٧٦)، ص١٣٨.

(٦) Lindner, M, Petra and das konigreich der Nabataer, (Munich, Delp., 1980) P.39 سيشار له فيما بعد: Liner, Petra and das.

(٧) المحيسن، زيدون، البتراء مدينة العرب الخالدة، (عمان، وزارة الشباب، ١٩٩٦)، ص٢١. سيشار له فيما بعد: المحيسن، البتراء.

(٨) Kennedy, A.G.W., Petra, its History and Mouments. (London, Country live., 1925), P. VI: نرى أن الأنباط قاوموا الاحتلال الروماني، مما دفع تراجان إلى إتباع إستراتيجية أخرى في محاربتهم وهي تغير خط التجارة إلى مدينة بُصرى مما أدى إلى انهيار مملكة الأنباط.



تمهيد

❖ مقدمة جغرافية وتاريخية:

تاريخ الجزيرة العربية إذا استثنينا الجزء الجنوبي منها هو تاريخ الأحداث التي شهدتها جماعات سياسية صغيرة قامت واحدة بعد الأخرى على طول طريق البخور التجاري إلى أطراف أرض الرافدين وسوريا والأردن وفلسطين، ولم تكن هذه الدويلات مستقرة في نظامها إذ لم تعمر طويلاً حيث ساهمت التجارة في تكوين التاريخ الاقتصادي للجزيرة العربية في العصور القديمة، فقد كان في شبه الجزيرة العربية طريقان على حافة الصحراء تتنقل السلع من خلالهما من المحيط الهندي إلى موانئ فلسطين وسوريا، فالأول يمتد من اليمن إلى جنوب فلسطين والآخر يمتد من الخليج العربي ويدخل وادي الرافدين ثم ينحرف إلى سوريا قاصداً دمشق[1]. وكان تطورها وازدهارها يتعلق بالموقف السياسي في الشرق الأدنى.

وتُعد مملكة الأنباط واحدة من هذه الدول حيث تتكون من أراضي صخرية حجرية في أغلب مناطقها، ففيها الجبال والشعاب[2] وبعض المناطق أو الواحات الخصبة التي تتوفر فيها المياه مما سهّل استقرار الأقوام فيها وبالتالي مزاولة مهنة الزراعة، كما أنّ لوفرة المياه فيها أصبحت هذه الواحات مراكز تجارية مهمة[3]. فضلاً عن ذلك أن لوقوعها على مفارق الطرق ولا سيّما طريق البخور جعلها تتطور بسرعة حتى أصبحت دولة تجارية مهمة، وحدودها حدود المملكة الأردنية الهاشمية الآن، ولا سيما في المنطقة الواقعة على رأس خليج العقبة، وكان يحدُّها غرباً وادي عربه وشرقاً بادية الشام ومن الشمال فلسطين أما جنوباً فتحدها بادية الحجاز[4]. وقد امتدت حدود هذه المملكة في فترة الازدهار حتى أطراف نهر الفرات والأقسام الجنوبية من فلسطين وحوران وادوم وتمتد حتى تتصل بالبحرالأحمر ومدين الى ديدان جنوباً[5]، وفي أوج اتساعها ضمت اليها دمشق ووصلت غربًا

---

(١) موسكاتي، سبتينو، الحضارات السامية القديمة، تر: السيد يعقوب بكر، (لندن أ. د ن، ١٩٥٧) ص ٢٠١. أيضاً هناك طريقان: طريق غربي، يسمى طريق البخور، وطريق شرقي. راجع أوليري، دي لاسي، جزيرة العرب قبل البعثة، تر: موسى الغول، ط (١)، (عمان، وزارة الثقافة، ١٩٩٠)، ص١١٩-١٢٢. وكذا "البكر، منذر، العرب والتجارة الدولية منذ أقدم العصور إلى نهاية العصر الروماني"، مجلة المريد، بغداد، ع(٤)، ١٩٧٠ ص٤٨-٥١.

(٢) زيدان، جرجي، العرب قبل الإسلام، مراجعة: حسين مؤنس (جامعة القاهرة، دار الهلال)، ص ٨١. سيشار له فيما بعد: زيدان، العرب قبل الإسلام.

(٣) Glueck, Nelson, The other side of Jordan. (Cambridge Massassuchets, 1970), P. 192
وسيشار له فيما بعد: Glueck, The Other side

(٤) سوسه، أحمد، العرب واليهود في التاريخ، (بغداد، مطبعة دار الحرية، ١٩٧٣)، ص١٠٧.

(٥) علي، جواد، تاريخ العرب قبل الإسلام، ج(٣)، ٠بغداد، (الرابطة للطبع والنشر، ١٩٥٣)، ص١٤. سيشار له فيما بعد: جواد، علي، تاريخ العرب.

وفي أوج توسع مملكة الأنباط امتدت مستوطناتهم حتى نهر الفرات في المنطقة المتاخمة لبلاد الشام وامتدت جنوباً حتى تصل بالبحر الأحمر وبذلك تكون قد ضمّت دمشق في سوريا ومدائن صالح جنوباً في الجزيرة العربية وحدود مصر غرباً في سيناء[١]. ومما يلفت النظر أن هذه المملكة كانت تتألف من مقاطعات قياساً إلى الدول المعاصرة لها ولا سيما دولة جرها التي ترتبط معها بروابط قوية[٢]، ومن المفترض أنها تتكون من أربع مقاطعات وربما أكثر أو أقل والذي يعود بدوره إلى طبيعة قوة الأنباط السياسية، ونلاحظ وجود معبد رئيس لإله ذو الشرى في كل مقاطعة، وهذه المقاطعات هي:

أولاً: البتراء

وهي المقاطعة الرئيسة والعاصمة، والبتراء ليس اسم علم وإنما إشارة إلى كل جبل مقدس و الذي يصعب صعوده[٣]، ومعناها في العربية صخر أو حجر، وفي العبرية سالع ويطلق العرب عليها اسم الرقيم، وقد ذكرها ياقوت الحموي في مادة سلع فقال: "وسلع" أيضاً حصن لوادي موسى عليه السلام بقرب بيت المقدس"[٤].

وتقع بقايا المدينة اليوم في وادي موسى في المكان الذي يسمى "الجي"[٥] وقد وصف "رستوفتزف" مدينة البتراء فقال: "وتبدو الخطوط واضحة للأسواق المركزية الكبيرة الثلاث حيث تُعقد الصفقات التجارية هنا فيتخيل المرء أعمال التجار المتشعبة ويشم رائحة الأوراق والجذور الهندية ويتلمس الذهب والأحجار الكريمة"[٦]. "وقد كان تشابه ظروف كل من مكة والبتراء واضحاً بحيث يتسنى للباحث عند زيارته مكة من معرفة خصائص العرب منها وشخصيتهم المتميزة التي ساعدتهم - فيما بعد- في نشر الدين الإسلامي في أرجاء بعيدة وبناء إمبراطورية واسعة وإنجاز أحلام أسلافهم البابليين والسومريين"[٧]. ومن خلال دراسة الآثار والنقوش نجد أن البتراء قد مرّت بمراحل وتجارب متعاقبة من الإزدهار والركود، فقد

---

(١) F. Altheim-R. Steihl: Die Araber in der alven welt Bd. 1, (Berlin, DeGrugter, 1966), P.286

(٢) "البكر، منذر، اليمامة وجرها في عصور ما قبل الاسلام"، مجلة كلية التربية، جامعة البصرة، ع(٣) ١٩٨٠، ص١١٥-١١٨.

(٣) BrUnnow, R.E., and von Domasweski, A, Die provincia Arabia, (Strasbourg, Trubner, 1904), P. 189

(٤) الحموي، الإمام شهاب الدين أبي عبدالله ياقوت بن عبدالله الحموي الرومي البغدادي، معجم البلدان، ج(٥)، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ١٩٧٩)، ص١٠٧. سيشار له فيما بعد: المعجم.

(٥) جواد علي، تاريخ العرب، ج٣، مصدر السابق، ص٥١، وكذا موسل، أ.، شمال الحجاز، تر: عبدالمحسن الحسيني، (الإسكندرية، مؤسسة الثقافة الجامعية، ١٩٨٨)، ص٢١.

(٦) Rostovtzeff, M., Caravan Cities (New York, AMS Press, 1971), P.48 سيشار له فيما بعد: Rostovtzeff, Caravan cities.

(٧) Ibid, P. 53

بدأت مسيرة هذه المدينة في زمن التسلط الفارسي التي تبعتها الفترة الهلنستية المبكرة والتي أثرت تأثيراً حضارياً واقتصادياً على مدينة البتراء، أما في العصر الذهبي من تاريخها الذي تزامن مع الفترة الهلنستية المتأخرة فاستطاعت أن تطور تجارتها وتقوم بعملية التبادل على مستوى السلع إلى أبعد ما يكون من المناطق في ذلك الزمان، حيث وصل التجار النبطيون إلى صيدون "Sidon " شمالاً وإلى بيتولي "Puteoli" في إيطاليا، متحكمين في الوقت نفسه بكل الطرق التجارية وبذلك كوّنوا اقتصاداً ثرياً ومزدهراً[١].

ثانياً: الحجر "مدائن صالح"

تقع الحجر على بُعد (٢٠كم) شمال مدينة العلا[٢] وعلى بُعد (١١٠كم) جنوب تيماء[٣] وعلى بُعد (٤٠٠كم) إلى الجنوب الشرقي من البتراء[٤]، وقد عُرفت الحجر قديماً باسم "أجرا" "Egra" عند سترابو[٥]. ويذكرها بيلني في التاريخ الطبيعي باسم (هيجرا) (Eaegra) أو هجرا ""Hegra"[٦]. أما الاسم الآخر الذي ارتبط بالمنطقة هو "مدائن صالح" فيرجع إلى أوائل العصر الاسلامي أو قبله مباشرة ويرتبط باسم النبي صالح عليه السلام الذي أقام في المكان داعياً أهل ثمود[٧] لعبادة الله وطاعته وينهاهم عن الفساد في الأرض "فقالوا ما أنت إلاّ بشر مثلنا فأتِ بآية إن كنت من الصادقين قال «هذه ناقة الله لها شرب ولكم شرب يوم معلوم ولا تمسوها بسوء يأخذكم عذاب يوم عظيم فعقروها فأخذتهم الرجفة فأصبحوا في ديارهم جاثمين". وهذا ما يؤكده القرآن الكريم في الآيات "٧٣، الأعراف، ٦١، هود، ٨٠، الحجر، ١٤٢، الشعراء، ٤٥، النحل، ٩، الفجر".

وهذه القصة تتفق مع الأخبار التي تركها الكُتاب الأقدمون كذلك النقوش الموجودة في معبد الغوّافة[٨].

ويمكن القول أن بداية نشأة هذه المدينة يرجع إلى أوائل الألف سنة قبل الميلاد ومن المحتمل أن الديدانيين قد حكموها[٩] ومن ثم جاء بعدهم اللحيانيون في حوالي القرن الثاني قبل الميلاد وقد اتخذوها عاصمة لدولتهم، واللحيانيون عرب بقي اسمهم في أماكن عدّة

---

(١) Rostovtzeff, Garavan cities, P. 50.

(٢) "البراهيم، محمد، تقرير مبدئي عند نتائج حفريات الحجر"، مجلة أطلال، الرياض، ع(١١)، ١٩٨٨، ص٥٧-٦٨.

(٣) "هيلي، جون، الأنباط ومدائن صالح"، مجلة إطلال، الرياض، ع(١٠)، ١٩٨٦، ص١٣٥-١٤٤.

(٤) المحيسن، البتراء، ص٢٠٧.

(٥) موسل، المصدرالسابق، ص١٠٦.

(٦) المصدر نفسه، ص١٠٧.

(٧) هيلي، المصدر السابق، ص١٣٥-١٤٤.

(٨) موسل، المصدر السابق، ص٩٢.

(٩) البراهيم، المصدر السابق، ص٥٧-٦٨.



من شمال الحجاز وقد كانوا سادة الإقليم لفترة من الزمن إبان الحكم النبطي وكان مركزهم الرئيس هو واحة ديدان على بعد (٢٠كم) إلى الجنوب من الحجر[١].

وتشير النقوش أن مملكة اللحيانيين قد وقعت في نهاية الأمر بيد القائد النبطي مسعودو - مسعود - ولكننا لا نعرف شيئاً عن زمن حدوث ذلك ومتى دمجت مدائن صالح مع مملكة الأنباط فرُبّما يكون ذلك في القرن الأول قبل الميلاد[٢] فقد جاءت أول إشارة إلى الأنباط في مدائن صالح من جغرافية سترابو الذي يخبرنا عن الغزوة التي قادها أوليوس جالوس إلى جنوب بلاد العرب وذلك عند سلوكه الطريق التجاري الموصل إلى سوريا والتي يقع عليها أهم مركز تجاري للأنباط وهو الحجر[٣].

وقد تنامت أهمية الحجر في عصر الحارث الرابع ملك الأنباط "٩ق.م-٤٠م" حيث جعلت منطقة عسكرية واستراتيجية للانسحاب في حالة استيلاء الرومان على البتراء ولا سيما أن الحارث قد تعرض لضغط روماني شديد في أثناء حكم الإمبراطور "أغسطس" ويمكن تفسير هذا الاهتمام بالمنطقة بالخسارة التجارية التي تعرض لها الأنباط بعد أن أصبح البحر الأحمر مجالاً لنشاط الغزاة الرومان وهذا يعني أنهم لم يخسروا التجارة البحرية فقط وإنما تضاءلت حصتهم من تجارة البر حتى أصبحت طريق البترا - غزة تكاد تكون مهجورة، من هنا جاء الاهتمام بالمنطقة الجنوبية لإنعاش الوضع التجاري[٤].

ثالثاً: أم الجمال

تقع أم الجمال على مسافة (١٢كم) إلى الشرق من مدينة المفرق حالياً وهي مبنية من الحجر الأسود الناري وتمتد شرقاً فتدخل حدود جبل الدروز حتى تصل بلدة بصرى الموجودة حالياً في سوريا[٥].

ويُعد مناخ أم الجمال مناخاً صحراوياً إذ أن معدل سقوط الأمطار السنوي فيها لا يتجاوز (٢٠٠ملم)، وتتميز تربة المنطقة بخصوبتها فهي تتكون من تربة بازلتية رملية[٦].

وقد تمتعت أم الجمال بمركز تجاري مهم وذلك لوقوعها على طريق وادي السرحان كما تشير النصوص والدلائل إلى وجود استثمار زراعي تدل عليه الأحواض والصهاريج[٧]. ولقد

---

(١) جواد، علي، تاريخ العرب، ص٥٠. قارن موسل، المصدر السابق، ص١٠٧.

(٢) هيلي، المصدر السابق، ص١٣٥-١٤٤.

(٣) موسل، المصدر السابق، ص١٠٦.

(٤) عباس، إحسان، تاريخ دولة الأنباط، ط(١)، (عمان، دار الشروق، ١٩٨٧)، ص٦٠.

(٥) هاردنج، لانكستر، آثار الأردن، تر: سليمان موسى، ط(٣)، (عمان، وزارة السياحة، ١٩٨٢) ص١٨٣.

(٦) المحيسن، البتراء، ص١٩٢.

(٧) عباس، المصدر السابق، ص٨٣.

زادت أهمية أم الجمال في زمن الملك النبطي رابيل الثاني عندما نقل العاصمة من البتراء إلى بصرى فازدادت أهمية الطريق التجاري إلى الصحراء السورية عبر وادي السرحان الذي تقع أم الجمال على امتداده، ومما يؤكد التواجد النبطي في أم الجمال في القرن الأول قبل الميلاد ما وجد من نقوش نبطية(١).

ويبدو أن الساحات المفتوحة في داخل مدينة أم الجمال قد أُعِدت لإقامة القوافل العابرة التي رُبما نشأت عنها التسمية التي نطلقها عليها اليوم أم الجمال.

وقد استولى الرومان على أم الجمال في أوائل القرن الثاني بعد الميلاد ومن المحتمل أنهم أطلقوا عليها اسم "ثانتيا" لأن الجغرافيين الأوائل يذكرون بلدة تحمل هذا الاسم، وقد كانت أم الجمال في العصر البيزنطي مركزاً دينياً مهماً لوجود مالا يقل عن خمس عشرة كنيسة في هذه المدينة الصغيرة(٢).

رابعاً: النقب

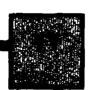
وهي منطقة مثلثة الشكل تقع جنوب فلسطين ويحدها من الغرب شبه جزيرة سيناء ومن الشرق وادي عربة أما من الشمال فتتصل بالسهل الساحلي المطل على البحر الأبيض المتوسط وهي ذات طبيعة صحراوية جافة وتجوب فيها القبائل الرُّحل وفي العصر النبطي شهدت نهضة زراعية لمهارة الأنباط في استصلاح الأراضي واستنباط المياه و استغلالها في الزراعة(٣).

وتتكون هذه الولاية من العديد من المدن النبطية المهمة كعبدة وخلاصة، وعوجا الحفير، وسبيطه وكرنب ممسيس(٤).

أصل الأنباط:

* ما زال الموطن الأصلي للأنباط و أصل تسميتهم موضوعين مفتوحين للحوار والمناقشة ومن خلال ما توفر لدينا من مصادر تشير إلى أن النبط اسم لقوم وليس اسم لمنطقة(٥). وقد اختلف المؤرخون في أصل الأنباط فذهب القديس جيروم أنهم من نسل "نبايوط" Na-baioh الابن الأكبر لاسماعيل(٦). وهناك من يرى أنهم من العراق جاء بهم نبوخذ نصّر في

(١) المحيسن، البتراء، ص١٩٤.
(٢) هاردنج، المصدر السابق، ص١٨٧.
(٣) "ايفنارى وكولر، أساطين الصحراء"، تر: عبدالكريم الخضيري، مجلة الزراعة العراقية، بغداد، ١٩٥٦، ص٤٢٦-٤٢٩.
(٤) Negev, A., The Chronology of the Middle Nabatean Period", PEQ101, (1969), Pp.5-14"
سيشار له فيما بعد: Negev, The Chronology of the
(٥) "فخري، أحمد، اتجاهات حديثة في دراسة تاريخ الأنباط"، حولية دائرةالاثار العامة، عمان، ع(١٧)، ١٩٧٢، ص١٢.
(٦) Lindner, Petra and das, P. 38.



القرن السادس قبل الميلاد عند تحريره لفلسطين وأنهم نزلوا البتراء واستقروا بها[١]، ورأي آخر يذكر أنهم من وسط شبه جزيرة العرب[٢] ورأي يؤكد أنهم من اليمن[٣]. وأنا أميل إلى قبول هذا الرأي إذ أنهم هاجروا من اليمن طلباً للرزق والزراعة ورعاية الماشية ويؤكد هذا الأمر انتهاج الأنباط طرق الري والزراعة والنحت على غرار العديد من المنشآت المائية الموجودة في اليمن[٤]. ومن الواضح أن الأنباط لم يأتوا مباشرة من موطنهم الأصلي في اليمن إلى ادوم بل استقروا قرناً من الزمان في الحجاز[٥] وقد آلفوا خلال هذه الإقامة عبادة الآلهة التي وجدوها في موطنهم الجديد في الحجاز وبعد هذه الإقامة تحوّلوا باتجاه حدود دولة الأدوميين واستطاعوا عند قدومهم أن يغلبوا السكان الأصليين ويستوطنوا البلاد وقد حدث مع الأنباط عند قدومهم ما يحدث دائماً في مثل هذه الظروف وهو تأثر القادمين الجدد بالسكان القدامى فقد ورث الأنباط تراث آدوم[٦] وحافظوا على نظام الكتابة والقواعد ولغة الأدوميين فظهر بذلك نوع من الثقافة المشتركة بينهما[٧].

عروبة الأنباط:

لعل أوجه الخلاف بين الباحثين في أصل الأنباط يرجع إلى الآتي: "هل هم عرب أم آراميون"؟

وتتجه الآراء القديمة والحديثة إلى أنهم عرب وإن استعملوا الآرامية في كتاباتهم والأدلة على ذلك:

أولاً: إن أسمائهم وأسماء ملوكهم عربية خالصة كالحارث وعبادة ومالك وجميلة وأسد وأوس وعبدة وأوس الله ويرغوث وبكر وحنظل ورجب وعمرو وعمر وعدي وكلب ومعن وجذيمة ووهب[٨].

ثانياً: إنهم ينسبون على الرأي الأرجح إلى "نابت بن اسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام" كما ذكرنا سالفاً[٩].

---

(١) kammerer, A, Petra et la Nabatene, Vol. 1, (Librairie Drientaliste, Paris, 1930), P. 27

(٢) Lindner, Petra and das. P. 38.

(٣) فخري، المصدر السابق، ص١٢.

(٤) المحيسن، البتراء، ص٢٠.

(٥) فخري، المصدر السابق، ص ١٢.

(٦) Lindner, Petra and das, P. 40.

(٧) Kammerer, op.cit, p28.

(٨) Starcky, J., Petra et la Nabatene, Supplement an dictionnaire de Bible, Vol, VII, 1966, P. 942

وقارن ولفنسون، اسرائيل، تاريخ اللغات السامية، ط١، (بيروت، دار القلم، ١٩٨٠)، ص١٣٥.

(٩) Lindner, Petra and das, P. 38.

ثالثاً: إنهم يشاركون العرب في عبادة بعض الأصنام المعروفة عند العرب مثل العزى وشيع القوم واللات[1].

رابعاً: أطلق المؤرخ يوسف فلافيوس (٣٧-١٠٠م) لفظة عرب على أهل الأنباط وأطلقت المصادر اليونانية والرومانية على المنطقة التي يسكنها أهل الأنباط اسم "Arabia Petraea" أي العربية الحجرية[2].

خامساً: أن لغتهم الأصلية إنما كانت العربية وأنهم كانوا يستعملون الكتابة الآرامية فقط في النقوش وسائر الشؤون العمرانية[3].

سادساً: إن أثر التحريف العربي في كتاباتهم الآرامية، لا يدع مجالاً للشك أن لغتهم الوطنية إنما كانت لهجة عربية شمالية ولكثرة استعمال الكلمات العربية الصرفة في إحدى الكتابات المتأخرة[4] يظهر أن النص يكاد يكون عربياً كله[5]*

---

(١) Dalman, G., Petra and Siene Felsheiligtumer, (Leipzing, N.P., 1908), P.51-52.

(٢) جواد، علي، تاريخ العرب، ج٣، ص٩.

(٣) ولفنسون، المصدر السابق، ص ١٣٥.

(٤) والذي يرجع إلى حوالي ٢٦٨م. راجع حتي، تاريخ سوريا، ص٤٢٦.

(٥) المصدر نفسه، ص ٤٢٦.

الفصل الأول
الأحوال الاجتماعية



الذين قاموا بعدة حملات لاحتلالها وضرب احتكارها للتجارة[1]. ويمكن أن نتصور أيضاً وضع المجتمع الاقتصادي في هذه المملكة من القصة المعروفة بدولة الشمس للكاتب العربي النبطي أمبولس، حيث صور رفاهية الأرستقراطية العربية كما صور وضع الفئة الثالثة عندما تخيلها في الدولة الخيالية الخالية من التناقض والذي ساوى بين فئاتها[2].

ويبدو أن هذه الفئة هي التي كانت ترسم سياسة الدولة طبقاً لمصالحها الاقتصادية وعلى الفئات الأخرى الخضوع والتنفيذ[3].

٢- المواطنون الأحرار:

وتتكون من الجند المسلح المعدين لحفظ النظام وحماية القلاع وحراسة القوافل، كما تتكون من الفلاحين لزراعة الأرض واستغلالها وكذلك الصناع والتجار من متوسطي رؤوس الأموال، ويذكر لنا "رودو كناكيس" أن هذه الفئة كانت تمنح بعض الإقطاعات الزراعية التي يقومون على استغلالها فتسد بذلك حاصلاتها رمقهم[4]. كما يذكر الدكتور منذر البكر أن هذه الفئة تخضع لفرض الضرائب من قبل الفئة الأولى وفي الأزمات الاقتصادية تتحول هذه الفئة إلى فئة العبيد، وقد تأثرت هذه الفئة بالمجتمع الروماني لا سيما عندما أدخل الحارث الثالث مملكة الأنباط ضمن محور الحضارة الهلنستية[5].

٣- فئة العبيد:

وهذه الشريحة فاقدة للحقوق السياسية والاقتصادية، إذ يذكر محمود الروسان أن هذه الفئة توجد عند الأنباط كما وجدت عند لحيان ومعين حيث عثر في نقوش الحجر ذكرٌ لهذه الفئة أو الشريحة[6].

ونجد أن هؤلاء العبيد غير أحرار وإنما هم تابعون للأرض ويسمون عند عرب الجنوب (ادومت)[7] ووصفتهم كتب الأدب بالصعاليك، كما وجد لأحدهم قصيدة تصف حياة

---

(١) انظر، ص١١٨-١٢٠، من هذه الدراسة.

(٢) راجع "البكر، منذر، إيمبولس الكاتب العربي الطوبائي"، مجلة المورد، بغداد، مج ١، ع٤، ١٩٧١، ص٩-١٢. سيشار له فيما بعد: ا لبكر، ايمبولس الكاتب العربي.

(٣) المصدر نفسه، ص٩-١٢.

(٤) رودو كناكيس، المصدر السابق، ص١٣٠.

(٥) حديث خاص مع الدكتور منذ البكر.

(٦) الروسان، محمود محمد، القبائل الثمودية والصفوية، دراسة مقارنة، (الرياض، جامعة الملك سعود، عمادة شؤون المكتبات، ١٩٨٧)، ص١١٧-١١٨.

(٧) رودو كناكيس، المصدر السابق، ص١٣٠.

عرف المجتمع العربي النبطي نوعاً من التباين في فئاته وشرائحه الاجتماعية. وهذا أمرٌ معروف وواضح في الدولة التجارية، فالفئة العليا هي الأرستقراطية العربية صاحبة رأس المال التجاري والتي بيدها السلطة لتحكم الشعب، كما نجد ذلك واضحاً في جنوب الجزيرة العربية وكل الدول التجارية الأخرى. غير أننا لا نملك للأسف نصوصاً واضحة و صريحة عن طبيعة المجتمع ولكن يمكننا أن نتصور أن في هذا المجتمع فئة زراعية واسعة فيها العمال العبيد، والعبيد الخدم، والعمال الزراعيون والفلاحون ولا بد من وجود فئة أشبه بالمتوسطة تتحمل دفع الضرائب، كما عرف المجتمع النبطي فئة أخرى تدعى فئة الأجانب[1].

وإليك تفصيل الحديث عن هذه الفئات:

١- الأرستقراطية العربية:

وتتكون من أصحاب المعابد - رجال الدين - والأراضي الكبيرة وشيوخ القبائل وكبار التجار، والموظفين الكبار ونواب الملك في المحطات التجاريه. ويمكن أن نسميها طبقة الحكام والكهنة والمشايخ، وهذه الفئة هي صاحبة الامتيازات الاقتصادية والسياسية[2]، وتسمى أيضاً فئة الأشراف وهي مالكة الأراضي، كما يدخل في ضمن هذه الفئة شيوخ العشائر الذين يملكون الإقطاعات الواسعة[3].

ومن المؤكد أن هذه الفئة كانت تُشرف على طرق المواصلات كما أنها كانت تحتكر الأسواق وتتحكم بالأسعار، وهي التي تقرض الأموال إذ بلغ من قدرة هذه الفئة على الإقراض أنها أقرضت الدولة مبالغ من المال كما فعلت السيدة رومي النجرانية حيث أقرضت الدولة مبالغ من المال وتنازلت عنه وعن أرباحه[4].

وفي ضوء ذلك يمكننا أن نتصور الإمكانية الاقتصادية والمالية للأرستقراطية العربية التي تتحكم برأس المال التجاري في ذلك الوقت، الأمر الذي يدفعنا إلى أن نتصور الإمكانية الاقتصادية للأرستقراطية العربية في مملكة الأنباط التي بلغ ثراها مسامع اليونان والرومان

---

(١) Rostovtzeff, M., The Social and Economic History of Hencnistic World, (Oxford, N.P., 1967), P. 754 سيشار له فيما بعد: Rostovtzeff, The Social and Economic.

(٢) رودو كناكيس، الفصل الثالث من تاريخ العرب القديم، نلسن ديتلف، تر: فؤاد حسنين، (القاهرة، مكتبة النهضة المصرية، ١٩٥٩)، ص١٣١.

(٣) المصدر نفسه، ص ١٢٠.

(٤) نينا فكتور فنا بيفو ليفسكيا، العرب على حدود بيزنطة وايران من القرن الرابع إلى القرن السادس الميلادي، تر: صلاح الدين عثمان، (الكويت، د.ن، ١٩٤٦)، ص٣٠٣-٣٠٦.

الصعاليك وما تتحمل من حرمان وجوع[1].

وفي قصة أمبولس نستطيع أن نستنتج ردود أفعال هذه الفئة أو الشريحة عند وصفه للحياة الاجتماعية داخل دولته التي أطلق عليها اسم دولة الشمس وهي خالية من التناقضات والصراع، فكانت كتابته تعكس لنا معاناة هذه الفئة من المجتمع[2].

٤- فئة الأجانب:

نستنتج وجود هذه الفئة في مدينة البتراء من كونها مركزاً تجارياً مهماً فلا بد لتجارة الأجانب من وجود مركز فيها فهناك الصيارفة والممثلين للتجار الأوروبيين وهذا يكثر في المدن التجارية كما هي الحال في دولة ميسان العربية[3]. وكذلك دولة تدمر[4].

المبحث الثاني: العائلة:

تعد العائلة في عهد الأنباط الوحدة الأساس لذلك المجتمع شأنها شأن كل المجتمعات الإنسانية، وتدل النقوش والكتابات على وجود ترابط وتماسك أسري بين أفرادها والحرص على الاستمرار في الحفدة، واحتفال بالنسب ورفع له[5].

وتتكون العائلة النبطية من الزوج والزوجة والأبناء الطبيعيين والمتبنين، ويعتمد نظام العائلة عند الأنباط على أركان ثلاث هي: الزواج والطلاق والإرث. وسأتناول هذه الأركان بالتفصيل معتمداً في كثير من الأحيان على المقارنة والاستنتاج، وذلك لقلة النصوص التاريخية التي تتحدث عن هذه الأركان.

١- الزواج:

هو اتحاد قانوني واجتماعي متفق عليه بين واحد من الأزواج وواحدة من الزوجات وينظم وفق النظم والعادات السائدة ليوضح حقوق وواجبات كلا الطرفين[6]. وقد جاءت كلمة "زوج"

---

(١) خليف، يوسف، الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي، ط٢، (القاهرة، دار المعارف، ١٩٦٦) ، ص٤٧ وما بعدها.

(٢) البكر، إيمبولس الكاتب العربي، ص٩-١٢.

(٣) "البكر، منذر، الجذور التاريخية لعروبة الأحواز قبل الإسلام"، (البصرة، مطبعة جامعة البصرة، ١٩٨١)، ص٨. سيشار له فيما بعد: البكر، عروبة الأحواز.

(٤) العلي، صالح، محاضرات في تاريخ العرب، ج١، (بغداد، مطبعة المعارف، ١٩٥٥)، ص٣٩.

(٥) عباس، المصدر السابق، ص١٢٢. وكذا الحوفي، أحمد محمد، الحياة العربية من الشعر الجاهلي، ط٤، (القاهرة، مكتبة نهضة مصر، ١٩٦٢)، ص٢١٩.

(٦) الهاشمي، رضا جواد، نظام العائلة في العهد البابلي القديم، (البصرة، جامعة البصرة، ١٩٧٠)، ص٣٨. سيشار له فيما بعد: الهاشمي، نظام العائلة.

الذين قاموا بعدة حملات لاحتلالها وضرب احتكارها للتجارة[1]. ويمكن أن نتصور أيضاً وضع المجتمع الاقتصادي في هذه المملكة من القصة المعروفة بدولة الشمس للكاتب العربي النبطي أمبولس، حيث صور رفاهية الأرستقراطية العربية كما صور وضع الفئة الثالثة عندما تخيلها في الدولة الخيالية الخالية من التناقض والذي ساوى بين فئاتها[2].

ويبدو أن هذه الفئة هي التي كانت ترسم سياسة الدولة طبقاً لمصالحها الاقتصادية وعلى الفئات الأخرى الخضوع والتنفيذ[3].

٢- المواطنون الأحرار:

وتتكون من الجند المسلح المعدين لحفظ النظام وحماية القلاع وحراسة القوافل، كما تتكون من الفلاحين لزراعة الأرض واستغلالها وكذلك الصناع والتجار من متوسطي رؤوس الأموال، ويذكر لنا "رودو كناكيس" أن هذه الفئة كانت تمنح بعض الإقطاعات الزراعية التي يقومون على استغلالها فتسد بذلك حاصلاتها رمقهم[4]. كما يذكر الدكتور منذر البكر أن هذه الفئة تخضع لفرض الضرائب من قبل الفئة الأولى وفي الأزمات الاقتصادية تتحول هذه الفئة إلى فئة العبيد، وقد تأثرت هذه الفئة بالمجتمع الروماني لا سيما عندما أدخل الحارث الثالث مملكة الأنباط ضمن محور الحضارة الهلنستية[5].

٣- فئة العبيد:

وهذه الشريحة فاقدة للحقوق السياسية والاقتصادية، إذ يذكر محمود الروسان أن هذه الفئة توجد عند الأنباط كما وجدت عند لحيان ومعين حيث عثر في نقوش الحجر ذكرٌ لهذه الفئة أو الشريحة[6].

ونجد أن هؤلاء العبيد غير أحرار وإنما هم تابعون للأرض ويسمون عند عرب الجنوب (ادومت)[7] ووصفتهم كتب الأدب بالصعاليك، كما وجد لأحدهم قصيدة تصف حياة

---

(١) انظر، ص١١٨-١٢٠، من هذه الدراسة.

(٢) راجع "البكر، منذر، إيمبولس الكاتب العربي الطوبائي"، مجلة المورد، بغداد، مج ١، ع١، ١٩٧١، ص٩-١٢. سيشار له فيما بعد: البكر، ايمبولس الكاتب العربي.

(٣) المصدر نفسه، ص٩-١٢.

(٤) رودو كناكيس، المصدر السابق، ص١٣٠.

(٥) حديث خاص مع الدكتور منذ البكر.

(٦) الروسان، محمود محمد، القبائل الثمودية والصفوية، دراسة مقارنة، (الرياض، جامعة الملك سعود، عمادة شؤون المكتبات، ١٩٨٧)، ص١١٧-١١٨.

(٧) رودو كناكيس، المصدر السابق، ص١٣٠.

في المعاجم اللغوية العربية بمعنى (الاتحاد) الذي يتم بين الجنسين وهي مصدر وفعلها (زوج) وزوجناهم أي بمعنى قرناهم من الاقتران والقران بمعنى الحبل المفتول من لحاء الشجر ويعني أيضاً ربط البعيرين في حبل وعقد القران يدل على ربط الحبل وقرينته بالمقارنة التزويج[1]. لقد شهد الزواج أشكالاً عدة باختلاف الزمان والمكان، والفروق الرئيسة في أشكاله متمثلة في الحقوق الجنسية بين الطرفين، وتبعية الأولاد الناجمين عنه ونسبهم ومسؤولية تربيتهم وتنظيم حقوق الوراثة وتقسيم العمل بين الجنسين[2].

ونتيجة لهذا الاتحاد القائم بين الجنسين تنشأ العائلة المختلفة في مسؤولياتها عن مسؤولية طرفي الاتحاد في العملية المسماة بالزواج، فاتحاد الجنسين حاجة طبيعية لا بد إنها سبقت جميع أشكال النظم الزوجية ولكن هذا الزواج يؤدي في النهاية إلى تكوين العائلة عند التزام طرفيه بالمسؤوليات والحقوق والواجبات التي تفرض نفسها بقيامه والتي تنظم حسب المستوى التطوري الذي بلغه المجتمع في فترات تاريخية مختلفة[3].

وعلى الرغم من عدم توفر المعلومات الدقيقة عن الأشكال الأولى للزواج عند الأنباط ولكن من المرجح أنه قد مر بمراحل تطورية مختلفة شأنه في ذلك شأن غيره من المجتمعات البدائية قبل مراحل نضوجها الحضاري.

ويبدو أن نظام العائلة عند الأنباط كان أبوياً وبذلك يحق للرجل لأنه الركن الأساس لهذا النظام أن يكون سيد الأمر يمتلك حق إجراء الزواج أو فسخه كذلك حق التزوج بأكثر من امرأة كما تشير إلى ذلك النصوص التاريخية التي تحدثنا عن الملك الحارث الرابع الذي أشرك نسائه في الحكم فكانت زوجته الأولى خلدو وزوجته الثانية شُقيلة الأولى وأيضاً زمن الملك رابيل الثاني ذكر معه زوجته الملكة الأولى جميلة ثم الملكة الثانية زوجته هجرو[4].

أما الركن الثاني في عملية الزواج وهي المرأة فيبدو إنها لم تملك القرار في الزواج أو الطلاق، وليس لها حق السيادة على نفسها، فالسيادة على المرأة تنتقل من أبيها أو أخيها قبل زواجها إلى زوجها ولكن ذلك لا يعني انعدام حقوق المرأة النبطية، فقد كنّ النساء النبطيات يقمن المقابر الخاصة بهن وكان لهن حق التملك[5]. كما نجد ذلك في النقوش العربية الجنوبية حيث جاء ذكر السيدة رومي وما تملكه من إرث كبير ساعدها على تقديم

---

(١) ابن منظور، أبي الفل جمال الدين محمد بن مكرم، لسان العرب، (بيروت، دار صادر، ١٩٥٥)، مادة (قرن). سيشار له فيما بعد: اللسان.

(٢) الهاشمي، نظام العائلة، ص٣٩.

(٣) الحوفي، المصدرالسابق، ص١١٩.

(٤) Lindner, M., Der Nabateers een vergeten volk an de dodezee, (Tongeren, Delp., 1971), P. 45
سيشار له فيما بعد: Lindner, Der Nabateers eeen.

(٥) هيلي، المصدر السابق، ص١٤٣.

قرض كبير إلى حكومة اليمن في عهدها، كما أسلفنا[1].

كما كشفت النقود لنا احتلال المرأة مكانة رفيعة في المجتمع وبذلك يتفق الأنباط مع القبائل العربية الأخرى التي ذكرتها النصوص الآشورية من إجلال المرأة واحترامها[2]. فقد عرف عن النساء النبطيات تقلد بعض المناصب المهمة في الدولة فقد عرفوا الملكات كزوجات وأمهات عندما يكون الملك تحت سن الرشد أو غير متزوج[3]، كما وجدت قطعة من النقد تعود إلى عهد عُبادة الأولى وصورة الملكة على أحد وجهيها ومعه صورة امرأة يظن إنها صورة أمه وهذه إشارة إلى أن أمه كانت وصية عليه في بداية حكمه لأنه كان قاصراً[4].

وكان الزواج عند الأنباط كما هو شأنه عند العرب يسجل في عقد رسمي وبدونه لا تعد المرأة زوجة، فعقد الزواج يمثل وثيقة رسمية تنص على شروط الاتفاق وتتضمن الحقوق والواجبات بين الطرفين، ومن خلال هذا العقد يصبح الرجل زوجاً والمرأة زوجة وهذا هو الهدف الرئيس من العقد ومن المفترض أن يسبق إجراء عقد الزواج مفاوضات بين أولياء أمور الطرفين لتحديد الصيغة الأخيرة لشروط العقد والاتفاق على المهر والخطوبة ووقت إتمام الزواج. وكان المهر يدفع من قبل والد الزوج إلى والد الزوجة ويختلف مقداره باختلاف مركز أولياء الأمور، وكان يحق للزوج استرداد المهر إذا لم يتم الزواج وفي حالة وفاة الزوجة[5].

إن الزواج عند الأنباط كما ذكرنا قبل قليل لا يختلف عما هو معروف عند قبائل العرب ولا سيما الحجاز وهناك أنواع عدة من الزواج ذكرها الدكتور جواد علي وهي الزواج بالأباعد وهو أن يتزوج الفرد من قبيلة أخرى وهذا الزواج أشبه ما يكون بزواج سياسي وهناك أنواع أخرى نجدها في كتاب محاضرات في تاريخ العرب قبل الإسلام للدكتور صالح أحمد العلي، ولا شك أن هذا الأسلوب نفسه كان متبعاً عند الأنباط لأنهم قبائل عربية أصلاً ولغة وعادات.





أنواع الزواج:

١- الزواج بالأباعد:

عرف العرب من خلال تجاربهم أن الزواج بالأباعد أدعى إلى إنجاب النسل الجيد من

---

(١) بيفوليفسكيا، المصدر السابق، ص٣٠٣-٣٠٦.

(٢) الهاشمي، رضا جواد، آثار الخليج العربي والجزيرة العربية، (بغداد، جامعة بغداد، ١٩٨٤)، ص٢٥٤.

(٣) Hammond, Ph. C., The Nabataean-Their History, Culture and Archaelogy, (Gothenburg, N.P., 1973), P. 118.
سيشار له فيما بعد: Hammoud, Their History, culture.

(٤) جواد، علي، تاريخ العرب، ج٣، ص٣٧.

(٥) صالح، العلي، المصدر السابق، ص١٢٣.

الأولاد[1]. إلاّ أنهم نادراً ما كانوا يميلون إلى الزواج خارج العشيرة لأن هذا يفرض عليهم أن يأخذوا من ترضى ترك عشيرتها لتسكن مع عشيرة زوجها الغريبة والبعيدة عنها، وبذلك فإن الرجل إما أن لا يرى زوجته إلاّ لفترات قصيرة يزورها خلالها وإما أن يسكن مع عشيرة زوجته التي قد لا تعطف عليه وربما هذا النوع من الزواج كان مقصوراً على رؤساء القبائل وذلك لأغراض سياسية[2].

وقد جاء في العهد الجديد إشارة لزواج هيردوس انتيباس بن هيردوس الكبير بإحدى بنات الملك الحارث الرابع وربما تكون سعادات - سعدى - وكانت والدتها خلدو التي كانت ملكة لغاية عام (٢٧م) وهناك إشارة أيضاً إلى زواج انتباتر الأدومي من أميره نبطية تدعى "Kypros" التي ولدت له هيردوس، فقد كان هناك نزاع ما بين هركانوس وأرستو بولوس اخر سلالة أمراء المكابين وقد لجأ هركانوس إلى البتراء بصحبة مستشارة انتباتر الأدومي ونتيجة لهذا الزواج السياسي تعاون الحارث الثالث مع هركانوس ضد أرستوبولوس وهزماه[3].

٢- الزواج الداخلي:

كان هذا الشكل من الزواج شائعاً عند الأنباط وذلك لاعتقادهم أنه من خلاله تتم وحدة وانسجام العشيرة. ويرى كامر[4] أن زواج الأخت قاعدة متبعة حيث يمنح الوالد ابنته لولده ليتزوج منها حيث يقول كامر: "ومنذ زمن الملك مالك الثاني كان الملوك يتزوجون من خواتهم وذلك لتكوين عائلة ملكية ذات دماء نقية" من الواضح أن "كامر" استدل على ذلك من خلال وصف صورة الملكة على نقود مالك الثاني بشقيقه الملك[5] وقد عزى هؤلاء الباحثون هذه العادة إلى تأثر الأنباط بالمصريين القدماء وذلك للمحافظة على نقاء دم العشيرة[6].

بيد أنني أرى وكما أثبتت جميع الدراسات الحديثة أن مثل هذه العادة وإن كانت موجودة عند الفرس والمصريين فلم تكن موجودة عند العرب، وبالتالي فإنه من المستبعد أن تكون هذه العادة موجودة عند الأنباط العرب فضلاً عن ذلك أن الوزير الأعظم الذي كان يختاره الملك من عامة الشعب ليقوم بمهام الوزارة يطلق عليه لقب أخو الملك[7]. وبالتالي فليس من

---

(١) الحوفي، المصدر السابق، ص٢٢١.

(٢) صالح، العلي، المصدر السابق، ص١٢٣.

(٣) "ستاركي، جان، النبط". تر: محمود العابدي، حولية مديرية الآثار العامة، عمان، ع(١٥)، ١٩٧٠، ص٦. سيشار له فيما بعد: ستاركي، النبط.

(٤) Kammerer, op. cit, P. 376.

(٥) Ibid, P. 376.

(٦) عصفور، محمد أبو المحاسن، معالم حضارات الشرق الأدنى القديم، ط٢، (بيروت، دار النهضة العربية، ١٩٨١)، ص١٩.

(٧) Kammerer, op. cit, P.



المستبعد أن يطلق على زوجة الملك شقيقة الملك لتعني الحبيبة أو المقربة إليه ولا تعني أخته الحقيقية.

٣- الطلاق:

إذا انتهت العلاقة القانونية والشرعية التي تربط الرجل بالمرأة كان ذلك طلاقاً وكلمة طلّق جاءت في المعاجم العربية ولا سيما لسان العرب بمعنى (ترك) وطلّق البلاد أي تركها، وطلّق الرجل امرأته وطلقت هي، بالفتح، وطلّقت القوم: بمعنى تركتهم، وأنشد ابن الأحمر:

غطارفة يرون المجد غُنماً إذا ما طلّق البرم العيالا

أي بمعنى تركهم كما يترك الرجل المرأة، وطلاق النساء يعطي معنيين إحدهما حل عقدة النكاح والآخر بمعنى التخلية والإرسال[١].

ويبدو من خلال دراسة موضوع الزواج عند الأنباط إن الأرجحية في الحقوق كانت للرجل، إلاّ أننا نفتقد للوثائق الخاصة بالقوانين المتعلقة بالطلاق عند العرب الأنباط، ولكن من المظنون أنه يحق للرجل أن يُطلق في حالات خاصة كما هو سائد عند العرب والأقوام الجزيرية الأخرى.

فقد كان يُستخدم عند الشعوب القديمة مصطلحات يقصد بها التعبير عن الرغبة في الطلاق، وكما هو معروف عند البابليين عبارة (ترك) أو قول الرجل لزوجته (أنت لست زوجتي) أو ما يرد على لسان الزوجة الراغبة في الطلاق من مصطلحات كقولها: (كرهت) أو تقول "أنت لست زوجي" أو قولها (سوف لا تأخذني)[٢].

وكانت عادة أهل الجاهلية أن يقول الرجل لزوجته إذا طلّقها (حبلك على غاربك)[٣] أي أخليت سبيلك فاذهبي حيث شئت وكذلك قولهم (أنت مخلى كهذا البعير)[٤].

من هنا لا بُدّ من وجود مصطلحات استخدمها العرب الأنباط للتعبير عن الطلاق غير أنّ الوثائق والنقوش لم تكشف لنا مثل هذه العبارات، وهناك حالات يحق للرجل الحصول على الطلاق الشرعي منها امتناع الزوجة عن الممارسة الطبيعية والإخلال بالالتزامات الزوجية وعدم حرصها على شرفها وسمعة زوجها. إن أرادت الزوجة في ترك زوجها فله الحق في استعادة المهر الذي أعطاه مع كافة المصاريف التي صرفها على حفلات الزواج كما هو شائع في المجتمع العربي حالياً.

وهناك حالة أيضاً كان من أجلها يتم الطلاق وهي عدم الإنجاب، فالأبناء كانوا عنصراً

(١) اللسان، ج (١٠)، ص٢٢٥-٢٢٦.

(٢) الهاشمي، نظام العائلة، ص١١٩.

(٣) الزبيدي، محمد مرتضى الحسيني، تاج العروس من جواهر القاموس، ج(١)، (الكويت، وزارة الإعلام، ١٩٦٩)، ص٤١١. سيشار له فيما بعد: التاج.

(٤) اللسان، ج(١)، ص٦٤٤.

مهماً في إدامة العلاقة الزوجية وإن كثرة الأولاد له قيمة كبيرة لشيخ القبيلة وإعادة انتخابه مرة ثانية، فنجد من خلال دراسة القوانين البابلية أن من حق الرجل أن يطلق زوجته في حالة عدم الإنجاب وبذلك يكون العقم المُبرر الشرعي للطلاق[١].

وان الملاحظ الآن في المجتمعات العربية أن العقم يؤدي إلى الطلاق ويرجع ذلك لدور الأولاد المهم في دعم الوالد اقتصادياً[٢].

وهناك إشارات في العهد القديم تقر الطلاق فنجد أن الإنجيل قد حرّمه[٣] وعندما جاء الإسلام شدّد فيه مع إباحته لضرورته بأن جعله أبغض الحلال عند الله[٤].

٣- الإرث:

مفهوم الإرث: إن كلمة الإرث أو الميراث في أصل اللغة العربية مصدر وفعلها ورث فيقال ورث فلان أباه وورث الرجل مالاً إيراثاً حسناً، وورّثه ماله ومجده، ويطلق لفظ الميراث لغة على معنيين إحدهما البقاء لذلك سُمي الله تعالى (الوارث) أي الباقي الدائم الذي يرث الخلائق ويبقى بعد فنائهم[٥].

والمعنى الثاني: انتقال الشيء من قوم إلى قوم سواء كان هذا الشيء مادياً أو معنوياً، فيقال: ورث المال والمجد من فُلان، ويطلق لفظ الميراث وكذلك الإرث ويراد منه اسم المفعول على الشيء الموروث[٦].

ويطلق على الأشياء التي يتركها الميت (تركة) فيقال: ترك فلان مالاً وعيالاً وتركة الرجل الميت ما يتركه من التراث الموروث[٧]. والذي يستحق المال بالإرث يسمى وارثاً وجمعه ورثة أو وارثون كما يسمى الميت والمال المستحق بالإرث موروثاً[٨].

وليس لدينا نصوص واضحة وصريحة بتفاصيل نظام وقانون الوراثة عند الأنباط بشكل عام سوى ما يتعلق بوراثة المقابر وحقوق الدفن وسوف نعتمد في هذه الدراسة كما هو الحال في موضوع الزواج والطلاق على الاستنتاج، وما هو شائع في المجتمعات العربية الأخرى.

---

(١) الهاشمي، نظام العائلة، ص١٢٧.

(٢) "كاسكل، الدور السياسي للبدو في التاريخ العربي"، مجلة الخليج العربي، (البصرة، مركز دراسات الخليج العربي، مج (٢٠)، ع (١)، ١٩٨٨)، ص٧٩.

(٣) انجيل متّى، الإصحاح الخامس.

(٤) سورة الطلاق.

(٥) اللسان، مج (٢)، ص١٩٩.

(٦) الهاشمي، نظام العائلة، ص١٤١.

(٧) اللسان، مجلد (١٠)، ص٤٠٥.

(٨) الهاشمي، نظام العائلة، ص١٤١.

لا بُد أن التركة عند العرب الأنباط كانت تقسم إلى قسمين أموال غير منقولة وأموال منقولة والأول يشمل الحقول والبساتين والعقارات والبيوت والمقابر ومن المفيد أن نقوش المقابر غنية جداً بالمعلومات التي تتعلق بأمور تفصيلية عن جوانب الحياة فهي تحتوي على العديد من المصطلحات القانونية المتعلقة بالشراء والإيجار ورهن الأملاك وأنماط الميراث المختلفة والعلاقات العائلية(١).

ومن خلال بناء المقابر يتضح لنا حرص أفراد العائلة الواحدة إن كان رجلاً أو امرأة على تأمين المقبرة التي تحتويهم جميعاً حيث يقوم الرجل بالإنفاق على هذه المقابر لأجل زوجته ويلي ذلك الابن، وتشير المصادر التاريخية إلى أن الأب يحرص على أن تشاركه بناته في مثواه الأخير وإن الأخ يحتضن أخته في مقبرته(٢).

ونجد أن معظم المدافن المنقوشة قد بنتها النساء لأنفسهن وهذه دلالة على أن المرأة النبطية يحق لها ما يحق للرجل من أمر التملك أو التوريث فهي تملك المقبرة وتثبت ذلك بالصك المنقوش عليها وتمارس صلاحيات ملكيتها كاملة فلا تسمح لأحد سوى من نصت عليهم بأن يقبروا معها وتكتب ذلك في ورقة تسجل فيها من تستثنيهم هي أو وريثها أو وريثتها(٣) ومن هنا يتضح أنه كان للنساء حق الملكية كما أن لها إرثها الخاص بها ولدينا من تاريخنا العربي أمثلة كثيرة في عصور ما قبل الإسلام توضح ما كان للمرأة من أمر التملك والإرث مثال ذلك السيدة خديجة رضي الله عنها وكذلك السيدة رومي صاحبة العقار وصاحبة الأملاك في مدينة نجران فقد كانت تملك أملاكاً عريضة ورثتها عن أهلها لأنها تتحدث عن خزائنها الخاصة (بخلاف ما وقع لي من زوجي) وكانت ثروتها متعددة الوجوه وتتكون من محاصيل أراضيها وما تمتلكه من المتاع والضياع(٤).

وتجمع المصادر التاريخية على أن رومي كانت تمتلك إلى جانب ما ذكرناه كمية كبيرة من الذهب والفضة على هيئة نقود مصكوكة فضلاً عن ذلك الحلي من الذهب والفضة والنحاس والأحجار الكريمة والياقوت(٥).

أما الأموال المنقولة فلم يظهر لنا من خلال دراسة نقوش الأنباط أن هناك إرثاً لأموال منقولة ولكن نفترض ذلك، فالأموال المنقولة وكما هو متعارف عليه تشمل الأثاث والسلع المنزلية وتشير في المدلول إلى الثروة بشكل عام كما تشمل الحقوق المالية للميت أو الديون التي له.

---

(١) هيلي، المصدر السابق، ص١٤٣.

(٢) الفاسي، هتون جواد، الحياة الاجتماعية في شمال غرب الجزيرة العربية في الفترة ما بين القرن السادس قبل الميلاد إلى القرن الثاني الميلادي، ط(١)، (الرياض، د.ن، ١٩٩٤)، ص١١١.

(٣) الفاسي، المصدر السابق، ص١١٠.

(٤) بيغوليفسكيا، المصدر السابق، ص٣٠٥.

(٥) المصدر نفسه، ص٣٠٦.

تعيين الورثة:

من خلال إجراء دراسة على النقوش النبطية نلاحظ تكرار جملة (أصدق بأصدق) التي تعني الورثة الشرعيين[1] وهنا التكرار لم يأت لغرض التأكيد فقط بقدر ما يبدو أن إرثهم لم يكن يسري إلاّ بكتاب من قبل الموروث الذي يحدد فيه من له الحق في وراثته من ذريته وأقاربه، وبتعبير آخر إن صلة الوريث معروفة لكن ليس من حقه أن يرث إلاّ بوصية[2].

وفيما يلي نورد نصاً لأحد النقوش الذي يرجع تاريخه لعام (٢٧م) يوضح فيه ذلك «**هذا هو المدفن الذي بناه أروس ابن فاروان لنفسه ولأبيه فاروان قائد الخيالة ولزوجته قانيو ولابنتيهما حاميلات وحاتيبات وأولاد بنتيهما هاتين ولأي شخص يقدم صكاً في حوزته من أروس أو من اختيه حاميلات وحاتيبات ابنتي فاروان قائد الخيالة يفيد بأن له الحق في أن يدفن في هذا المدفن، أو أن يدفن فيه من يشاء بموجب الصك الذي في حوزته بناءاً على ذلك المستند أو بناءً على حق الوراثة. في شهر نيسان (إبريل) للسنة السادسة والثلاثين للحارث ملك الأنباط محب شعبه. صنعة البناؤون إفتاح بن عبد عبودات ووهبوا بن آفصا وحورو**»[3].

ونلاحظ من هذا النص أن صاحبه يحدد فيه الأشخاص المعنيين في الإرث بصفة قانونية مستثنياً بذلك الأولاد الذكور، ويحدد الأب والزوجة والبنات وأولادهم ومن يملك صكاً بذلك.

وهناك نص آخر لأحد النقوش التي وجدت في الحجر الذي يعود تاريخه إلى (٣١م) يحدد لنا الأشخاص المعنيين بالإرث والنقش هو «**هذا هو المدفن الذي بناه خلفو بن قسنتن، له ولأبنه سعيدو وأخوه ولأبناء خلفو من الذكور ولأبنائهم وذريتهم الشرعيين ولبنات خلفو، منوعة، صنمو، ريمة، اميه، سليمة**»[4].

وهنا يتّضح لنا الأشخاص المعنيين وهم الأبناء الذكور وأبنائهم وكذلك بنات صاحب القبر وأخوه. ويتضح من ذلك أن هذه النقوش كانت مقدسة عند العرب الأنباط لأنه باعتقادهم أن هناك لعنات سوف تحل على كل من يحاول أن يبدل أو يمس أو يُحرف في هذه النقوش[5]، وقد وجدت إشارات على شواهد القبور اللحيانية تعبر عن اللعنة ضد من يمس الكتابة أو يشوهها[6].

---

(١) O'connor, M., The Arabic Loanwords in Nabataean Aramaic, JNES, 45/3, (1986), PP. 213-229

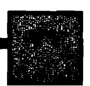
(٢) الفاسي، المصدر السابق، ص١٥٥.

(٣) هيلي، المصدر السابق، ص١٣٩.

(٤) Corpus Inseripiounum semiticarum, Pars 11, 209. سيشار له فيما بعد: CIS.

(٥) Ibid, P. 227.

(٦) "كاسكل، لحيان المملكة العربية القديمة"، تر: منذر البكر، مجلة كلية الآداب، (البصرة، جامعة البصرة، ع(٥)، السنة الرابعة، ١٩٩١)، ص١٨٩.



المبحث الثالث: الأعياد:

يرى الباحثون أنه من الممكن تقسيم الأعياد والاحتفالات عند الأنباط إلى قسمين:

١- الأعياد والاحتفالات الدينية:

تعد مناسبة الحج إلى الإله ذو الشرى من أهم الأعياد الدينية عند الأنباط واستناداً إلى النص التاريخي الذي وجد في كتاب ابيفانوس Epiphanius يبدو أن الاحتفال هذا كان يُقام في الخامس والعشرين من شهر كانون الثاني في هيكل بالبتراء احتفاءً بمناسبة عيد الإله ذو الشرى من عذراء[1]، وبناءً على الكتابات التي أوردها ابيفانوس فإن أهالي البتراء كانوا يقومون بأداء تراتيل وترنيمات باللغة العربية[2]. يمكن أن نستنتج من خلالها أن للعرب الأنباط أدعية خاصة وتراتيل دينية كان المتعبدون يرددونها في الطواف حول إله ذو الشرى.

والظاهر أن الناس كانوا يغتسلون ويتوضأون قبل القيام بطقوس العبادة، يؤكد ذلك وجود الأحواض المائية التي من المؤكد أنها كانت خاصة بالاغتسال والتطهر كما هي العادة عند العرب[3].

وكان الأنباط يطوفون حول منطقة قدس الأقداس داخل المعبد النبطي كما هو موجود في معابد الأسود المجنحة في البتراء ومعبد خربة الذريح ومعبد خربة التنور في وادي الحسا ومعبد اللات في وادي رم[4]. الأمر الذي يحملنا على الاعتقاد أن تلك الطقوس كانت متأثرة بعبادة العرب، ولا سيما في مجال الطواف حول الكعبة تبعاً لملة سيدنا ابراهيم عليه السلام حيث كان الأنباط يقومون بالطواف حول منصات مربعة الشكل وجدت داخل هذه المعابد في أثناء التعبد والصلاة. وهذا الشكل في العبادات هو أشبه بالتقليد والنقل من عبادة العرب[5].

ومن الطقوس التي كانت تقام في يوم العيد هو تسيير موكب من الجمال من المدينة إلى منطقة المذبح حاملة معها العلية، وقد وجد المنقبون في منطقة البصيرة إشارات عديدة توضح عبادة الإله ذو الشرى على النحو الآنف الذكر. وإلى الطقوس التي كانت تقام من أجله[6].

ويخبرنا أحد الفلاسفة الوثنيين ويدعى بورفيريوس Porphyrius أن القرابين التي كانت

---

(١) ستاركي، النبط، ص١١، وكذا .Brunnow, Provincia Arabian, P. 191

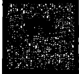
(٢) ستاركي، النبط، ص١١.

(٣) هيلي، المصدر السابق، ص١٤١. وقارن المحيسن، البتراء، ص٥١.

(٤) المحيسن، المصدر نفسه، ص٢٠.

(٥) جواد علي، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ط١، (بيروت، دار العلم للملايين، ١٩٧١)، ص١٠١. سيشار له فيما بعد: جواد، علي، المفصل.

(٦) ستاركي، النبط، ص١١.



تقدم في كل عام في واحة دومة عبارة عن طفل يقطع حلقه على المذبح إلاّ أنه لا يمكننا القبول بصحة ما أورده هذا الفيلسوف فيما يخص تقديم القرابين البشرية لأن النص نفسه موضع شك عند الباحثين لعدم اكتماله أولاً ولأن بقية النص كتبت قبل قرن من وصف ابيفانوس(١).

وفي الواقع لم يتوفر لدينا أي دليل تاريخي يثبت تقديم القرابين البشرية في أثناء الاحتفالات والأعياد الدينية في البتراء، وعلى العموم يعتقد أولئك الذين أوردوا هذه المعلومات أن القرابين البشرية كانت تقدم على بلاط الحجر المقابل للمذبح(٢). إلاّ أننا إذا ما علمنا أن المذبح هو عبارة عن مكعب غير منظم منحوت في الصخر وقد حفرت به حفرتان إحداهما في المقدمة والأخرى إلى الجانب وإن الحفرة الأخيرة لا يبدو بينها وبين الجرن أي اتصال إذ أن الجرن حُفر في قلب المذبح لتؤكد لنا عدم صحة هذا الاعتقاد(٣). ويحتمل أن الغاية من إنشاء هاتين الحفرتين استخدامها لحفظ الماء الذي يحتاجه المتعبدون في أثناء طقوس الاغتسال(٤). وفي الوقت نفسه لا يمكننا نفي حدوث عملية تقديم القرابين التي يبدو أنها كانت قرابين حيوانية كما في دومة(٥). والسبب وجود السلّم على جانب المعبد(٦) بحيث يمكننا أن نتصور أن مقدم القرابين كان يقوم بالصعود إلى المذبح لتثبيت رأس الحيوان إذا كان جملاً على سبيل المثال، الأمر الذي يسهل قيادة الجمل مباشرة إلى الجرن حيث يستقر الدم المتفجر من رقبته.

ثم يقوم الكاهن بعدها بأخذ بعض الدم في كأس ويتجه نحو الموتاب ثم يقوم بعدئذٍ برشه أو طلي العلية به(٧).

لقد كانت هذه الاحتفالات تقام كل سنة وفي التاريخ نفسه في مدينة البتراء العاصمة ولا شك أن الأهالي في بقية المدن النبطية يقومون بالاحتفال بهذه المناسبة سنوياً وبالطريقة نفسها لوجود معبد الإله ذو الشرى في كل مقاطعة نبطية(٨) وهذا الاحتفال يسوده شعور قومي عند الأنباط إذا ما ازدادت وطأة الهيمنة الرومانية عليهم زاد تمسكهم بالإله ذو الشرى الذي يعتقدون أنه سينجيهم ويخلصهم من أطماع الرومان(٩).

---

(١) المصدر نفسه، ص١١.

(٢) المصدر نفسه، ص١١.

(٣) المحيسن، البتراء، ص١٥٥.

(٤) ستاركي، النبط، ص١٢. وكذا المحيسن، البتراء، ص١٥٥-١٥٦.

(٥) المحيسن، البتراء ص١٢٥.

(٦) Lindner, Petra and das. P. 31.

(٧) ستاركي، النبط، ص١٢. وكذا المحيسن، البتراء، ص١٥٦.

(٨) لقاء خاص مع الدكتور منذر البكر.

(٩) لقاء خاص مع الدكتور منذر البكر.



٢- الاحتفالات الرسمية والشعبية:

كانت الاحتفالات الرسمية والشعبية ذات طابع مختلف تماماً عن الطابع الذي كان يسود في الاحتفالات الدينية فقد كثرت فيها الممارسات الاجتماعية الترفيهية وكانت الاحتفالات الشعبية التي يمارس فيها مختلف الألعاب الرياضية من ركوب الخيل والركض والمصارعة وبعض أنواع الملاكمة القديمة والألعاب الخاصة بالرهان وتمارين الجمناستك ومن المحتمل أن ألعاب الطفر على القصبة والطفر العريض كانت تمارس في هذه الأعياد[١].

وقد أظهرت لنا المنحوتات الأثرية وجود الآلات الموسيقية مما يدل على أن هناك فرق موسيقية تقدم المعزوفات الخاصة التي ترافقها الفرق الراقصة والتي تظهر بشكل شائع في الاحتفالات ويبدو أيضاً أنه كان يكثر شرب الخمر وربما يعثر المنقبون مستقبلاً على تفاصيل أكثر حول هذا الموضوع التي تؤكد صحة هذه الافتراضات وذلك لأن مثل هذه الممارسات الاجتماعية من حيث إظهار الفرحة والابتهاج كان معمولاً بها عند عرب الجاهلية وكل الشعوب السامية[٢] فلا نستبعد إذن أن تكون الأعياد الشعبية لدى الأنباط بهذا النمط نفسه.

وعلى أي حال فإن من أهم الأعياد الشعبية التي كانت سائدة عند الأنباط عيد دوري كان يقام كل أربع سنوات في منطقة شبه جزيرة سيناء ويسمى Pentaeterigne كما أشارت إليه النصوص ويساهم في هذا العيد جميع سكان شبه جزيرة سيناء والقبائل المجاورة[٣] كما تدل النصوص على أن الأنباط كانوا يقيمون عيداً آخر على شرف "Auguste" تخليداً لذكرى معركة أكتوم Actium التي حدثت سنة (٣١ قبل الميلاد)[٤]. ومن المفيد قوله هنا أنه كان هناك تبادل في الوفود بين المدن النبطية ويبدو أن هذه الأعياد كانت تقام تحت إشراف متخصصين وقد أشارت النصوص والمصادر إلى أنهم كانوا يحملون اسم "Boneguriaroues" ويوكد ذلك وجود النقوش الأثرية التي لا تزال بحالة سليمة في البتراء[٥] ويعتقد أنه بعد الانتهاء من مراسيم الأعياد كانت المسارح تستخدم لتكريم المواطنين المخلصين وتتويج المنتصرين[٦].

---

(١) Kammerer, op. cit, P. 407

(٢) جواد علي، المفصل، ص١٠٠ وما بعدها.

(٣) Kammerer, op. cit, P. 408.

(٤) Ibid, P. 410. استطاع الأنباط أن يدمروا أسطول كليوبترا في معركة اكتوم. راجع: Altheim, Die Araber, PP. 304-308.

(٥) Brunnow, Provincia Arabia, P. 191. وكذا Kammerer, op. cit, P. 410.

(٦) Brunnow, Provincia Arabia, P. 191. وكذا Kammerer, op. cit, P. 411.

٣- الاحتفالات الخاصة بالزواج:

من المؤكد أن مراسيم الزواج وعاداته وطقوسه عند الأنباط لم تكن تختلف عن غيرها مما هو معروف عند قبائل العرب إذ لا يخفى عن بالنا أهمية استخدام الفرق الموسيقية لإعلام الناس بزواج الرجل من المرأة في القرية أو المدينة، التي هي من الأمور الشائعة[1] عند العرب لذا كان الأنباط يقيمون مثل هذه الاحتفالات إلاّ أننا لم نعثر على أية إشارة تدل على وجود طقوس خاصة بأهالي الأنباط فيما يخص مراسيم الزواج وربما يعود السبب في ذلك إلى تلف الكثير من اللفائف المكتوبة والوثائق التي تناولت تاريخ مملكة الأنباط أو سرقتها من قبل العابثين بالآثار.

إلاّ أننا لا نستبعد أن يظهر مستقبلاً ما يؤيد فرضيتنا هذه، لأن مراسم الزواج كانت من العادات ذات الأهمية والقدسية الكبيرة عند العرب قبل ظهور الإسلام وجاء الإسلام ليؤكد هذه العادة وأهميتها ويبدو أن هذه الاحتفالات كانت أشبه بالاحتفالات الشعبية التي لم يكن الطابع الديني بعيداً عنها. ويشارك جملة من المغنيين الذين يقومون بإحياء الحفل وقد أشارت بعض المصادر إلى أسماء بعض المغنيين عند العرب قبل الإسلام أمثال "أنجشه ووهبت" إذ كان من صفات هؤلاء المغنيين أنهم كانوا أشباه رجال كانوا يدخلون بين النساء ويؤدون أغانيهم ورقصاتهم دون حرج[2].

المبحث الرابع: الختان:

من العادات والتقاليد المعروفة عند العرب قبل الإسلام والتي كانت تمارس بشكل شائع عندهم هي عادة الختان، وتؤكد المصادر أن العرب كانوا يمارسون هذه العادة في كل الأوقات[3].

ومما تجدر الإشارة إليه أن هذه العادة لم تكن مقتصرة على العرب فقط بل هناك إشارات عديدة تؤكد أن هذه العادة مورست من قبل الشعوب

(١) كانت المناسبات المفرحة مثل الزواج تقترن بالعزف والغناء، روي أن الرسول (ص) لما كان غلاماً يرعى غنماً ومعه غلامٌ من قريش يرعى معه كذلك قال له: (لو أنك أبصرت غنمي حتى أدخل مكة فأسهر بها كما يسهر الشباب، قال: افعل. فخرجت أريد ذلك حتى جئت أول دار من ديار مكة، سمعت عزفاً بالدفوف والمزامير، فقلت: ما هذا؟ فقالوا: فلان تزوج فلانة بنت فلان، فجلست أنظر إليهم). وذكر أن من عادة أهل مكة ويثرب أن يفعلوا ذلك عند الزواج. راجع النويري، شهاب الدين أحمد بن عبدالوهاب، نهاية الإرب، ج٤، (القاهرة، مطبعة كوستا توماس)، ص١٤٥. وكذا المرصفي، سيد بن علي، رغبة الأمل من كتاب الكامل، ج٦، (مصر، مطبعة النهضة)، ص٩٠٨.

(٢) العسقلاني، شهاب الدين أبي الفضل أحمد بن علي بن حجر، الإصابة في تمييز الصحابة، ط١، ج١، (مصر، مطبعة السعادة، ١٣٢٨هـ)، ص٦٧.

(٣) ابن هشام، أبو محمد عبدالملك المعافري، السيرة النبوية، تح: مطفى السقا وآخرون، ط٢، ج٢، (القاهرة، د.م، ١٩٥٥)، ص٤٥٠.



المسيحية في تلك الفترة ومنهم الأحباش[1].

والسؤال الذي يطرح نفسه في هذا الصدد: هل مارس الأنباط هذه العادة بصفتهم عرب ساميين؟

إنه على النقيض مما كان يعتقد سابقاً لم يكن اليهود هم الذين اقتصروا على ختان أنفسهم، واستناداً إلى آراء المؤرخين اليونان ومنهم هيرودوت وفيلون وسترابو وأرجين وآخرون نستطيع أن نؤكد أن الأنباط قد مارسوا هذه العادة كما مارسها غيرهم من المصريين والأحباش والسوريين وكثيراً من القبائل العربية خلال تلك الفترة، وفي المصادر ما يشير إلى أنه عند فتح الرومان لبلاد الأنباط قاموا بإلغاء جميع القوانين المحلية التي كانت سائدة في تلك الدولة ومنها الختان[2]. غير أن الأمر الذي يمكن استنتاجه من خلال هذه الإشارة هو أن هذه العادة كانت تمارس عند الأنباط. وقد وصف Sozomene أن العرب الرسنيك Saracenes – البدو الذين يسكنون شرق شبه جزيرة سيناء –، كانوا يجرون عادة الختان عند بلوغ الشخص سن الثالثة عشر من العمر[3].

(ونخلص مما مرّ ذكره أن الختان عادة عربية سامية قديمة مورست عند الأنباط، ويبدو أن هذه العادة قد استمرت حتى دخول الاسلام إلى هذه الديار الذي أكدها ودعا إلى استمرارها وفي رواية أوردها ابن هشام أنه في غزو الرسول (ص) في الطائف وبعد انتصار المسلمين على أهالي الطائف بدأ المسلمون بجمع الأسلاب فوجد أحد القتلى (غرل) أي غير مختون، فصاح المغيرة بن الأخنس بأعلى صوته (يا معشر العرب يعلم الله أن ثقيف غرل) فخشي المغيرة بن شعبة أن ينتشر هذا الخبر بين القبائل العربية. فقال المغيرة بن الأخنس: (لا تقل ذاك، فداك أبي وأمي إنما هذا الغلام لنا نصراني)، ثم قام المغيرة بن شعبة بالكشف عن جميع القتلى فاتضح ختانهم فقال: (أيها الناس إن هذا القتيل ليس من ثقيف وإنما هو من مواليها وهو على دين النصرانية)[4]. من هذا نستنتج أن العرب بما فيهم الأنباط لم يعدموا عادة الختان ولم تكن غريبة عنهم كما لم تكن نتيجة تأثير من الديانة اليهودية.)

---

(١) kammerer, op. cit, P. 375.

(٢) Ibid. P. 375.

(٣) Kammerer, op. cit, P. 375.

(٤) ابن هشام، السيرة، ج٢، ص٤٥٠.


al-maktabeh
www.
.com
مكتبة
المهتدين

الفصل الثاني
الديانة النبطية

الرأي غير صحيح ونرى أن الشرى أطلقت على منطقة خصبة ذات أشجار وفيرة ولا سيما أشجار العنب والزيتون[1] وبذلك فإن الشرى اسم منطقة وبالتالي تكون هذه صفة للإله علماً أننا نجهل الاسم الحقيقي لهذا الإله كما هو الحال مع الإله اللحياني ذو غابة الذي يعني سيد الغابة ولا نعرف اسمه الحقيقي.

ويركز الكثير من الباحثين على أن الإله ذو الشرى قد ارتبط اسماً بجبال الشراه الواقعة بين اليمن والحجاز التي استقرت بها قبائل الأوس والأزد والحارث واتخذت من الإله ذو الشرى إلهاً لها وقد هاجرت هذه القبائل من اليمن بعد انهيار سد مأرب إلى منطقة السراه[2] وهنا أتفق مع الدكتور زيدون المحيسن من أن الباحثين قد أخطأوا عندما حددوا الشراه في منطقة الجزيرة العربية[3] فقد ذكر العديد من الباحثين أمثال: فوجييه وليفي من أن الشرى جبل مرتفع في البتراء الذي يستمر حتى العقبة جنوباً[4] وهو كما ذكره أسطفانوس الجبل المقدس في البتراء[5].

* وكان الإله ذو الشرى يعبد على شكل حجر أسود أو مسلّة سوداء غير منحوتة له أربع زوايا[6]، وإلى هذا تشير الكثير من تلك الكتل الصخرية المنحوتة في البتراء وضواحيها وحيثما توجه المرء في البتراء وجد رموز ذو الشرى منصوبة أو منحوتة مما يدل على مدى مكانته في البتراء نفسها[7]، وكان طول الصنم أربعة أقدام والعرض قدمين[8] وكان دم القرابين يرش عليه أو أمامه[9]، وكانت تحته قاعدة ذهبية كما يتألف معبده كله من الذهب[10]، ويظهر أن المتعبدين لا يدخلون المعبد إلا إذا اغتسلوا وهذا يؤكد الطهارة في عبادة العرب قبل الإسلام من جهة وأهميتها في عبادة هذا الإله من جهة أخرى[11] إذ نجد ذلك في قضية إسلام الطفيل بن عمرو الدوسي[12].

---

(١) Brunnow, Provincia Arabia, P 189.

(٢) المحيسن، البتراء، ص٤٩.

(٣) المصدر نفسه، ص٥١.

(٤) Brunnow, Provincia Arabia, P. 189.

(٥) Stephanos Byzantinos Ethnikai Dousares.

(٦) انظر الشكل (٢).

(٧) عباس، المصدر السابق، ص١٢٩.

(٨) Wellhausen, op. cit, P. 49.

(٩) Lindner, Petra and das, P. 49.

(١٠) Ibid, P. 116. وكذا المحيسن، البتراء، ص٥١.

(١١) Caskel, W., Das Altarabisch Koigreich Lihjan, (Koln, N. P., 1951), P.13.

(١٢) ابن هشام، المصدر السابق، (ج١)، ص٣٨٢.

تعتبر المعلومات عن ديانة وآلهة الأنباط قليلة، حيث جاءت الإشارة مقتضبة خلال الكتابات والنقوش المتعلقة بهذا الموضوع، واقتصرت هذه الإشارات على ذكر أسماء بعض الآلهة، دون الإشارة إلى بعض التقاليد والعادات والمعتقدات، إلا أنه تم معرفة بعض الآلهة عن طريق تحليل وقراءة النقوش النبطية، فضلاً عن ذلك جاءت معرفة بعض هذه الآلهة خلال الكشف عنها أثناء التنقيبات الأثرية كحفريات خربة التنور في وادي الحسا في الطفيلة(١).

المبحث الأول: الآلهة:

❖ ذو الشرى:

كان هذا الإله على رأس مجموعة آلهة الأنباط وهو الرب الأكبر الذي اتسم بطبيعة كوكبية متمثلة بالشمس(٢). لهذا نجد أن أنصابه متجهة نحو الشرق ويظهر أن عبادة الإله ترجع إلى عهد قديم جداً، أقدم بكثير من اولئك الذين عبدوه من بني الحارث بن يشكر بن مبشر من الأزد، حيث كان لهم صنم يقال له ذو الشرى(٣). وقد أشار إليه من الغطاريف ببيت من الشعر(٤):

وأذن كللنا حول ما دون ذي الشرى وشبح العدى منّا خميس عرمرم

وقد اشتهرت عبادة الإله ذو الشرى ولا سيما في مدينة البتراء ومن هذه المدينة انتشرت عبادته إلى سائر الأنحاء، ويذكر فلهاوزن أن عبادة هذا الإله كانت معروفة في مدينة بصرى(٥). ويعتقد (Murray) أن التوراة أطلقت على الإله ذو الشرى اسم سعير التي تعد كلمة الشراه نفسها، ويضيف أن التوراة تعتقد أن الإله يهوه هو نفسه ذو الشرى حيث يقيم في بيت من الحجر يدعى بيت إيل أي بيت الله(٦). وقد أيد هذا الرأي (Negev)(٧). ونظن أن هذا

---

(١) المحيسن، البتراء، ص٤٦.

(٢) «بيرين، جاكلين، الفن في منطقة الجزيرة العربية في فترة ما قبل الإسلام، دراسات يمنية، صنعاء، (ع٢٣)، ١٩٨٦، ص٢٤. وكذا هيلي، المصدر السابق، ص١٤٣.

(٣) الكلبي، أبي المنذر هشام بن محمد بن السائب، كتاب الأصنام، تح: أحمد زكي، (القاهرة، د. ن، ١٩٦٥) ص٢٧. سيشار له فيما بعد: كتاب الأصنام. وكذا Wellhausen, J. R, Reste Arabischen Heidenums, (Berlin, 1966), P. 49.

(٤) كتاب الأصنام، ص٣٨.

(٥) Wellhausen, op. cit, P.49.

(٦) Murray, M. A., Petra, The Rock City of Edom, (London, 1939), P. 129. سيشار له فيما بعد: Murray, The Rock City.

(٧) Negev, A., Tempel, Kirchen and Zisternen, (Stuttgart, N.P., 1983), P. 90. سيشار له فيما بعد: Negev, Tempel, Kirchen.

زيوس هدد أصبحت أتر - عتا (أتار عتس) ربة الخصب السورية أو ربة (منبج) (هيرابولس)(١)، وعندما أصبح ذو الشرى يناظر زيوس هدد صارت اللات تناظر أترعتا لدى الأنباط(٢). والظاهر مما تقدم أن ذا الشرى هو إله الشمس وكان النبطيون يعبدون الشمس عبادة خاصة يدعونها باسم آخر وهو ذو الشرى أي الإله المنير(٣) وهناك نص في النقوش الموجودة في مدائن صالح أطلق عليها لقب (فاصل الليل عن النهار) وفي نقش آخر أحدث منه يطلق عليه (سيد العالم) ومن هذه الألقاب نستنتج أن فيها اتجاهاً إلى التوحيد(٤). كما كان لهذا الإله مكانة مميزة في فكرهم، وربما نجد ذلك في قصة الكاتب العربي الطوبائي النبطي ايمبولس الذي عاش في النصف الأول من القرن الثاني قبل الميلاد(٥) والذي كتب قصة عالج فيها أوضاع مجتمعه وقد أطلق على قصته اسم دولة الشمس(٦) وعلى سكان هذه الدولة رعايا دولة الشمس ولعلّ الشمس هنا تعني الخير. ثم إننا نرى أن لإله الشمس مكانة خاصة عند فلاسفة الإفلاطونية الجديدة لأن أشهر المؤلفات التي تركها الفيلسوف العربي فورفوريوس(٧) - مالك - وهو ما كتبه عن الإله الشمس إذ صوّره بأنه أصل الوجود وهو أعلى درجات الفكر الإلهي(٨) وقد أثرت أفكار فورفوريوس على القصر (أورليان) (٢٧-٧٥م) فعندما احتل مدينة تدمر أخذ إله الشمس العربي الى روما وقد وجد فيه رمزاً إلهياً للدولة وتتوحد فيه الديانات المختلفة للامبراطورية الرومانية كما وجد فيه أمراً ضرورياً لوحدتها الدينية(٩) حتى يقال إن أمه كانت تعبد الإله الشمس كذلك فعل القيصر قسطنطين (٣٢٥-٣٣٧م) إذ تعلّق في عصره الأول بالإله الشمس العربي حيث وجد فيه تصور الإفلاطونية الجديدة للعالم، مع تصور المسيحية له وحاول دمجها لتكوين وحدة دينية تنسجم مع آرائه(١٠).

كما أثرت آراء فورفوريوس الفلسفية عن الإله الشمس وحققت نجاحاً عند القيصر يوليان (٣٦١-٣٦٣م) حتى يمكن القول أن يوليان اقتبس دون شك الآراء والأفكار الفلسفية من

---

(١) Lindner, Petra and das, P. 78.

(٢) Ibid, P. 78.

(٣) الحوت، محمود سليم، في طريق الميثولوجيا عند العرب، (بيروت، د.ن، ١٩٥٥)، ص٦٠.

(٤) هيلي، المصدر السابق، ص١٤٣.

(٥) البكر، ايمبولس الكاتب العربي، ص١٠.

(٦) W. W. Tarn. Alexander the Great and the Unity of Mankind, 1933, pp. 9FF (14 ff).

(٧) Altheim, op. cit, Bd 111, P. 139.

(٨) Ibid, P. 282.

(٩) Max Kieckhoff, uberkrieg and frieden, Imgrichisch- romischen Altertum (Das Altertum), Vol. 8.H.. P 108.

(١٠) Altheim, op. cit, P 212-216.

وقد بُني لهذا الإله معبدٌ على جبل في الموضع المعروف باسم الدير ومعبده معروف باسم المدرس[1] وكان المتعبدون يرتقون إليه على سلالم طويلة نحتت في الصخور ويظهر[2] من دراسة المعتقدات الدينية لدى الأنباط أن هذا الإله كانت له مكانة متميزة في نفوس عرب الأنباط، اذ نلاحظ أنه في أيام حكم السلالة العربية السيفيرية السورية للامبراطورية الرومانية تجد الحس القومي والشعور المناهض للرومان واقترن هذا الحس بالعودة إلى تمجيد الإله ذو الشرى[3] والحج إلى معبده في البتراء باحتفال مهيب وقد خصصوا له يوم (٢٥ كانون الأول) ليكون عيداً له كما أفادنا القديس ابيفانوس[4] وهذا اليوم هو يوم الانقلاب الشتوي[5]. ونجهل اسم اله ذو الشرى الحقيقي فهو يحمل صفات الآلهة العربية في دورها المبكر[6]، وقد أصبح يناظر كل من بعل هدد، وبعل شمين، ورب السموات[7]، كما حمل طبيعة ديونيوس في دور لاحق[8] ثم أصبح صنواً لزيوس[9] ومماثلاً للازدواج بين زيوس وباخوس وديونييوس[10] وقد اقترن هذا الإله برموز مناسبة لأوضاعه الجديدة ومن تلك الرموز الأسد والصقر والأفعى[11] وعندما كان الإله يضاهي ديونيوس أو باخوس فإن تمثاله يقترن بأوراق الكرمة وعناقيدها[12]، إذ عُثر على نقوش في مدينة بصرى عليها شعار هذا الإله وهو عبارة عن معصرة نبيذ[13].

ومن المفيد قوله أن هذا الإله (ذو الشرى) عندما عُبد في منطقة حوران كان تحت اسم آخر هو ذو الشرى أعرا[14] حيث وجد نقش يذكر أن هذا الإله عُبد في مدينة بُصرى وهو إله رابيل وفي نقش في بُصرى يعني أعرا الطريق السيء[15]. وعندما ضاهى الإله ذو الشرى

---

(١) المدرس هو سلسلة تقع عليها معابد الإله ذو الشرى. راجع Brunnow, Provincia Arabia, P. 189.

(٢) Lindner, Petra and das, P. 31.

(٣) Brunnow, Provincia Arabia, P. 191.

(٤) Mordtrmann, J. M, Dusares bei Epiphanius ZDMG, Bb 29, Berlin, 1876, P.101.

(٥) Mordtrmann, op. cit, P. 102.

(٦) جواد علي، تاريخ العرب، ج(٣)، ص٦٧.

(٧) موسكاتي، المصدر السابق، ص٣٤.

(٨) بيرين، الفن في منطقة الجزيرة، ص٣٤.

(٩) Lindner, Petra and das. P. 78, 116.

(١٠) عباس، المصدر السابق، ص١٢٩.

(١١) المصدر نفسه، ص١٢٩.

(١٢) Glueck, The Other Side, P. 197.

(١٣) الروسان، المصدر السابق، ص١٦٤.

(١٤) وجد نقش في منطقة الديوان ونقش آخر في حوران يظهران أن ذا الشرى كان يرتبط بالإله (ا ر ا) في بصرى، أي أن (ا ر ا) كان يمثل الإله ذو الشرى ولعل ذلك له علاقة بانتقال عاصمة الأنباط إلى بصرى وهذا يؤكد مبدأ التوحيد في العقيدة. راجع هيلي، المصدر السابق ص١٤٣.

(١٥) Dalman, G., Petra and Seine Felsheiligtumer, (Leipzing, 1908), P. 51.

فورفوريوس[1]، كذلك حققت أفكار فورفوريوس عن إله الشمس انتصاراً جديداً عند (ماركوبيوس)[2] الذي ترجم واختصر كتابات فورفوريوس في هذا الموضوع[3] كما دافع عن إله الشمس الكاتب العربي الحمصي (Helioder) الذي نعت نفسه في نهاية قصته مغامرات اثيوبية (Aithiopika) بأنه فنيقي من حمص ومن عبدة الإله الشمس العربي[4]. ووجهة نظره عن الشمس أنها المصدر القديم للحياة ومصدر العقل والإدراك[5]، كما أن بطل قصته (Charikleia) هي متفرعة ومولودة عن الشمس وأثيوبيا هي وطنها الحقيقي غير أن أثيوبيا هذه ليست لها علاقة ببلاد اثيوبيا وإنما ترمز إلى أرض الشمس[6]. وفي كل أحداث قصته كان (Helioder) مدافعاً عن عبادة إله الشمس العربي ومجنداً كتاباته في خدمة معتقداته[7].

من هنا نلاحظ مكانة إله الشمس في شمال الجزيرة العربية فقد عُبد في مدينة حمص باسم (الاكابال) (Elaqabal) كذلك في دولة الرها، ونلاحظ أيضاً أن مدينة الحضر تسمي نفسها مدينة الشمس كما عبده الثموديون والصفويون (عرب الصفا) كذلك عُبد في جنوب شبه الجزيرة العربية[8].

◆ اللات:

جاء اسم اللات بأشكال متعددة، فقد ورد ذكرها بالمصادر اليونانية بـ: إل-إل-اهت، ال-إلات، والات[9] ويذكر «رينيه ديو» أنها مرادفة للكلمة ال-ا ل ت، بإدغام وسط بين الا لاهت، والإدغام التام اللات، وهي مماثلة للفظ الجلالة الالاه الذي أصبحت صيغته الله[10].

وهناك رأي آخر يرى أن لفظة اللات جاءت بهذا الشكل بتأثير من الكلمة السريانية

(١) Altheim, op. cit, P 212-216.

(٢) كان حاكماً على افريقيا عام (٣٩٩م). كما يعتقد أنه ينحدر من أصل افريقي، راجع علي، عبد اللطيف أحمد، مصادر التاريخ الروماني، (القاهرة، د.ن، ١٩٦٤)، ص٢٨-٣٠.

(٣) Altheim, op. cit, P 213.

(٤) Ibid, P 282، ولا نعرف تاريخ ميلاده بالضبط ربما عام ٢٧٠م وهو من مواليد مدينة (عنجر) في سهل البقاع وكانت وفاته عام ٣٢٠م.

(٥) Altheim, op. cit, P138.

(٦) Ibid, P 171.

(٧) Ibid, P 145-146.

(٨) «البكر، منذر عبد الكريم، في الميثولوجيا العربية الشمس في عبادة العرب قبل الإسلام»، مجلة كلية التربية، (البصرة، جامعة البصرة، ع(٤)، ١٩٨١، ص١٠٩-١١٩.

(٩) «المعاني، سلطان، في حياة العرب الدينية قبل الإسلام من خلال النقوش»، دراسات تاريخية، دمشق، (ع٤٧، ٤٨)، ص٩٥.

(١٠) ديسو، رينيه، العرب في سوريا قبل الإسلام. تر: عبد الحميد الدوخلي، مراجعة محمد زيادة، (القاهرة، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، ١٩٥٩)، ص١١٤.

Allahta «الالهة» أي ان اسم اللات هو ادغام للفظ «لات» مع ارتباطها بأل التعريف[١].

إلا أننا نرى غير ذلك، فأداة التعريف في العربية الشمالية هي الهاء ولم تظهر أل التعريف سوى في النقوش النبطية المتأخرة[٢].

ونجد أقدم الإشارات للات في الأدب البابلي حيث ذكرها «التو» Ilta[٣] كما جاء ذكرها في النقوش الفينيقية في القرن السابع قبل الميلاد وفي النقوش اليونانية المكتشفة في قرطاجة مثل:

«ب دم ل ق رت (ب ن ا ش م) ن ح ل ص ا ك هـ ن ا ل ت»

«ب دم ل ق ر ت ابن م س م ن ح ل ص كاهن اللات»[٤].

كما ورد ذكرها في النقوش الثمودية إلا أن أكثر النقوش ذكراً للإله اللات هي النقوش الصفوية، فقد ورد ذكرها أكثر من ستين مرة[٥] وفي رأي آخر ٤٠٠ مرة[٦].

أما النقوش النبطية التي ذكرت اللات فهي كثيرة، ففي نقش يعود تاريخه لشهر أكتوبر من سنة (٤٧م) يشير إلى شخص يدعى «مليكو بن قصيو» كان كاهناً للات في حبران[٧]، وفي نص يعود تاريخه لسنة (٥٠م) يذكر أن معبداً أقيم للات في صلخد قام ببنائه «روحو بن مليكو وأسرته»[٨] كما ورد ذكر اللات في نقوش بصرى ونقوش الملك «رب ايل الثاني» سنة (٧٠-١٠٦م)[٩]. وكانت اللات عند الأنباط على شكل صخرة مربعة ذات زخارف هندسية، حيث وجد Devogue في صلخد صخرة مربعة تعرف باسم اللات[١٠]، وهذا يؤيد ما ذكرناه. وهي تطابق الإله «أرتمس» عند أهل قرطاجة[١١] و«أفروديت» عند هيردوتس[١٢] كما كانت تطابق «تينيه» عند الاغريق، و«فيرفا» عند الرومان[١٣] كما كانت باستمرار قرينة للإله (ذو

---

(١) المعاني، المصدر السابق، ص٩٦.

(٢) المصدر نفسه، ص٩٥.

(٣) Segert, Stanistav, Agrammer of Phoenician and Punik, (Munchen, 1976), P.179.

(٤) المعاني، المصدر السابق، ص١٤٤.

(٥) ديسو، المصدر السابق، ص١٤٤.

(٦) المعاني، المصدر السابق، ص٩٨.

(٧) Dalman, op. cit, P. 151.

(٨) المحيسن، البتراء، ص٥٣.

(٩) Dalman, op. cit, P. 151.

(١٠) Dalman, op. cit, P 151 وكذا Kammerer, op. cit, P. 387.

(١١) الدباغ، تقي الدين، الفكر الديني القديم، ط(١)، (بغداد، ١٩٩٢)، ص١٧٤.

(١٢) Hitti, J., History of Arabs, (8thed, New York, 1969), P. 27.

(١٣) الدباغ، المصدر السابق، ص١٣٤.

الشرى) وعندما أصبح ذو الشرى يضاهي «زيوس هدد» أصبحت اللات تسمى «أترعتا» - اتر - اتا - ربة الخصب السورية(١).

أما المصادر العربية فتذكر أن اللات قديمة إلا أنها أحدث من الإله مناة ويرى ابن الكلبي أن اللات صخرة كان يهودياً «يلت» عندها السويق، أي كان يعجن خبز الشعير بالقرب من صنم الات فسميت بذلك صخرة «اللات»(٢) إلا أننا نعتقد أن ذكر اللات أقدم بكثير مما ذكره ابن الكلبي وقد سلفنا ذلك سابقاً.

وقد عُدت اللات من أكبر الآلهة عند العرب قبل الإسلام ولا سيما عند ثقيف في الطائف فقد كانت تلبية ثقيف لها:

(لبيك اللهم هذه ثقيف قد أتوك، وخلفوا أوثانهم وعظموك، وخلفوا المال، وقد رجوك)(٣).

وكانت قريش والعرب جميعاً تعظمها، وقد سموا بها «زيد اللات» و«تيم اللات»(٤). وقد ذكرت في القرآن الكريم بقوله سبحانه وتعالى: (أفرأيتم اللات والعُزى، ومناة الثالثة الأخرى(٥)).

ونظن أن اللات مؤنثة، فقد أشارت إليه النقوش النبطية بسيدة الآلهة المؤنثة(٦)، كما وجدت في معبد نبطي بشكل امرأة مجعدة الشعر جالسة بين أسدين يحفان بعرشها(٧) من هنا نرجح أن اللات آلهة مؤنثة وليست مذكراً ولكن الخلاف يبقى قائماً بين الباحثين على ماهية اللات، فهل هي تمثل الشمس(٨)، أم الزهرة، أم القمر؟ فقد ذهب عدد من الباحثين إلى أن اللات تمثل الشمس مستدلين على ما جاء به سترابو من أن اللات هي أم الأرباب(٩). ويعتقد آخرون أن اللات هي الزهرة(١٠) وقد اعتمد أصحاب هذا الافتراض شهادة هيرودوت الذي ذكر أن العرب يعبدون الزهرة السماوية ويدعونها (آليتا)(١١). ولا نتفق مع هذين الرأيين

---

(١) Lindner, Petra and das, P. 78.

(٢) كتاب الأصنام، ص١٦.

(٣) ابن قطرب، (أبو علي محمد بن المستنير بن أحمد)، كتاب الأزمنة وتلبية الجاهلية، تح: جميل حداد، (الزرقاء، مكتبة المنار، ١٩٨٥) ص١١٨-١١٧.

(٤) ابن هشام، المصدر السابق، ص٩١٧.

(٥) سورة النجم، الآية ١٩، ٢٠.

(٦) المعاني، المصدر السابق، ص١٠٠.

(٧) عباس، المصدر السابق، ص١٣٢.

(٨) بروكلمان، تاريخ الشعوب الإسلامية، تع: نبيه فارس ومنير بعلبكي، (بيروت، دار العلم للملايين، ١٩٦٥)، ص٢٦.

(٩) الحوت، المصدر السابق، ص٦٩.

(١٠) بروكلمان، المصدر السابق، ص٦٩.

(١١) Brunnow, Provincia Arabia, P. 191.

ونظن أنها تمثل القمر فقد ذكر ابيفانوس أن اللات كانت أم للإله ذي الشرى[1]، وفي الاعتقادات الدينية عند العرب قبل الإسلام أنها تمثل القمر وذلك لأن القمر عند عرب الشمال زوجة لإله الشمس خلافاً لما عند أهل جنوب شبه الجزيرة العربية فهو مذكر وبالتالي نذهب إلى أن اللات تمثل القمر.

❖ هبل:

يُعد هبل واحداً من أعظم الآلهة التي عبدت عند العرب قبل الإسلام، اذ يُعد صنمه من أعظم ما نُصب حول الكعبة وأول صنم وضع بمكة[2]، وبناءً على ما جاء به ابن الكلبي أن أول من نصب هُبل هو خُزيمة[3] بن مدركة بن إلياس بن مُظر، وكان يدعى هذا الصنم بـ(هبل خزيمة).

وصنم هُبل عبارة عن تمثال مصنوع من العقيق الأحمر على هيئة إنسان مكسور اليد اليمنى ويقال أن قريشاً أدركته فجعلت له يداً من ذهب[4]. وهُبل هذا هو الذي كان أبو سفيان بن حرب يخاطبه في معركة أحد بقوله: (أعل هُبل، أعل هُبل) فيجيبه الرسول (ص) وأتباعه (الله أعلى وأجل)[5].

وقد كان الإله هبل من الأصنام التي عبدها الأنباط ويؤيد ذلك أنه ورد ذكره مرتين في نقوش الحجر، كما جاء ذكره في رقم كتابي على قبر في (بتولي) سنة (١١م) وورد ذكره أيضاً في كتابه نذريه في وادي السيغ تحت اسم (بر هبل) أي ابن هبل[6]. وفي الواقع أننا لم نجد في النقوش النبطية تفصيلات عن طبيعة هذا الإله سوى أنه ذكر مقروناً مع مناة والإله ذي الشرى[7].

❖ شيع القوم:

يعني الاسم الإله الذي يصاحب القوافل أو يرافقهم[8]، وربما قُصد بذلك رجل القوافل فيكون حامياً لهم في الصحراء[9]، أما رينيه ديسو فيرى أن هذا الإله قد يكون اله العسكر

---

(١) ابن الكلبي، المصدر السابق، ص٢٧.
(٢) اليعقوبي، أحمد بن أبي يعقوب، تاريخ اليعقوبي، ج(١)، (النجف، ١٩٦٤)، ص٢٩٥.
(٣) كتاب الأصنام، ص٢٧.
(٤) كتاب الأصنام، ص٢٧-٢٨.
(٥) الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الرسل والملوك، ط٢، ج(١)، (القاهرة، دار المعارف، ١٩٦٦)، ص١٤١٧-١٤١٨.
(٦) Lindner, Petra and das, P114.
(٧) الحوت، المصدر السابق، ص٧٧.
(٨) هيلي، المصدر السابق، ص١٤٣.
(٩) Lindner, Petra and das, P. 116.

ويكتب في النقوش الصفوية منفصلاً (شيع - هقوم) وهو من الآلهة النبطية وعندهم إله القوافل والمحاربين الذي يدافع عن القوافل ورجالها لمن يتعرض إلى أموالهم وبهذا كان التجار يتقربون إليه بالنذور والدعاء لينزل بمن يتحرش بأموالهم العذاب الأليم[١] وقد وصف في نقوش تدمر أنه لا يشرب الخمر[٢]، وهذا يؤكد ما جاء به ديدور الصقلي عندما ذكر أن الأنباط يمتنعوا عن شرب الخمر متابعة لإلههم شيع القوم[٣]، وقد ورد ذكر هذا الإله في نقوش مدائن صالح وثمود فضلاً عن ذلك نقوش الصفا والأنباط وتدمر[٤]. غير أنه لم يرد ذكره في البتراء وربما يعود ذلك لارتباطه بحياة الصحراء[٥] ويرى الدكتور منذر البكر[٦] أن الأمن والاستقرار في مدينة البتراء كان جيداً وأن الحكومة استطاعت فرض هيمنتها على الطرق التجارية مما جعل هذا الإله أن يكون ثانوياً عكس عبادة هذا الإله خارج مدينة البتراء ربما يكون هذا أواخر الدولة النبطية لعدم سيطرتها ونفوذها القوي على الطرق التجارية.

ومما تجدر الإشارة إليه أن هذا الإله جاء بصورة جندي محارب كما نجد أن أحد الجنود الأنباط واسمه عبيدو أهدى مذبحين للإله شيع القوم في مدينة تدمر[٧].

◆ الكتبا:

يعد الإله الكتبا (Al-Kutba) من الآلهة التي عبدت عند الأنباط وهو إله الكتابة لديهم، كما أنه عُبد عند اللحيانيين ويعرف «هن - كُتب»[٨] (رهن - كاتب) وهنا يعني الاسم «خادم الكاتب»[٩] ويقابل هذا الإله الآشوري البابلي (نابو)[١٠] والاغريقي (هرمس) والروماني (أبولو) الذي عبد في وسط جزيرة العرب كما أنه يقابل الإله المصري (توت)[١١].

وقد جاء ذكر الإله الكتبا في نقوش ومخربشات في الأنباط في مدينة «ديدان» من هنا استقر في البتراء والحجر ومنطقة عين الشلالة في وادي رم، ما ورد ذكره في نقوش المدرس حيث وردت له أسماء مثل «تيم الكتبا»[١٢] فضلاً عن ذلك ورد ذكره في أربع مرات

(١) ديسو، المصدر السابق، ص١٤٥.
(٢) Dalman, op. cit, P151.
(٣) المحيسن، البتراء، ص١١٠.
(٤) Starcky, Petra et la, P. 996.
(٥) المحيسن، البتراء، ص٥٦.
(٦) حديث خاص مع الدكتور منذر البكر.
(٧) Lindner, Petra and das. P. 116.
(٨) Ivid P. 117.
(٩) الفاسي، المصدر السابق، ص٢٣٩.
(١٠) يذكر أن الملك البابلي «نابونيد» نقل معه الإله «نابو» عندما لجأ إلى منطقة تيماء. راجع Lindner, P{etra and das, P. 117.
(١١) Ibid, P. 117.
(١٢) Ibid. P117.

في نقوش العلا باسم «هن - كتب»[1] وقد وجدت تماثيل هذا الإله في معبد خربة الذريح وخربة التنور والبتراء[2].

مناة:

عرفت هذه الإلهة على نطاق واسع عند العرب وغيرهم، فهي عند البابليين تمثل القدر والموت، فقد ورد في أدعيتهم باسم «ما مناتو» أي بمعنى يا مناة يا إلهة القدر والموت، ويا إلهة الروح المخيف ملك الموت، وهي عندهم إلهة الحظ وتقابل إلهة الحظ المخلص (Tyehe-Sotira)[3].

وقد وردت مناة في اللغة الآرامية باسم «مناتا» وفي العبرية «منوت»[4] وقد ذكرت مناة في نقوش الحجر[5]، كما نقش اسمها على العملة مع رمز الانتصار وسعف النخيل، ويعتقد (دلمان) أن مناتو تمثل الشفاعة عند الأنباط[6].

وقد عبدت مناة على نطاق واسع عند العرب بدليل ذكرها في سورة النجم مع اللات، وكان سكان يثرب أشد العرب تقديساً لها[7]، كما شاركهم في عبادتها غسان وأزد شنؤه وهذيل وخزاعة، وكانوا كما يبدو يقدمون لها القرابين والنذور، من هنا فسر بعض الرواة اسمها على أنه مشتق منه سيلان الدماء عندها[8].

والواقع أنها إلهة الموت أو إلهة المنية وهناك من يرى انها العزة في حالة من حالاتها وهذا يجعلها ترتبط بالزهرة «عشتر» أو نجمة الصباح، مما يخالف رأي «بروكلمان» الذي جعلها إلهة قمرية[9].

وأهم معابدها «المشلل» في قديد عند ساحل البحر على الطريق بين يثرب ومكة[10]، وربما كان لها معبداً كبير عند «فدك» على الساحل أيضاً[11].

---

(١) Lindner, Petra and das, p. 117. وكذا المحيسن، البتراء، ص٥٦.

(٢) Al - Muheizen, Z., and Villenenve, F., Khirbet de Dharih, LB, XLIII, (1993), PP. 486-489.

(٣) بروكلمان، المصدر السابق، ص٢٦.

(٤) الحوت، المصدر السابق، ص٦٥.

(٥) المصدر نفسه، ص٦٥.

(٦) Dalman, op. cit P. 151.

(٧) الأزرقي، أبو الوليد محمد عبد الله، اخبار مكة وما جاء فيها من آثار، تح: رشدي الصالح ملحس.. ط١، ج١، (مكة المكرمة، مطابع دار الثقافة، ١٩٦٥)، ص١٢٥.

(٨) الدباغ، المصدر السابق، ص١٣٦.

(٩) بروكلمان، المصدر السابق، ص٢٦.

(١٠) كتاب الأصنام، ص١٣٥.

(١١) اليعقوبي، المصدر السابق، ج١، ص٢٢٥.

وقد روى الأخباريون أن من التلبيات الخاصة بـ(مناة) تلبية الأزد:

يا رب لولا أنت ما سعينا بين الصفا والمروتين نعينا
نحج هذا البيت ما ابتغينا ولا تصدقنا ولا صلينا
البيت بيت ا لله ما حيينا والله لولا الله ما هدينا

كما عبدته هذيل وخزاعة وكانت تلبية خزاعة لها:

نحن ورثنا البيت بعد عاد ونحن من بعدهم أوتاد
فنضفر فأنت عامر وهاد[1].

وكانت سدنته من الغطاريف من الأزد ومناة، وكانت التلبية له لبيك اللهم لبيك، لبيك لولا أن بكر دونك يبرك[2].

وقد تولى علي بن أبي طالب كرم الله وجهه هدم مناة[3]، ويقال إن الذي هدمها هو أبو سفيان بن حرب أو سعيد بن عبيد الأشهيلي[4]. وقد كانت العرب تسمي عبد مناة وزيد مناة.

العزى:

وتعني لغوياً المتفوقة بالقوة والصلابة[5]، وهذا معناها في العبرية أيضاً، وقد جاءت في الكتابات البابلية (Izzu-Sania) وتعني «عليك النار»، لأن غزو في البابلية تعني النار والعزة هي كوكب الصباح أو الزهرة، وهي بذلك تكون «عثتر» أو «عشتروت» وحيث روى «بروكليوس» أن المنذر بن ماء السماء قدم أربعمائة راهبة من الأسرى الغسانيين قرباناً للآلهة «أفردوت» وهذا يعني أن العزى هي أفردوت أو عشتروت وهي إلهة سورية نبطية، حيث كان يرمز لها بالأشجار[6]، كما رمز لها بحجر بيضاء[7]، وتقول الفاسي إن من رموز هذه الإلهة الأسد[8].

وقد اتخذت قريش معبداً خاصاً لها بشعب من وادي حراس بإيزاء الغمير عن يمين المُصعد إلى طريق مكة فوق ذات عرق البستان بتسعة أميال، ويقال أن للمعبد هذا مقاماً

---

(١) ابن قطرب، المصدر السابق، ص١٢٥.

(٢) ابن حبيب، أبو جعفر محمد بن حبيب البغدادي، المحبر، تح: د. ايلزه شتير، (الهند، ١٩٦١)، ص٣١٣.

(٣) ابن هشام، المصدر السابق، ج١، ص٨٦.

(٤) الأزرقي، المصدر السابق، ج١، ص١٢٨.

(٥) البيروني، أبو الريحان محمد بن أحمد الخوارزمي، البيروني، الآثار الباقية عن القرون الخالية، (لا يبرك، ١٩٢٣)، ص٢٠٥.

(٦) بروكلمان، المصدر السابق، ص٢٦.

(٧) أنظر الشكل (٣).

(٨) الفاسي ، المصدر السابق، ص٢٣٧.

يضاهون به حرم الكعبة، ويعني هذا أن المعبد بنخلة شرقي مكة[1].

كما يقال إنها عبدت في مدينة (العز)، الخلصة حالياً وهي مدينة نبطية بالنقب، وكان لها أعياد تقام بها وهي تمثل إلهة الحرب عند العرب[2].

وذكر عن بني شيبان من سليم أنهم كانوا سدنتها وكانت قبائل مضر ومنها قريش تعظم العزة فضلاً عن هؤلاء خزاعة أيضاً[3]، وتذكر المصادر أن لها معبداً آخر بنخلة الشام حيث ينسب هذا المعبد إلى ظالم بن أسعد[4]. وثمة موقع آخر للعزة يتمثل في شجرة نخلة وعندها وثن وهذا الموقع كان لغطفان وسدنتها من بني صرمة بن مرة[5].

ولعل هذا الاسم أو الصفة التي ترتبط بالزهرة كان معروفاً في الجنوب أيضاً، فقد جاء ذكر امرأة في نص جنوبي اسمها (أم العزة)[6]، ومن العرب الذين عبدوا العزة الأنباط في بصرى واتخذوا لها معبداً سموه «بيت إيل»[7].

وقد تعددت معابد العزة غير أن أشهرها الواقع بنخلة شرقي مكة الذي كانوا يزعمون أنهم يسمعون به كلام الآلهة، وهذا المعبد هدمه خالد بن الوليد في الإسلام[8].

أما تلبية هذا الصنم فهي:

لبيك اللهم لبيك ... لبيك لا شريك لك
إلاّ شريك هو لك ... تملكه وما ملك[9]

❖ قوس:

وهو أحدالآلهة التي عبدها الأنباط، وكان في الأصل إله أدومي عبد في حوران[10]، حيث نجد أن له علاقة بقوس الكلمة الأدومية كما في قوس جبر وقوس ملك وعلاقته بالإله «كوز الأدومي»[11].

وقد كان يرمز له بحسب ما جاءت به نقوش بصرى بالنسر[12] رمز الشمس وذلك لسيادته

(١) الأزرقي، المصدر السابق، ج١، ص١٢٦.
(٢) الفاسي، المصدر السابق، ص٢٣٧.
(٣) الأزرقي، المصدر السابق، ج١، ص١٢٦.
(٤) عاقل، نبيه، تاريخ العرب قبل الإسلام والعصور الإسلامية، ط٣، (بيروت، دار الفكر، ١٩٧٥) ص٢٧٩-٢٨١.
(٥) ابن حبيب، المحبر، ص٣١٥.
(٦) موسكاتي، المصدر السابق، ص٢٥٧.
(٧) الدباغ، المصدر السابق، ص١٣٥.
(٨) الدباغ، المصدر السابق، ص١٣٥.
(٩) ابن قطرب، المصدر السابق، ص١١٦-١١٧.
(١٠) Lindner, Petra and das, P. 78.
(١١) العلي، المصدر السابق، ج١، ص١٨١.
(١٢) الفاسي، المصدر السابق، ص٢٣٨.

السماء ومن معانيها الشجاع وعرفت عند الساميين القدماء (بابل) وعند الكنعانيين والأكاديين (إل) وعند العبرانيين (الوهين) و(الله) عند العرب[١].

❖ سعد:

وهو من الآلهة التي عرفها الأنباط ولا نعرف عنه سوى أنه كان لمالك وملكان ابني كنانة وهو عبارة عن صخرة طويلة بساحل جدة[٢] وتوقف على هذا الإله الإبل وتراق الدماء، حيث قدم رجل من كنانة بإبله ليوقفه على الإله ويتبرك منه فلما قربه منه نفرت وذهبت بكل جهة وتفرقت عليه فأسف على ذلك وتناول حجراً ورمى به الإله وقال: لا بارك الله فيك إلهاً نفرت عليّ إبلي، ثم خرج يطلبها حتى جمعها وانصرف ويقول:

أتينا إلى سعد ليجمع شملنا
فشتتنا سعد فلا نحن منه سعد
وهل سعد إلا صخرة بتنوفه
في الأرض ولا يدعى لفيءٍ ولا رشد[٣]

ويذهب بعض المستشرقين إلى أنه إله القمر وتذكر المصادر أن سعداً من الأصنام التي ذكرها أهل الأخبار[٤].

❖ سعيد:

وهو من الآلهة التي عرفت عند الأنباط ويقال أنه صنم (لعنزة) ويذكر أن جعفر بن خلكان الكلبي قد خرج بناقته فمرّ به وعندما وصلته عترت عتيرة فتفرقت فحينها أنشد يقول:

نفرت قلوصي عتائر صرعت
حول السعير يزوره ابنا يقدم
وجموع يذكر مهطعين جناية
ما أن يخير إليهم يتكلم[٥]

---

(١) الروسان، المصدر السابق، ص١٦٠.
(٢) معجم البلدان، ج٣، ص٢٢١.
(٣) المصدر نفسه، ص٢٢١.
(٤) جواد علي، أصنام الكتابات، ص٢٩.
(٥) معجم البلدان، ج٣، ص٢٢٢.

وهيمنته، ولأن النسر يدور في كبد السماء كما تفعل الشمس في مدارها فيراقب من علو ما يحدث على سطح الأرض[1].

◆ قيس:

وهو اسم صنم قديم وذكر في الكتابات اللحيانية باسم (قيسو)، وقد كان له معبد عرف بـ«بيت قيس» في مدائن صالح، ويدل وجود اسمه في الأعلام العربية المركبة مثل «عبد قيس»، و«عبد القيس» إنه كان من الأصنام المعروفة والمعبودة عند بقية العرب[2].

ولعله يكون إله حامي الحدود من آلهة «ريدان» وهناك من يعتقد أن مدينة حوران النبطية اختصت بعبادته[3].

◆ مناف:

يبدو أن اسمه مأخوذ من العلو، غير أننا لا نعلم شيئاً عن مكانته أو أمره ومن قام بنصبه، سوى أنه من آلهة الشمال، فقد ورد في واحد من النقوش الثمودية أن شخصاً يطلب المساعدة من الإله مناف[4].

وفي تاريخ قبل الإسلام كان من أصنام مكة العظيمة، وتذكر المصادر التاريخية أن بني سلمة كانت تعبده وبه كانت قريش تسمي عبد مناف[5].

◆ هـ إله:

وهو يقابل الـ إله ويعني الإله، وليس الله الا باختزال الهمزة وهو من الألفاظ السامية لقديمة ويقال إنه إله ذكر وأنثى، وقد جاءت الكلمة مسبوقة بالهاء عند الثموديين والصفويين (هـ إله) أي أن الهاء ال التعريف فتصبح بذلك الله وهذا ينطبق على اللحيانية والعربية الجنوبية[6] وقد ارتبط اسم هذا الإله ببعض الأسماء العربية النبطية مثل رب أيل وعبد الله تيم الله[7] وفي الواقع أن كلمة إله تعني (سما) ويقال سميت الشمس الإلهة لارتفاعها في

---

(١) خليل، احمد خليل، مضمون الأسطورة في الفكر العربي، (بيروت، دار الطليعة، ١٩٧٣)، ص٤٤.

(٢) «جواد علي، أصنام الكتابات»، مجلة سومر، مجلد ٢١، ج١، (بغداد، ١٩٦٧) ص٢٦. سيشار له فيما بعد: جواد علي، صنام الكتابات.

(٣) الفاسي، المصدر السابق، ص٢٣٨.

(٤) الروسان، المصدر السابق، ص١٨٧.

(٥) الألوسي، السيد محمود شكري الألوسي البغدادي، بلوغ الإرب في معرفة أحوال العرب، شرح وتصميم: محمد بهجة، ٣ط، ج٢، (مصر، دار الكتاب، ١٣٤٢هـ)، ص٢٠٦.

(٦) الروسان، المصدر السابق، ص١٦٤.

(٧) Stracky Petra et la, P. 985.

وهذا النص يدل على أنهم كانوا يطوفون حول الصنم سعير[1].

◆ رضا:

وهو من الفعل (رضى يرضى) ومصدره رضوان وقد جاءت كتابة هذا الإله بالواو والألف المقصورة أو الألف (رضو، رضى، رضا)[2] وقد عرف هذا الإله عند عرب الشمال بصيغة المؤنث. وجاء عند التدمريين بـ أرضو وارتبط مع الاله عزيزو وهما يمثلان نجمة الصباح والمساء[3] ويرى نلسن أنه يقابل عثتر عند عرب الجنوب[4]، وقد عرفت عبادة هذا الإله عند الأنباط ومن خلالهم انتشرت بين قبائل الحجاز ونجد[5] فقد جاء في نقوش نجد أن الإله الثمودي رضو قد تأثر بالإله النبطي رضو وتوضح هذه النقوش أيضاً أن لفظة رضو، رضا تعني العون والسعد عند الثموديين[6]، كما ورد اسم هذا الإله في نقو ش الصفويين ففي رسم لامرأة تشد شعرها بكلتا يديها يعني أنه رسم للإله رضا[7].

◆ ايزيس:

وهو من الآلهة التي عرفها الأنباط ويبدو أنها انتقلت عبادة هذا الإله من مصر إلى الأنباط[8]، وقد رمز لها بقرص الشمس فوق المثلث المنحوت على واجهة الخزنة[9] كما وجد لها تمثال منحوت في وادي السيغ وكتب بجانبها، اسمها بالنبطية[10]. وكانت عبادة هذه الإلهة منتشرة في العالم الروماني.

◆ أعرا:

وهو إلهٌ نبطي عُثر على نقش له في الحجر وقد ذكر في نقوش بصرى كما أشارت إليه

---

(١) الروسان، المصدر السابق، ص١٦٨.

(٢) حديث مع الدكتور مصطفى عبد اللطيف، أستاذ الأدب العربي قبل الإسلام، جامعة البصرة، قسم اللغة العربية، كلية الآداب.

(٣) جواد علي، أصنام الكتابات، ص٢٢.

(٤) نقلاً عن جواد علي، ص٢٢.

(٥) المصدر نفسه، ص٢٢.

(٦) الروسان، المصدر السابق، ص١٨٦.

(٧) المصدر نفسه، ص١٨٦.

(٨) Milik, J. I., and Starcky, J. Inscriptions recemment decouvertes a petra, ADAJ, Amman, 1975, PP. 120-124.

(٩) أنظر الشكل (٤).

(١٠) Milik, op. cit, PP. 120-124.

نقوش أم الجمال ومتان في جبل الدروز[1].

❖ بصرى:

وهو إله نبطي،و جاء في أحد النقوش التي عثر عليها في منطقة (قطار الدير) القريبة من الرقيم (البتراء) أنه (دنه نصباً دي بصرى) أي بمعنى أن هذا النصب لإله بصرى أو الآلهة التي في بصرى[2].

❖ الجي:

وهو إله نبطي يرتبط بالإله ذي الشرى وقد جاء في أسماء الأعلام مثل: عبد الجي في منطقة البتراء، ويمكن أن يكون هذا الاسم صفة أو لقب ذي الشرى، وهناك محاولة لربط هذا الاسم بوادي موسى الذي يكون مكان العبادة لهذا الإله[3].

❖ داد أو حدد:

إله كنعاني لحياني نبطي، وهناك من يعتقد أن هذا الإله الذي عبده الأنباط هو من أصل سوري[4].

❖ تره أو تهره:

نجد اسم هذا الإله في نقوش تيماء والحجر، ومن المحتمل أن يكون هذا الإله خاص بأهل تيماء ولكن بصيغة (ترتي أو تراتا)[5] غير أنه لا يعرف شيء عن خصائص هذا الإله وشكله ويرى بعضهم أن تيماء كأن لها ثالوث هو (صلم، أشيرا، شنجلا) فالإله الأول يمثل إله القمر وهو الرئيس وتمثل الشيرا إله الشمس[6]. ولا ندري هل تكون تره هي أشيرا أم الآلهة أترعتا أم أتراجاتيس؟ وهل لهذه صلة بقرية (آثيرا) احدى القرى القريبات من وادي السرحان التي

---

(1) Dalman, op. cit, P.51.
(٢) الفاسي، المصدر السابق، ص٢٢٢.
(٣) الفاسي، المصدر السابق، ص٢٢٢-٢٢٣.
(٤) المصدر نفسه، ص٢٢٢-٢٢٧.
(٥) المصدر نفسه، ص٢٢٦.
(٦) المصدر نفسه، ص٢٢٦.

تكثر بها الآثار النبطية؟[١].

◆ اتارجاتيس:

من الآلهة التي عُبدت عند الأنباط[٢] وهي إلهة الدلافين وهي بذلك تكون من أصل نبطي[٣].

المبحث الثاني: المعابد النبطية:

اهتم العرب بأماكن عبادة آلهتهم فجعلوا لها أفضل الأبنية وأضخمها تمجيداً لها، وهذه المعابد تختلف بعضها عن بعض ولكن ليس في الأسس وإنما في مواد البناء.

وكانت أشكال المعابد مختلفة فمنها ما هو مربع أو مستطيل، وإما مكعبة، وقد قام «كروهمن» بدراسة تفصيلية لطبيعة المعابد وأشكالها[٤].

وكان شائعاً عند العرب الأسلوب التكعيبي في البناء، فقد ذكر أن بيوت الأصنام عندهم كانت مكعبة، وكذلك المعابد التي شيدت للآلهة في سوريا وفي الجزيرة العربية والعراق[٥].

ومن أشهر الأبنية الدينية عند الأنباط التي سنتناولها في البحث معبد خربة الذريح ومعبد خربة التنور ومعبد قصر البنت ومعب اللات في وادي رم والخزنة.

وستكون دراستنا مقتصرة على هذه المعابد لتعطينا صورة عن طبيعة البناء الديني في مملكة الأنباط.

◆ معبد خربة الذريح:

تقع خربة الذريح على الضفة الشرقية لوادي اللعبان وهو أحد روافد وادي الحسا، وهذا الموقع يبعد حوالي (١٠كم) عن موقع خربة التنور[٦]. وأهم ما يميز الموقع قربه من الطريق الملكي «طريق تراجان» وكثرة الينابيع المائية وصلاحية أراضيه الزراعية، وطبيعة مناخه الملائم للاستقرار الإنساني[٧]. وهذه العوامل مجتمعة جعلت من المكان ذا طبيعة حضارية

---

(١) الفاسي، المصدر السابق، ص٢٢٦.

(٢) أنظر الشكل (٥).

(٣) الفاسي، المصدر السابق، ص٢٢٧.

(٤) جروهمن، الناحية الأثرية لبلاد العرب الجنوبية، من كتاب التاريخ العربي القديم لنلسن، المصدر السابق، ص١٥٧.

(٥) المصدر نفسه، ص١٥٨.

(٦) «المحيسن، زيدون، فرنسوا فيل، حفريات خربة الذريح لموسم ١٩٩٢»، مجلة أنباء، جامعة اليرموك، ع١٤، ١٩٩٣، ص٥، سيشار له فيما بعد: المحيسن، حفريات خربة الذريح لموسم (١٩٩٢).

(٧) «المحيسن، زيدون فرنسوا فيل، خربة الذريح موقع نبطي في وادي اللعبان»، حولية دائرة الآثار العامة، مجلد ٣٤، عمان، ١٩٩٠، ص٥، سيشار له فيما بعد: المحيسن، خربة الذريح موقع نبطي.

في العصور القديمة عامة والفترة النبطية خاصة.

ويقع المعبد في شمال خربة الذريح على الضفة الشرقية لوادي اللعبان، حيث أقيم على منطقة منبسطة[١]. فقد بُني على شكل مستطيل، ويتكون من ساحتين كبيرتين[٢]، وقد وجد أمام البوابة الرئيسة للمعبد تمثال للإله هيرمس ميركوري كما عثر على تماثيل أخرى تتصل بالإله ذي الشرى مثل (ديونيسيوس، زيوس، بعل)[٣]، وهذه التماثيل تؤكد أهمية المعبد عند الأنباط..

وأهم ما يميز المعبد واجهته الأمامية التي تميزت بزخرفة بالغة الدقة، فقد كانت تمثل لوحات نباتية وآدمية غلب عليها الطابع الهلنستي المتأخر[٤]. كما أن منطقة المنصة المقدسة التي من المحتمل أنها استعملت لأغراض دينية في المعبد هي ذات شكل مربع وبنيت فوق سقف غرفتين صغيرتين[٥].

ومن خلال ما تقدم يتبين لنا أن هذا المعبد تميز عن غيره من المعابد النبطية بزخارفه الهندسية والنباتية والحيوانية التي رسمت على جدرانه[٦].

◆ معبد خربة التنور:

تقع خربة التنور على بعد ميل إلى الغرب من الطريق السلطاني «طريق تراجان» عند ملتقى وادي الحسا بوادي اللعبان المتفرع منه[٧]، ويقع المعبد فوق جبل التنور الذي يبعد حوالي (٨ كم) إلى الشمال من معبد الذريح[٨]، ويبدو أن هذا المعبد إنما سمي بهذا الاسم بسبب موقعة على جبل التنور.

ويظهر أن اختيار الجبل الذي تنتشر حوله قرى الأنباط كان له معنى ديني وقدسي خاص بالإله «بعل شمين - هدد» رب الصواعق والرعود.

وفي رأي الدكتور زيدون المحيسن أن اختيار هذا الموقع لاعتقاد الأنباط أنه أقرب لهم إلى السماء[٩].

---

(١) المحيسن، حفريات خربة الذريح لموسم ١٩٩٢، ص٥.

(٢) المصدر نفسه، ص١٠.

(٣) «المحيسن، زيدون، حفريات خربة الذريح لموسم ١٩٩٣»، مجلة أنباء، ع(١٦)، جامعة اليرموك، ١٩٩٤، ص٩. سيشار له فيما بعد: المحيسن، حفريات خربة الذريح لموسم ١٩٩٣.

(٤) المحيسن، خربة الذريح موقع نبطي، ص١٢.

(٥) المصدر نفسه، ص١٢.

(٦) المحيسن، حفريات خربة الذريح لموسم ١٩٩٣، ص٦.

(٧) هاردنج، المصدر السابق، ص١٣٥.

(٨) المحيسن، البتراء، ص١٨٩.

(٩) المصدر نفسه، ص١٨٩.

وقد دلت نتائج الحفريات التي قامت بها البعثات العلمية، أن المعبد قد مرّ بثلاثة أدوار في عملية البناء، حددها Glueck بالآتي:

الدور الأول: ما بين القرن الثاني قبل الميلاد وحتى القرن الأول قبل الميلاد.

الدور الثاني: يبدأ من نهاية القرن الأول قبل الميلاد وحتى منتصف القرن الأول الميلادي.

الدور الثالث: يبدأ من منتصف القرن الأول الميلادي وحتى بداية القرن الثاني الميلادي[١].

وللمعبد مدخل رئيس في الجهة الشرقية كان يدلف منه العابر إلى ساحته المرصوفة بالحجارة والمنخفضة عن ساحة الهيكل المتوسط بحيث كان يرتقي إليه بدرجتين ممتدتين على طول الجهات الشمالية والشرقية والجنوبية، وكان باب الهيكل مقابل الباب الخارجي، يتقدم منه الداخل إلى الصحن حيث ارتفع المذبح وفوق باب الهيكل وجد تمثال نصفي ضخم لإحدى الالهات الأنباط وقد تهدل شعرها على منكبيها فظهر نقاب أرسل تحت عينيها لغاية العنق، وعلى طرف باب الهيكل يقوم تجويفان رُكّز فيهما تمثالان نصفيان لإلهته. وفي جدران المعبد من الداخل ظهر افريز مستطيل مؤلف من صور أشخاص مجنحة شبيهة بالملائكة وتماثيل أخرى نصفية. وفي صحن الهيكل من الداخل وجد تمثال الإله (حدد) منصوباً فوق المذبح وتقوم عمدان ركزت عليها تماثيل نصفية صغيرة لإحدى الإلاهات. واحدة منها ظهرت وفي أذنيها أقراط وعلى رأسها سمكتان أفقيتان. وقرب المذبح عثر على تمثال نسر يتصارع مع أفعى غليظة وقد التفت حول بدنه ورجليه. وعثر أيضاً على تمثال آخر جميل لإلهه أحيط جسدها بطوق نقشت فيه علامات البروج، كما عثر على تمثال رأس أسد وتمثال رأس آخر صغير لأحد الآلهة وعلى قطع أعمدة وحانوت ومثلثات قد نقشت عليها أشكال ورود وأكاليل زهر وهي غاية في الإتقان»[٢].

وقد عثر في المنطقة المركزية للمعبد على منصة مرتفعة تسمى (قدس الأقداس) كان الحجاج يطوفون حولها[٣].

◆ معبد قصر البنت أو «قصر بنت فرعون»:

جاءت هذه التسمية المتأخرة عن عادة عربية قديمة إذ كانوا يعزون إقامة المنشآت الكبيرة إلى ملوك مصر القدماء ظناً منهم أن أولئك الملوك يتمتعون بقدرة وسلطة كبيرتين[٤].

---

(١) Glueck, N., Deities and Dolphins, the Story of the Nabataeans, (London, 1965), P. 101.
سيشار له فيما بعد: Deities and Dolphins.

(٢) «مكتشفات خربة التنور ١٩٣٧»، حولية دائرة الآثار، القدس، ٨-٩، ١٩٦٤، ص٣١.

(٣) المحيسن، البتراء، ص١٩١.

(٤) هاردنج: المصدر السابق، ص١٦١.

ويقع المعبد تحت جبل (الحبيس) على ملتقى طرق التجارة القادمة من صحراء سيناء وفلسطين وبلاد الشام[1]. وقد استعملت في عملية بناء المعبد الحجارة الرملية الوردية اللون[2]، وكان هيكله مستطيلاً قائم الزوايا أقيم في طرفه الجنوبي صفان من المقاعد[3] ومن المحتمل أنهما كانا يستعملان في الحفلات الدينية. وعثر في المعبد على بقايا تيجان أعمدة نباتية، وافريزة دورية مكونة من Metopes ذات شكل دائري. وقد تم زخرفة الأعمدة بلوحات جصية ذات أشكال مربعة ومزخرفة بأشكال دائرية أو ثمانية الأضلاع، كما وجدت زخرفة البيضة والسهم الكلاسيكية[4].

ويرجع فن الزخرفة والبناء في البتراء هذه إلى تأثير الاسكندرية والمراكز الهلنستية في أنطاكيا وسوريا وذلك من خلال العلاقات التجارية المتبادلة[5].

ومن خلال دراسة الفن المعماري عند الأنباط نجد أنهم لم يكتفوا بما اكتسبوه من الفن اليوناني فحسب وإنما تجاوزوا ذلك وهذا ما نجده في فن الهندسة المعمارية والزخرفة وغيرها.

أما ما يتعلق بتاريخ بناء المعبد فإنه كان موضع جدال بين الباحثين إذ يعتقد سابقاً أنه بني في عهد الرومان، كما كشفت لنا الحفريات عن قطعة أثرية ترجع في تاريخها لسنة (٢٥م)، من هنا نفترض أن المعبد قد تم تشييده خلال فترة (٢٥-٥٠م)[6].

❖ معبد اللات في واي رم:

تعد منطقة وادي رم مركزاً مهماً لقوافل التجارة النبطية القادمة والمتجهة من الجزيرة العربية وإليها وفي هذه المنطقة يوجد نبع «عين الشلالة»[7] الذي بني المعبد بالقرب منه مما زاد من المكان شهرة وأهمية.

ومن خلال ما جاءت به النقوش النبطية التي وجدت في وادي رم يتبين لنا أن هذا المكان كان للإله اللات الذي سمي المعبد النبطي بإسمها[8]. وقد بني هذا المعبد من قبل الملك النبطي «رب إيل الثاني ٩٠-٧٠ق.م»[9].

(١) زيادين، فوزي، حولية دائرة الآثار العامة، عمان، (ع٢٦)، ١٩٨٨، ص٣٧٤-٣٨٠.
(٢) المحيسن، البتراء، ص١٥٢.
(٣) هاردنج، المصدر السابق، ص١٦١.
(٤) المحيسن، البتراء، ص١٥٢.
(٥) نقلاً عن المحيسن، المصدر السابق، ص١٥٣.
(٦) «مجلي، عبد المجيد، أعمال الترميم في معبد قصر البنت ودرج المحكمة في البتراء، حولية دائرة الآثار العامة، عمان، مجلد ٢٩، عمان، ١٩٨٥، ص٢٥. وكذا هاردنج، المصدر السابق، ص١٦١.
(٧) المحيسن، البتراء، ص٧٨.
(٨) تنقيبات دائرة الآثار العامة، المصدر السابق، ص٣٦.
(٩) المحيسن، البتراء، ص٥٣.

وكان هيكل المعبد يشبه إلي حد ما هيكل معبد خربة التنور إلا أنه أقل منه حجماً. ويتم الدخول إليه من جهته الشرقية، وقد وجد في وسطه مذبح إلى جانبه تمثال لإلهـة جالسة[١].

وبسبب قلة المياه في الموقع قدّس الأنباط الينابيع وأقاموا على كل منها هيكلاً للات آلهة الماء والنبات[٢]. ومن هذا نستنتج أن الأنباط كانوا يقرنون اللات بالينابيع والماء.

ومن المفيد قوله أن (اللات) قد عبدت في هذا المعبد وكانت على شكل صنم مستطيل عليه ملامح وجه إنساني[٣].

◆ **الخزنة:**

تعد الخزنة واحدة من أعظم ما تركه الأنباط على مستوى المنشآت المعمارية في البتراء خاصة والمملكة النبطية عامة، فقد نحتت الخزنة في صميم الصخر، مما دفع الناس حديثاً إلى الاعتقاد أنها تحتوي في داخلها على الذهب، من هنا جاءت التسمية[٤]، إلا أنها في الواقع حلية منحوتة في الصخر الأصم.

ولم يتفق بعد الباحثون في كون الخزنة معبداً أو ضريحاً، ولكن الأدلة تشير إلى أنها أنشئت لتكون معبداً[٥].

وتتألف داخلية البناء من غرفة في الوسط توصل إلى غرفة صغيرة في الصدر كما يتألف البناء من غرفتين واحدة على الجانب الأيمن والأخرى على الجانب الأيسر[٦]، ومن المحتمل أن هذه الغرف استعملت مخازن للنذور والهدايا الموجهة للآلهة.

وتتجلى أهمية البناء ليس في داخله وإنما في واجهته، حيث تتألف الواجهة من جزئين، الجزء العلوي والجزء السفلي الذي يتكون من ستة أعمدة ذات تيجان من النوع الكورنثي وتعلو الأعمدة افريزة مزخرفة بأزواج من الوحوش المجنحة، وفوق الشكل المثلث يوجد قرص شمسي يرمز للإله (Isis) المصري وفي وسط الافريز يظهر وجه من أوراق «الأكانتس» وعلى جوانب المثلث يقف حيوان مجنح، وعلى جواب الأعمدة توجد منحوتة آدمي يقف أمام فرس[٧]، حيث يعتقد نلسن جلوك «إن نحت الخيول في الفن النبطي من أجل مساعدة المتوفى في رحلته إلى ما بعد الحياة[٨]، ويبدو أن هذه العادة كانت سائدة عند العرب عامة،

---

(١) تنقيبات دائرة الآثار العامة، المصدر السابق، ص٣٦.
(٢) تنقيبات دائرة الآثار العامة، المصدر السابق، ص٣٦.
(٣) المحيسن، البتراء، ص٥٣.
(٤) هاردنج، المصدر السابق، ص١٥٦-١٥٩.
(٥) المصدر نفسه، ص١٥٩.
(٦) أنظر الشكل (١).
(٧) أنظر الشكل (١).
(٨) Glueck, Deities and Dolphins, P 242.

حيث نجد أن بعض العرب إذا حضره الموت يقول لولده ادفنوا معي راحلتي، أحشر عليها فإن لم تفعلوا حشرتوا على رجلي[١].

أما الجزء العلوي فيتكون من ستة أعمدة في الأمام وأربعة خلفية ملتصقة بالجدران وهي ذات تيجان كورنثية وفي منتصف الواجهة مبنى دائري يحمل سقف على شكل خيمة، كما يوجد تاج فوقها وجرة، والأفريزة العليا تحمل زخارف نباتية، فضلاً عن أشكال الرمان والعنب والصنوبر وفي منتصف المبنى الدائري Tholos يظهر تمثال الإلهة Isis مع سنابل القمح التي ترمز لها، وفي أعلى المثلثات تبرز منحوتات لطائر النسر[٢].

وقد اختلف الباحثون في أصل الخزنة، فقد ذكر الرحالة (أربي) في بداية القرن التاسع عشر أنها ترجع الى تأثيرات العهد الروماني[٣]، فيما يرى الفرنسي «دي لوين» أنها تعود في أصلها إلى مباني الاسكندرية كمعبد كليوبترا[٤]، وفي رأي الألماني «دوماشفسكي» أنها أقيمت معبداً للآلهة، أقامها الإمبراطور «هوريانوس»[٥] وقد اعتقد كل من «فينغاند وفانزنفر» أنها ترجع إلى عهد «أغسطس قيصر» وذلك بسبب التأثير الهلنستي الظاهر في النقوش والمخطط المعماري[٦]. ولقد افضت معظم الأدلة الأثرية المعاصرة على أن الخزنة واجهة معمارية تمثل الفن النبطي في نهاية القرن الأول قبل الميلاد وتوضح تأثره بالفنون الأخرى.

ونحن نميل إلى رأي الدكتور زيدون المحيسن من أن الواجهة تمزج التأثيرات الشرقية المتمثلة في الآلهة والحيوانات الخرافية المصرية والنسر السوري وشكل الجرة الشرقية مع الأساليب الهلنستية، فضلاً عن الطابع النبطي المتمثل بزخارف التيجان والإفريز[٧]. كما نفترض أن الخزنة قد بنيت في أواخر القرن الأول قبل الميلاد.

المبحث الثالث: الطقوس الدينية

◆ الحج:

جاءت كلمة الحج لغة بمعنى القصد وكثرة الاختلاف والتردد[٨]، وفي الاصطلاح زيارة بيوت الآلهة التي تقيم فيها وتكون مواعيد هذه الزيارات وأشكالها بطريقة منظمة ومراسيم

---

(١) ابن حبيب، المحبر، ص٣٢٣.

(٢) أنظر الشكل (٢).

(٣) «ستاركي، جان، الحضارة النبطية»، حولية دائرة الآثار العامة، عمان مجلد (١٤)، ١٩٦٩، ص٢٧. وسيشار له فيما بعد: ستاركي، الحضارة النبطية.

(٤) Wright, G. R. H, The Khazneh at petra: A Review, ADAJ 6-7, (1962), PP 24-54.

(٥) ستاركي الحضارة النبطية، ص٢٧.

(٦) المصدر نفسه، ص٢٧.

(٧) المحيسن، البتراء، ص١٤٧.

(٨) الزبيدي، محمد مرتضى الحسيني، تاج العروس، ج(١٠)، (بنغازي، دار ليبيا)، حج.

كما وجد الكثير من النقوش والمخربشات في مناطق مختلفة من مملكة الأنباط تحمل صلوات وأدعية مثل «بريك» «بركت» «بركته»[1].

وكانت الغاية من هذه الأدعية التبرك والحفظ الذي من خلاله يتقرب العبد إلى المعبود، ويتوجب على المتعبد حتى تتحقق أدعيته أن يقدم النذور والهدايا ويقوم بما عليه من واجبات دينية.

وبشكل عام كان العرب القدماء في عباداتهم يسجدون للآلهة، إذ يعد السجود عملاً خاصاً بالصلاة[2]، حيث أشار القرآن الكريم إلى السجود بقوله تعالى: (ومن آياته الليل والنهار والشمس والقمر لا تسجدوا للشمس ولا للقمر واسجدوا لله الذي خلقهن إن كنتم إياه تعبدون)[3].

وكان الغرض من الصلاة استجداء حماية الآلهة وخصوبة الأرض والرواج للتجارة والخلاص من الفقر والمرض[4].

◆ التراتيل والتمائم:

كان للأنباط تراتيل خاصة يؤدونها في أثناء زيارة المعابد والقيام بالطقوس التي يفرضها عليهم الواجب الديني، وقد جاء في كتاب المؤرخ اليوناني «ابيفانوس» أن الأنباط كانوا يقومون بأداء تراتيل باللغة العربية[5]. وهذا يدل على أن الأنباط كغيرهم من العرب لهم تراتيل يؤدونها في معابدهم.

ونأمل بالمستقبل العثور على نقوش حول هذا الموضوع (أما بخصوص التمائم فقد تم مؤخراً العثور على برديه في منطقة بئر السبع بصحراء النقب يعود تاريخها إلى (١٠٠ ق.م) تتناول موضوع التمائم وتتضمن هذه البردية واقع رجل يطلب المساعدة من الملائكة لتخلصه من سيطرة امرأة عليه[6].

◆ الطهارة والاغتسال:

كان من أهم واجبات المتعبدين عند العرب هو الاغتسال والطهارة، فقد وجد ما يؤكد أن الأنباط كانوا يتطهرون قبل دخولهم المعبد، ففي القرب من معبد الإله ذي الشرى في البتراء

---

(١) المصدر نفسه، ص٢٨٣.

(٢) الطبري، أبو علي الفضل بن الحسن، مجمع البيان، ج(١)، (بيروت، دار الزهراء، ١٩٨٠)، ص١٧٧.

(٣) سورة فصلت، الآية ٣٧.

(٤) موسكاتي، المصدر السابق ص١٩٦.

(٥) ستاركي، حضارة الأنباط، ص١١.

(٦) الفاسي، المصدر السابق، ص٢٨٨.

وطقوس وأوقات محدودة[١].

وقد عرف الحج في الجزيرة العربية منذ القدم[٢]، كما عرفته ومارسته أقوام شمال الجزيرة العربية ومن ضمنهم الأنباط، إذ كانوا يحجون إلى الإله ذي الشرى في يوم (٢٥ كانون الأول) وهذا اليوم هو يوم الانقلاب الشتوي، كما مر بيان ذلك عند حديثنا عن الإله ذي الشرى[٣].

وتعد المعابد المنتشرة على سفوح الجبال ولا سيما معبد خربة الذريح محجات للناس[٤]. فقد كان المتعبدون يطوفون حول منطقة قدس الأقداس داخل المعابد كما هو موجود في معابد الأسود المجنحة في البتراء ومعبد خربة الذريح ومعبد خربة التنور ومعبد اللات في وادي رم[٥].

مما يؤكد ما هو أشبه بالتقليد والنقل من عبادة العرب تبعاً لملة سيدنا ابراهيم عليه السلام ولا سيما الطواف حول الكعبة[٦].

ولم تظهر النقوش النبطية الموجودة كلمة (حج)، إلا أننا نفترض وجودها لأن كلمة «حج» أو «ذي حجت» جاءت في النقوش العربية الجنوبية[٧]. لذا نتمنى أن تبذل دائرة الآثار العامة في الأردن كل الجهود لإخراج ما هو مدفون من نقوش تعد مهمة في دراسة الأحوال الاجتماعية لعرب الأنباط.

◆ الصلاة:

تعد الصلاة من الطقوس السائدة عند العرب الأنباط. فقد وجدت على إحدى الصخور التي عثر عليها في منطقة الحجر صورة الأشخاص رافعين أيديهم إلى أعلى في وضع دعاء أو صلاة[٨].

---

(١) صالح، العلي، المصدر السابق، ص١٨٢.

(٢) الحوت، المصدر السابق، ص١٤٦-١٤٧.

(٣) J. H. Mordtmann: Dusaras bet Ep, Phanins (ZDMG), Bd, 29, P. 101.

(٤) Glueck, N. The Early History of a Nabataean Temple (Khirbet et - Tunnur) in BASOR 69, 1938, PP. 7-8.

(٥) المحيسن، البتراء، ص٢٠.

(٦) جواد علي، المفصل، ج٥، ص١٠١. يميل موسكاتي إلى أن العرب لم يكونوا يطوفون، راجع: موسكاتي، المصدر السابق، ص١٩٥. إلا أن الشعر الجاهلي يصور لنا الطواف عند العرب ففي وصف لامرئ القيس يصف ظبأ الوحش ويشبهها بالفتيات اللاتي يطفن، فيقول:

فعن لنا سرب كان نعاجه ... عذارى دوار في الملأ المذيل

راجع العتوم، علي، قضايا الشعر الجاهلي، (د. ن، د. م، ١٩٨٢)، ص٤١٧-٤١٨.

(٧) Beeston, A. F. I: A Deseriptive Grammer of Epigraphic South Arabian, London 1962, P. 859.

(٨) الفاسي، المصدر السابق، ص٢٨٢.

وجد العديد من الأحواض المائية التي خصصت للاغتسال والتطهر[1]. كما نجد مثيل ذلك في المناطق المقدسة للإله ذي الشرى في وادي فرسا وسد المعاجيل، أو سد المعاجن ومناطق المذبح[2].

وهذا يؤكد الطهارة في عبادة العرب الأنباط لأنها تعد من الأركان المهمة في الطقوس الدينية التي لا يجوز انتهاكها[3]. مع العلم أن ذلك كان سائداً عند عرب الجنوب حيث يمنع المتعبد من دخول المعبد بأثواب نجسة وإن فعل ذلك ينتهك مبدأ الطهارة ويخرج على القانون لذلك يستدعي الاعتراف علناً بالخطأ ويوجب عليه دفع كفارة وطلب الصفح من الآلهة، فإما أن يغفر له أو أن تؤكد العقوبة عليه حسب النظام الاجتماعي السائد[4].

وكانت العرب تختلف عن سواها من الأمم تضع عشرة أشياء خمسة منها في الرأس والخمسة الأخرى في الجسد ومن ضمنها الاغتسال من الجنابة وغسل الموتى[5].

◆ القرابين:

يعد تقديم القرابين من أهم الشعائر الدينية وأبرزها عند الأمم والشعوب كافة[6]. وقد وجد من خلال النقوش ما يدل على أن الأنباط كانوا يقربون الأضاحي. وقد وجد في أحد النقوش التي عثر عليها في بصرى أن شخصاً يدعى «نطرال برنطرال قرّب إلى الإله» ومن خلال دراسة هذا النقش لم يتبين لنا ماذا كان يقدم هذا الشخص وكان يبدو أن الحجر الذي نقشت عليه هذه الكتابة هو مذبح من البازلت الأسود الذي تُزين جوانبه رؤوس ثيران[7].

وقد اختلفت نوعية القرابين المقدمة فقد كانت تقدم الأضاحي كالجمال والماعز والضأن وما وجود السلم على جوانب المعبد إلا تأكيد لذلك إذ يمكن أن نتصور أن مقدم القرابين كان يقوم بالصعود إلى المذبح لتثبيت رأس الحيوان على الجرن لنحره، ومن ثم يقوم بأخذ بعض الدم ويتجه نحو الموتاب وبعدها يقوم برشه أو طلي العلية به[8].

ويفترض (كامر) أن الضحية الحيوانية كانت تحرق بالقرب من المعبد[9]. ومن القرابين التي كانت تقدم للإله ذي الشرى التماثيل كالذي وجد في البتراء الذي يعود تاريخه لسنة

---

(١) هيلي، المصدر السابق، ص١٤١.

(٢) المحيسن، البتراء، ص٥١.

(٣) موسكاتي، المصدر السابق، ص١٩٦.

(٤) Grohmann, A. Arabien, (Munehen, 1963), P. 252.

(٥) ابن حبيب، المحبر، ص٣٢٩.

(٦) جواد علي، المفصل، ج(٦)، ص٣٤٥.

(٧) الفاسي، المصدر السابق، ص٢٨٠.

(٨) ستاركي، الحضارة النبطية، ص١٢.

(٩) Kammerer, op. cit, P. 428.

(٧٠م)[١]، وهذا النوع نجده أيضاً مستعملاً عند عرب الجنوب إذ يقدم التماثيل المصنوعة من الذهب أو الفضة أو البرونز[٢].

فضلاً عن ذلك نجد أن هناك من يقدم المذابح ومثال ذلك ما قدمه الجندي النبطي «عبيدو» للإله شيع القوم في مدينة تدمر[٣].

ويتبين لنا من خلال ما جاء به النقش الموسوم (Ja 584) أن مقدمي القرابين في جنوب الجزيرة العربية كانوا يشملون الملوك والكهنة وسادة القبائل والأسر العامة[٤]. وهذا ما نفترض وجوده عند عرب الأنباط دون أن يقتصر على فئة واحدة. لأن الغرض من تقديم القرابين هو شفاء المرض ومنح السعادة وحبس السيول وجلب المطر وزيادة المحاصيل وإخماد الحروب ومعاقبة الجناة[٥].

ومما تجدر الإشارة إليه أن القرابين التي كان يقدمها الأنباط هي طعام لموظفي المعبد، فقد كانت هناك غرف خاصة للولائم المقدسة حيث يجتمع الكهان والحجاج في المواسم والأعياد الدينية في المعبد وفي كل غرفة من غرف المعبد مجلس يحاذي جوانب ثلاثة من جوانب الغرفة يجلس عليها الآكلون حين يقومون بالوجبة التعبدية، ويبدو أنها تعني المشاركة بين الإله وعابديه بالمؤاكلة[٦].

ويضيف (سترابو) إلى ذلك حفلة تتصل بالطقوس الدينية يذكر فيها أنهم كانوا يأكلون على موائد مشتركة بشكل جماعات تتألف من ثلاثة عشر شخصاًويقوم على خدمة كل جماعة مغنيتان[٧].

❖ حرق البخور:

يعد حرق البخور في الديانات السامية القديمة جزءاً من الطقوس الدينية حيث حل في

---

(١) الفاسي، المصدر السابق، ص٢٨١.

(٢) Grohmann, op. cit, P. 248.

(٣) Lindner, Petra and das, P. 116.

(٤) الحمد، جواد مطر رحمة، الديانة اليمنية ومعابدها قبل الإسلام، دراسة تاريخية في الميثولوجيا والمعتقدات الدينية العربية في اليمن القديم، (البصرة، جامعة البصرة، ١٩٨٩)، رسالة ماجستير غير منشورة، ص٢٢٧.

(٥) المصد نفسه، ص٢٢٧-٢٢٨.

(٦) عباس، المصدر السابق، ص١٣٧.

(١) Strabo, Geograhy, 16: 4: 26.

مرحلة لاحقة محل تقديم القرابين[1]. وكانت هذه العادة من الطقوس الشائعة عند العرب الأنباط. حيث يذكر الجغرافي سترابو «أن الأنباط في كل يوم يقومون بحرق البخور في معابدهم»[2].

وأعتقد أنه من الطبيعي استعمال البخور في المعتقدات والطقوس الدينية عند الأنباط لأنهم قد اشتغلوا في تجارة البخور وعملوا فيه. وقد كانت طريقة حرق البخور تتم في مكان خاص له يدعى «مجمرة»[3].

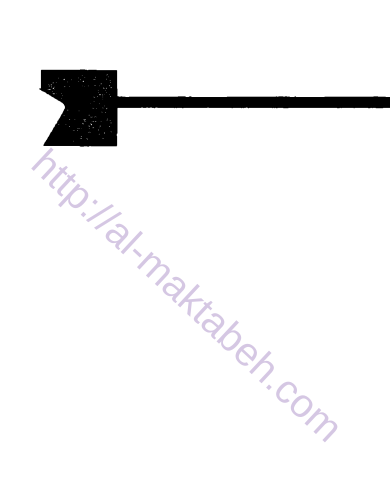
(١) الفاسي، المصدر السابق، ص٢٨٧.

(٢) Kammerer, op. cit. P. 387.

(٣) Hammond, Ph. D, American Expedition to Petra A Preliminary Report, 1988 Season, ADAJ 32, 1988, P. 189-194.


al-maktabeh
www.
.com
مكتبة
المهتدين

الفصل الثالث
الزراعة



المبحث الأول: الملكية الزراعية

عاش الأنباط في بداية حياتهم حياة بدوية قائمة في أساسها على الرعي وكان من أمهات قوانينهم تحريم العمل والاشتغال في الزراعة وهذا ما أشار إليه ديدور الصقلي حيث قال عنهم «كانوا يعيشون حياة بدوية في حمى صخرة منيعة ومن قوانينهم تحريم بناء البيوت واستعمال الخمور والاشتغال بالزراعة»[1].

وفي رأينا أن هذا يمثل الأدوار الأولى من حياتهم فالمتتبع لحضارة الأنباط لا بد أنه يجد تطوراً في الحياة الزراعية لأنهم أنتجوا حضارة ومدينة راقية بقيت آثارها شاخصة تدل دلالة واضحة على تقدمهم في المجالات كافة، ولما كانت الزراعة احدى الجوانب الحضارية فلا بد أنهم كانوا ذوي أثر واضح في هذا المجال. وكانت السلطة المركزية هي التي تهتم بالأراضي وتوزيعها وقد أشار سترابو إلى التصاق الأنباط ببيئتهم الزراعية واهتمامهم بالملكية والحرص على الملكية الفردية الخاصة[2]. ارتباط

حيث قال «إن الأنباط كانوا في طبعهم ميالين إلى التملك ويفرضون غرامة على من تنقص ثروته وأملاكه ويكافئون من يضاعفها»[3]. ولكن من المؤسف أننا لا نملك شواهد كتابية تبين لنا كيفية توزيع الأراضي عند الأنباط، ففي حضارة وادي الرافدين توضع علامات خاصة تحدد ملكية الأراضي وتبعيتها وتسمى هذه العلامات بحجر «الكدورو»[4]، أما في بلاد اليمن فتسمى «بالوثن»[5]. ولذلك فما هو متبع عند أهل اليمن من ملكية للأراضي وأسلوب توزيعها نفترضه عند الأنباط، فملكية الأراضي عند العرب قبل الإسلام تقسم إلى قسمين:

١- أراضي يملكها الأمراء وشيوخ القبائل.

٢- أراضي يملكها المعبد.

وتدخل أراضي النوع الأول في ضمن الملكية الفردية وهم الملاك من فئة المواطنين الأحرار الذين يتمتعون بكامل حقوقهم في التملك[6]، كذلك يتمتعون بامتيازات اقتصادية وسياسية[7].

---

(١) Diodorus Siculus, The Library of Hisory, P 19: 94.

(٢) Kammerer, op.cit, P374.

(٣) Strabo, op. cit, 16: 4:26.

(٤) باقر، طه، مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة (في التاريخ العراقي القديم)، ط(٢)، ج١، (بغداد، جامعة بغداد، ١٩٥٥)، ص٤٢٢.

(٥) (لوندن، العلاقات الزراعية في سبأ"، تر: أبو بكر السقاف، مجلة دراسات يمنية، صنعاء، ع(٢)، ١٩٧٩، ص٧٧.

(٦) لوندن، المصدر السابق، ص٨٥.

(٧) المصدر نفسه، ص٨٥.

وهنا لا بد لنا أن نفرق ما بين الملكية الخاصة وبين أراضي القبيلة[1] ويظهر أن هذا النمط من الملكية ظهر في بلاد العرب لا سيما في اليمن منذ الألف الأول قبل الميلاد، وكان هذا هو الشكل الأساسي للملكية الزراعية[2]، أما ملكية القبيلة فهي الأراضي التي يشتريها الشيخ باسم القبيلة وتعطى عادة وثيقة تبين حدود الأراضي كما توضح الواجبات المترتبة على ذلك[3]، وتبين هذه الوثيقة مسؤولية شيخ القبيلة مباشرة تجاه الحكومة المركزية، ويضيف ركمانس الى ذلك: «ان القبائل المالكة كان يضاف إليها جماعات من قبائل أخرى فرضتها الظروف ودعت إليها الحاجة»[4]. وعلى هذا النحو ظهر نمو الملكية للأراضي عند العرب قبل الإسلام[5].

أما أراضي النوع الثاني فهي الأراضي التي تعود إلى المعبد أو ما يسمى حُمى المعبد الذي يؤجر إلى القبيلة أو إلى سدنة المعبد التي تستثمر الأراضي لصالحها وتدفع جزءاً صغيراً منها إلى المعبد[6].

ويظهر أن هذين النوعين من الملكية الزراعية المنتشرة في بلاد العرب قبل الإسلام هو ما نفترضه عند الأنباط من حيث توزيع الأراضي أو ملكيتها.

أما فيما يخص كبار الملاّكين ورؤساء القبائل فلم يكونوا يدفعون إلى حكوماتهم إلاّ جزءاً صغيراً من دخلهم الذي يحصلون عليه من الزرع، فقد كانوا يتحايلون عليها عند تقدير غلاّتهم كما كانوا يحمّلون المزارعين والمستأجرين لأملاكهم وأفراد قبيلتهم العبء الأكبر من دفع الضرائب، فقد كانوا يقومون بأنفسهم بجمع الغلة وتوزيعها وإفراز حصة الحكومة وحصة المعبد والحقوق الأخرى المترتبة على المزارع، ويأخذون حصصهم كاملة ويحمّلون مزارعيهم ومن يعمل في خدمتهم دفع حصة الحكومة[7].

ولا بد أن الأنباط كانوا يدفعون ضرائب على غرار ما عرف عند العرب في جنوب الجزيرة

---

(١) Altheim, op. cit, Vol. VII (1957), P. 358.

(٢) Ryckmans, J: Linstitution Monarcique en Arabe Meridionale Avant Islam Louvin 1951, P.P.178-182.

(٣) Ibid, P 178-182.

(٤) Ibid, P 178-182.

(٥) Ibid, P 178-182.

(٦) "رودو كاناكيس، المصدر السابق، ص١٤٧.

(٧) جواد علي، تاريخ العرب، ج٨، ص٢٢٨.

(٨) م.ب، بيوتروفسكي، اليمن قبل الإسلام والقرون الأولى للهجرة، تع: محمد الشعبي، ط١، (بيروت، دار العودة، ١٩٨٧)، ص٩٩.

العربية والتي تسمى بضريبة العشر[٨]، أي عُشر الدخل والميراث والمشتريات الى جانب ضريبة أخرى تسدد الى المعبد والتي كانت في الأصل تقدم هبة[١]. وهناك ضرائب أخرى عدّدها رودو كناكيس وهي ثمن الشراء وأجرة الأرض وضريبة الأرض للأغراض العسكرية[٢]. أما نسبة هذه الضرائب فلم يصلنا ما يساعدنا على معرفتها معرفة دقيقة وكل ما نعلمه عنها أنها كانت تجبى من القبيلة وكانت تختلف الكمية باختلاف المحاصيل من حيث الكثرة ونوع الغلة[٣].

وتعد قصة دولة الشمس (Sun State) للكاتب العربي النبطي الطوبائي تعبيراً عن حالة الصراع السائد حول ملكية الأراضي ووسائل الإنتاج، وتوزيع العمل[٤] والأساس في إنشاء هذه الدولة الخيالية العمل المشترك[٥] والملكية المشتركة[٦]، إذ ترفع هذه الدولة الملكيات الفردية والعائلة الواحدة حتى إن ملكية النساء والأطفال مشتركة[٧]، كما أن هذه القصة جاءت معبرة عن المثل الأعلى لكيان مجتمع طوبائي مسالم في علاقاته الاجتماعية[٨] من توزيع العمل إلى ملكية الأراضي ووسائل الإنتاج البسيطة[٩].

المبحث الثاني: الأنظمة الزراعية

لقد برع العرب الأنباط في مجال الزراعة وتميزوا عن غيرهم من شعوب المنطقة في كيفية استغلال سفوح الجبال والصحراء وتحويلها إلى أراض ذات غلاّت عالية[١٠]، فوصلوا بذلك إلى أرقى مراحل التطور في الأنماط الزراعية[١١]، في الوقت الذي كانوا فيه يواجهون مشكلتين كانتا من الممكن أن تقفا حائلاً دون تحقيق أي نجاح على هذا المستوى، فكانت معظم الأراضي المتوفرة لديهم غير صالحة للزراعة فضلاً عن ذلك ما كانوا يعانونه من قلة

---

(١) رودو كاناكيس، المصدر السابق، ص١٤٩.
(٢) المصدر نفسه، ص١٤٥.
(٣) المصدر نفسه، ص١٤٥.
(٤) البكر، ايمبولس الكاتب العربي، ص١١.
(٥) المصدر نفسه، ص١١.
(٦) إلمصدر نفسه، ص١١.
(٧) Weltgesehiehte, Berlin, 1962, P. 288.
(٨) Weltgesehiehte, op. cit, 1962, P. 288.
(٩) البكر، إيمبولس الكاتب العربي، ص١١.
(١٠) Glueck, Rivers in the desert, op. cit, P. 193.
(١١) Ibid, P. 193-197.
(١٢) المحيسن، البتراء، ص٦٥.

بشكل هندسي على سفوح التلال[1]. وقد ظهرت نظريتان تفسران الغاية من استخدام هذه الأكوام، فمنهم من ادّعى أن هذه الحجارة وضعت جنب الكروم لتقلل من عملية التبخر من التربة ولأجل جمع الندى[2]، أما أصحاب الرأي الآخر فيقولوا أن الحجارة كانت قد أزيلت عن سطح الأرض لتنظيم التعرية وذلك بجعل الوديان المجاورة لها ذات ميزة خصبة[3].

المبحث الثالث: هندسة الري:

يعد الماء عصب الحياة لكل حضارة وقد أكد ذلك كتاب الله الحكيم في قوله: «وجعلنا من الماء كل شيء حي»، وهذا ما أدركه الأنباط إذ عملوا جاهدين على إيصال المياه إلى الأرض فبرعوا بنظم الري وشق الجداول وإنشاء السدود والخزانات والآبار.

ورافق مسيرة التطور والتقدم الحضاري تطور في تنظيمات الري والمشاريع الزراعية وبدأ المجتمع النبطي بالوقوف على قدميه عندما غذّى عصب الحياة أراضيه وأنشئت المعالم الخاصة بالري وتنظيماته لأن تنظيماته بلغت هذا الحد المتطور مقارنة بالزمن فما تحقق إلا عن طريق مجتمع يعدو باتجاه التقدم في مضمار التمدن، وما كان هذا باعتقادنا سوى بإيعاز من سلطة حاكمة متنبهة إلى حاجة المجتمع للنظم المائية والزراعية ورعايتها لها بشكل دائم ومستمر.

وعندما عمل الأنباط في هذه التنظيمات والمعالم الخاصة بالري كان ذلك بهدف توسيع أطراف المملكة النبطية وعلى وجه الخصوص رقعة الأراضي الزراعية وذلك بسبب تكاثر عددهم، فأتقنوا هندسة الري حتى بدأ ذلك الفن وكأنه خلق لهم دون غيرهم والدليل أن شق الجداول ونقل المياه كان عبر مسافات طويلة للوصول إلى الأراضي الزراعية، وارتفع نتاج المملكة على كتف حضارة صلبة اعتمدت على أقوى عاملين هما: الزراعة القائمة على الري ثم على التبادل التجاري.

وهنا سنأتي على ذكر هذه المعالم والتنظيمات كالآبار والقنوات والسدود والبرك والخزانات المائية، وسوف نقوم بدراستها على الرغم من قلة المصادر المتوفرة لدينا.

١- الآبار والصهاريج

مما تجدر الإشارة إليه أنه لم يكن من السهل على مجتمع في ذلك الزمن البعيد أن ينجز عملاً عبقرياً كالذي أنجزه العرب الأنباط على مستوى حفر الآبار في الوقت الذي كان فيه

---

(١) Lawlor, op. cit. P. 79.

(٢) ايفناري، المصدر السابق، ص٤٢٩.

(٣) ايفناري، المصدر السابق، ص٤٢٩.

الأمطار(١٢).

أما كيف تغلب الأنباط على الظروف الطبيعية المؤثرة في مدى استمراريتهم في الحياة فما كان أمامهم سوى ابتكار أساليب مائية وزراعية في مجال تطوير الزراعة(١) التي تعد المصدر الأول للحصول على الطعام لمجتمع في زيادة كبيرة ومستمرة في عدد سكانه(٢). فتوجه الأنباط إلى الجبال والتلال فزرعوها بالمزروعات التي تلائم طبيعتها. ولتحقيق غرس الجبال لا بد من تمهيدها للزرع حيث اعتمدوا على ما يسمى بنظام المصاطب(٣) أو المدرّجات(٤). وتتجسّد أهمية هذا النظام بإبطاء مياه الأمطار المنحدرة والمتدفقة من أعلى الجبل إذ أن جزءاً من هذه المياه يتسرب داخل الأرض في كل مرحلة من مراحل نزوله كما يتم ترسب كمية كبيرة من التربة والمواد العضوية العالقة بالماء في أثناء ذلك(٥).

ومما تجدر الإشارة إليه أن الأنباط كانوا يقومون بزراعة الأشجار على هذه المدرجات(٦) من أجل تثبيت التربة وتقليل سرعة المياه. وكانت هذه الأشجار من النوع غير الصالح للأكل أو من النوع السام الذي لا يصلح طعاماً للحيوانات(٧).

وقد استعمل نظام المدرجات عند عرب جنوب الجزيرة العربية حيث كانت تسند جوانب المدرجات بالصخور والحجارة تجنباً لانهيار التربة والنباتات المزروعة فيها(٨)، وقد أشار بطليموس أن أهل النجود والجبال في بلاد العرب كانوا يستعملون المدرجات وقد أطلق على الجبال المكونة للقسم الجنوبي من (السراة) (Climax Mous) والتي تعني الجبال المدرجة(٩). كما ورد اسم المدرجات في لغة المسند اذ يقال لها «جرّوب» أو «جرب»(١٠).

أما النظام الثاني الذي استخدمه الأنباط في مجال تطوير الزراعة هو النظام الذي أطلق عليه «تليلات العنب»(١١) أو نظام أكوام الكروم(١٢) وهو عبارة عن أكوام من الحجارة مرتبة

---

(١) Lawlor, j. I, The Nabataeans in Historical Perspective, (Michigan, 1974), P. 81.

(٢) Lawlor, op. cit, P. 81.

(٣) المحيسن، البتراء، ص٦٦.

(٤) ايفناري، المصدر السابق، ص٤٢٦.

(٥) ايفناري، المصدر السابق، ص٤٢٦.

(٦) المحيسن، البتراء، ص٦٦.

(٧) ايفناري، المصدر السابق، ص٤٢٦.

(٨) جواد، علي، المفصل، ج٧، ص٣٥.

(٩) جواد، علي، المفصل، ج٧، ص٣٦.

(١٠) المصدر نفسه، ص٣٥.

(١١) المحيسن، البتراء، ص٦٩.

(١٢) ايفناري، المصدر السابق، ص٤٢٩.

يتطلب هذا العمل توفر الأدوات والآلات اللازمة والكثيرة والعلم والذكاء والمعرفة الدقيقة بطبيعة الأرض فضلاً عن الكيفية التي يتم بها المحافظة على استمرارية البئر وسلامته من الانهيار. وهنا لا بد من وجود متخصصين في هندسة الري وأظن أن الأنباط قد برعوا في ذلك(١).

وقد عُرفت هذه الآبار باسم «نقور»(٢) وهي تتقر عادة في الأراضي ذات الطبيعة الكلسية لضمان عدم تسرب الماء من خلالها وكذلك المحافظة على المياه لمدة طويلة(٣). وكانت هذه الآبار عادةً تنقر بعمق قدره أربعة أمتار وهذا العمق يتخذ أشكال عدة منها المربعة والمستطيلة والكمثرية(٤)، وتكون أبوابها ذات أشكال دائرية ضيقة لتقليل عملية التبخر، ومن المفيد قوله أن هذه الآبار كانت تستخدم لغرض الشرب كما استخدمت للأغراض العسكرية(٥). وقد أخفيت بطريقة يصعب على الأعداء الوصول إليها حيث أشار ديودور الصقلي إلى أن الأنباط كانوا يحفرون الآبار ويضعون عليها الإشارات الدالة لهم فضلاً عن إغلاقها بالحجارة حتى لا يتمكن الأعداء من السيطرة عليها. فيكونون بذلك أعلم من غيرهم بها(٦).

٢- القنوات

جاءت فكرة القنوات من حرص الأنباط على عدم إهدار أية قطرة ماء بل استغلال المياه استغلالاً جيداً سواء كان في الشرب أو في مجال الري والزراعة.

لذلك فضلنا تقسيم تلك القنوات بحسب نوعية الماء الذي تنقله إلى قسمين:

كان النوع الأول بشكل هندسي راق ومثال ذلك قناة «دبة حانوت» التي يقرب طولها (٤٠م) وعرضها بين (٣٠-٤٠سم) وعمق من (١٠-٢٠سم) وقد جاءت محتوية على قنوات بداخلها أصغر منها إذ يبلغ عرضها (٤-٨سم) وبعمق (٢سم)(٧). وكان هذا الشكل الهندسي متبعاً في

---

(١) Glueck, Rivers in the desert, P. 195.

(٢) موسل، المصدر السابق، ص١٢٥.

(٣) ايفنارى، المصدر السابق، ص٤٢٩-٤٢٨، وقارن موسل، المصدر السابق، ص١٢٥.

(٤) Al-Muheisen, Z., and Tarrier, D., Ressourees Naturelles et Occulbation du site de Petra, SHAJ, 6, (1997), PP. 142-148. سيشار له فيما بعد: Al-Muheisen, Ressourees Naturelles

قارن، Eleson, The Humayma Hydraulic Survey Preliminary Report of the 1986 Season, ADAJ, 30, (1986), PP. 256-257.

(٥) هيلي، المصدر السابق، ص١٤١.

(٦) جواد، علي، المفصل، ج٧، ص١٩٥.

(٧) Al-Muheisen, Ressourees Naturelles, PP. 142-148. قارن Eleson, op. cit, P. 256-257.

القنوات الخاصة بتجميع مياه الأمطار الموجودة على الجبال والتلال الصخرية وتوجيهها نحو الحقول والمصاطب والوحدات الزراعية فضلاً عن القنوات الخاصة بتصريف مياه الأمطار الزائدة إلى البرك والسدود والآبار لغرض التخزين[١].

أما النوع الثاني فهو قنوات مياه العيون، فقد احتاج هذا النوع إلى بذل جهد كبير وخبرة هندسية بسبب بعد تلك الينابيع عن أماكن التجمعات السكانية كذلك وعورة التضاريس التي تمر بها هذه القنوات وخير مثال على هذا النوع من القنوات: قناة عين الجمام الواقعة في الجهة الشمالية الشرقية من منطقة الحميمة حيث جاء مسار هذه القناة في الشعاب والأودية مما تطلب هذا دراسة هندسية دقيقة لتخطي الحواجز، الأودية، بناء الجسور والجدران الاستنادية[٢]. ويبدو أنه استعمل في بناء القناة الحجارة الكلسية المنحوتة بشكل هندسي والغرض من ذلك ضمان عدم تسرب المياه.

كما نحت في داخل هذه القناة تجويف ثبّتت في داخله مواسير فخارية متقنة الصنع ارتبطت مع القناة الحجرية بطبقة من الجص، فجاء هذا الشكل الهندسي مميزاً لقناة عين الجمّام، ولم يتوفر مثل ذلك في القنوات السابقة الصنع كعين القناة[٣].

وقد استخدمت هذه القنوات لغرض الشرب والدليل على ذلك وجود المشارب على طول مسار هذه الأقنية فضلاً أن هذه القنوات كانت مغطاة بشكل محكم بالحجارة المنبسطة والجص[٤].

أما مدينة البتراء العاصمة فقد كانت ينابيع المياه فيها قليلة ومن بينها نبع، عين «السيغ» ولا يؤدي هذا النبع الغرض المطلوب من تغذية المدينة بالمياه[٥]، لذلك كان تزويد البتراء يتم من خلال تجميع مياه الينابيع المنتشرة حول المدينة مثل نبع عين موسى ونبع أم سراب ونبع بُراق فضلاً عن نبع دبدبة[٦]، وكانت هذه الينابيع تغطي جميع احتياجات المدينة من المياه إذ كانت المياه تنقل بشبكة قنوات مبنية بالأسلوب نفسه الذي ذكرناه في قنوات منطقة الحميمة[٧].

ومما يلفت الانتباه أن الأنباط قاموا بإخفاء تلك القنوات في أثناء مرورها أمام واجهات المقابر والمباني السكنية وذلك من خلال حفرهم الأخاديد العميقة ووضع أنابيب المياه

---

(١) Evenari, M, Faire revivre Le desert Experiences d'agriculture en Zones arides, ed, Fr, Zurich, 1974, P. 131.

(٢) Al-Muheisen, Ressourees Naturelles, PP. 142-148. قارن Eleson, op. cit, P. 256-257.

(٣) J, Eadie, Humayma, 1983, The Regional survey, ADAJ, 28, 1984. P.217.

(٤) Al-Muheisen, Ressourees Naturelles, PP. 142-148. قارن Eleson, op. cit, P. 256-257.

(٥) "المحيسن، زيدون، دراسة في هندسة المياه في البتراء"، مجلة أنباء، جامعة اليرموك، ع١٥، ١٩٩٣، ص١٢.

(٦) المحيسن، البتراء، ص٧١.

(٧) المصدر نفسه، ص٧١-٧٢.

الفخارية في داخلها وتغطيتها بالصلصال كما نشروا المصافي المختلفة فضلاً عن المصارف على معظم قنوات المياه. بهدف تنقيتها من الشوائب[١]. وفي موقع آخر من المملكة النبطية وهو خربة الذريح نجد أن الأساليب المتبعة هي وحدها كما في باقي المناطق السابقة الذكر، فقد توفر في هذه المنطقة ثلاثة ينابيع هي عين اللعبان وعين الذريح وعين الفضيح[٢] وكانت تغذى بوساطة قنوات المناطق السكنية فضلاً عن المعبد وبعض الأراضي الزراعية[٣].

٣- السدود

لقد تميز الأنباط عن غيرهم من الشعوب في كيفية الاستفادة مما حولهم من ظواهر طبيعية تخدم مصالحهم، وما بناء السدود إلا معلم حضاري واضح يعبر عما وصل إليه العرب الأنباط من أصول حضارية في هذا الجانب. فقد تميزت هذه السدود بالدقة والإتقان في مجال هندسة البناء كما تكشف عن حالة التطور التي وصل إليها العقل الإنساني ويبدو هذا واضحاً في العديد من نماذج البناء التي أقاموها.

وعلى الرغم من أن التكوين الجيولوجي وقف حائلاً في طريق بناء حضارتهم، إذ كانت معظم أراضيهم ذات صخور رملية كما هو عليه في منطقة البتراء[٤] فضلاً عن وجود العديد من الأودية وسرعة جريان مياه الأمطار وتحولها إلى فيضانات تؤدي إلى انجرافات في تلك الأراضي المنخفضة المستوى[٥]، إلا أن الأنباط تغلبوا على هذه المشكلات والعقبات من خلال بناء السدود واستثمروا طبيعة الأرض والمناخ لصالحهم عن طريق استثمار مياه الأمطار المتجمعة للري والشرب[٦].

وقد اعتمد في عملية بناء السدود على الحجارة المقتطعة من الصخور التي عولجت بشكل دقيق ومهارة عالية حيث كانت توضع بعضها فوق بعض مما يجعلها تتماسك وكأنها قطعة واحدة[٧]. فضلاً عن استعمال مادة «الجبس Cips» والحجارة الصغيرة لسد الفجوات بين وحدات البناء الأساسية[٨].

---

(١) Al-Muheisen, Z, and Tarrier, D. la Protecetion du site de Petra ale pogue nanateenne, SHAJ, V, 1995, P. P. 721-725.

(٢) المحيسن، خربة الذريح موقع نبطي، ص٧.

(٣) المصدر نفسه، ص٧.

(٤) المحيسن، البتراء، ص٧٠.

(٥) المصدر نفسه، ص٧٠.

(٦) المصدر نفسه، ص٧٠.

(٧) Al-Muheisen, Ressourees Naturelles, PP. 142-148. قارن Eleson, op. cit, P. 256-257.

(٨) نجد أن عرب الجنوب قد استعملوا الجص في عملية بناءهم للسدود، راجع جواد علي، المفصل، ج٧، ص٢١١.

وسوف نقوم بدراسة نموذجين يدلان على براعة الأنباط في بناء السدود مثل سدي كلخة وأم درج.

◆ **سد كلخة:**

يقع في الجنوب الغربي من منطقة الحميمة[1]. حيث استعمل في عملية بناء هذا الصرح الشامخ الحجارة الرملية الكبيرة المرتبطة بعضها فوق بعض بفعل مادة الجبس التي زادت من متانة البناء وقوته الذي بدا على شكل مداميك ضخمة تمنع تسرب المياه فضلاً عن وجود الحجارة الصغيرة التي كانت تستعمل لسد الفجوات، كل ذلك وظف بطريقة معمارية منتظمة حتى بلغ عرض جدار السد (٤,٣٦م) وطوله (٩,٤٠م).

وسهّل نظام البناء المعماري المنتظم الصعود إلى أعلى السد من خلال وجود عدة درجات منحوتة في الصخر في الواجهة الأمامية الواقعة في الجهة الجنوبية من السد. وتكررت منظومة بناء الدرج للصعود إلى حفرة كبيرة نحتت في الصخر خلف هذا السد وكان الغرض منها استيعاب المياه الساقطة من أعلى، أما المساحة الواقعة في مقدمة السد فقد استغلت ببناء حوض كبير لغرض سقاية الحيوانات ولا سيما الجمال منها إذ بلغ طول هذا الحوض مترين وعرضه يتراوح بين المتر والمترين وعمقه يبلغ نصف المتر.

◆ **سد أم درج:**

اختار الأنباط أسفل جبل (أبو خشيبة) على بعد (١٢كم) جنوب شرق وادي رم، بسبب وجود مجموعة من الشعاب الصغيرة في أعلى الجبل فكان ذلك الموقع مناسباً لبناء سد أم درج الذي وجد ليكون بحد ذاته معلماً عظيماً حيث بلغ طوله (٨م) وارتفاعه (٢م) وسمكه (٢م)[2].

ومن الناحية الهندسية برزت اللمسة النبطية بوجود درج منحوت في الصخر على الجهة الشمالية من السد[3]. كذلك بني السد من الحجارة كغيره من السدود النبطية، إلا أن القناة الخارجية من السد الذي يبلغ طولها (٢٥م) والتي تصب في حوض مياه أبعاده (٢, ١×٧, ٠م) ميزت هذا السد مع الاحتفاظ بالغرض الذي بني من أجله هذا الحوض وهو سقاية الحيوانات[4].

ويبدو أن الهدف الأساس من بناء السدود في الحضارة النبطية هو السيطرة على مياه

---

(١) Al-Muheisen, Ressourees Naturelles, PP. 142-148. قارن Eleson, op. cit, P. 256-257.
(٢) المحيسن، البتراء، ص٧٨. وكذا Glueck, Rivers in the Desert, P. 195-196.
(٣) المحيسن، البتراء، ص٧٩. وكذا Glueck, Rivers in the Desert, P. 155-156.
(٤) المحيسن، البتراء، ص٧٩.

الأمطار والسيول المتدفقة منها لوقاية المزارع والقرى من هذه السيول وكذلك الاحتفاظ بهذه السيول تحسباً لانقطاع المطر[1]. وبسبب إدراك العرب الأنباط هذه الغايات قاموا بنشر السدود في المملكة النبطية كأنما ينشرون قطرات الحياة على الجسد الميت فأحيوا تلك المناطق المختلفة كوادي موسى والبتراء وبيضا والسادة والحميمة وأم الجمال والنقب ومرافقهم العديدة في وادي عربة كموقع غرندل فينان وخربة الطلاح وخنزيرا وفيفا ووادي أمرق[2]، حتى ازدهرت الحياة فيها وتطورت.

٤- البرك وخزانات المياه:

رأى الأنباط أنه لا بد من الإستفادة من أماكن التقاء السيول والمنحدرات الصخرية فأنشأوا فيها البرك وخزانات المياه وقد كانت هذه البرك والخزانات أكثر إنتشاراً من الآبار والسدود كما دلت المصادر التي توفرت لدينا.

وكسائر معالم الحضار النبطية فقد نحتت هذه البرك في الصخر الرملي، ولم يلتزم الأنباط بالقياسات والشكل الهندسي لكن هذه البرك جاءت على أشكال وقياسات متناسقة هندسياً[3]. غير أن الطبيعة الصخرية جاءت في بعض الأجزاء غير متناسقة وذلك بسبب الإنحدار الشديد أو إنقطاع الطبقات الصخرية لذلك لم يتمكن الأنباط من الإستفادة منها في تخزين المياه كما هي على سجيتها، فأتموا هذه الأجزاء غير المتناسقة بالبناء بالحجارة المتماسكة بالمونة الاسمنتية[4].

وكان إنشاء هذه البرك على وفق خطوات تدريجية متقنة حيث يتم إختيار الموقع ووضع الخطة أولاً ثم يبدأ العمل بتقطيع الصخور والاستفادة منها في البناء حيث تقطع على شكل مداميك[5].

وبعد إنتهاء الحفر تبنى الأقواس التي تغطي البركة ويتم ذلك بتسلسل معماري عن طريق حفر أساس لها في الواجهة الطولية ويثبت فيه الحجر الأول للقوس ثم تبنى الحجارة فوقه بانحدار تدريجي ويُغطى القوس بعد الإنتهاء من بنائه بالجبس[6]. ويبدو أن هذه البرك كانت

---

(١) المصدر نفسه، ص٧٩.

(٢) المصدر نفسه، ص٧٩.

(٣) Al-Muheisen, Ressourees Naturelles, PP. 142-148. قارن Eleson, op. cit, P. 256-257.

(٤) قارن المحيسن، البتراء، مصدر سابق، ص٢٠٣.

(٥) Al-Muheisen, Ressourees Naturelles, PP. 142-148. قارن Eleson, op. cit, P. 256-257. وكذا Negev, A, Temple, Kirchen, P. 200.

(٦) Al-Muheisen, Ressourees Naturelles, PP. 142-148. قارن Eleson, op. cit, P. 256-257.

تسقف ببلاطات لتسد الفجوات ما بينها بالمونة الإسمنتية لزيادة تماسك السقف وحمايته من التآكل[1].

لقد بنى الأنباط العديد من البرك المكشوفة ذات الإستعمال المحدود والقصير الأمد حيث عثر على ما يقارب الخمسين بركة في منطقة الحميمة وحدها. حيث شكلت إثنتان منها جزءاً من نظام الري المتكامل لمدينة الحميمة[2]. كما عثر على أحواض بجانب البرك استخدمت لسقاية المواشي[3].

المبحث الرابع: العمل والإنتاج الزراعي

كان مورد الزراعة المعين الأساس الذي اعتمدته الحضارات في نشأتها الزراعية، ولا نجهل الأسس الزراعية المتبعة لتعطينا الخير والنبات، فلسنا بقادرين على إنماء الأرض ببذرها أو زرعها دون أن نحرثها أولاً، وقد لوحظ أن الحضارات المتعاقبة قد استعملت الأساليب ذاتها في حراثة الأرض، ويبدو ذلك جلياً وواضحاً عندما نعلم أن جميع شعوب منطقة الشرق الأدنى قد اعتمدت الأساليب نفسها في عملية حراثة الأرض وكان بعض هذه الأساليب بدائياً جداً كاستخدام الحجارة أو الأخشاب أو الفؤوس[4]، على حين كان بعضها الآخر أكثر تطوراً حيث استخدمت الآلات التي تجرها الحيوانات[5].

وفي ضوء ما أشارت إليه المصادر التاريخية من أن الجاهليين كانوا يستعملون الفدّان[6] والمحفار[7] فضلاً عن الة المعزقة[8]. نعتقد أن العرب الأنباط كانوا قد استخدموا الآلات نفسها، ولا نجزم أن هناك اختلافاً في لفظ الكلمة الدالة على الآلة. وبالطبع فإن تلك الآلات قد احتاجت لنوع من الحيوانات تتحمل مصاعب العمل ونظن أن الأنباط قد استعملوا لهذا الغرض الجمال والخيول والثيران، التي وجدت بكثرة في مملكة الأنباط[9].

وبعد الإنتهاء من تنظيم الأرض وتمهيدها للزراعة تأتي عملية البذر وتعني نثر الحبوب بطريقة متناغمة ومنتظمة لتحتضن في داخل الأرض، ونظن أن العرب الأنباط كانوا قد

---

(١) خير مثال على ذلك الخزانات التي وجدت آثارها في منطقة النقب، راجع Negev, Temple Kirchen, P. 200.

(٢) Al-Muheisen, Ressourees Naturelles, PP. 142-148. قارن Eleson, op. cit, P. 256-257.

(٣) Ibid, P. 142-148.

(٤) جواد، علي، المفصل، ج٧، ص٤٦.

(٥) المصدر نفسه، ص٤٦.

(٦) الزبيدي، محمد الحسيني، تاج العروس، ج٩، (بيروت، دار صادر، ١٩٦٦)، ص٢٩٩. سيشار له فيما بعد: التاج.

(٧) التاج، ج٣، ص١٥١.

(٨) من الآلات المستعملة لغرض تشقيق الأرض، راجع، التاج، ج٧، ص١٢.

(٩) Strabo, BK, Xvl, ch, 4, P. 26.

استعملوا آلة المالقة[١]، والمجز[٢] وآلة المنجب[٣] لإنجاز عملية البذر على الوجه الأكمل. ونفترض أن الأنباط كانوا يستخدمون فضلات الإنسان والحيوان لغرض تسميد الأرض كما اتبعها عرب الجاهلية من بعدهم[٤]، وتذكر المصادر التاريخية أنهم كانوا يستخدمون الزبل فقد أطلق لقب "عدن الأرض" على الأرض المسمدة التي تعني إصلاح الأرض بالزبل[٥].

وجاء في لغة المسند أن لفظة "خصب" كانت تطلق إذا أصاب الزرع الخصب والنماء[٦]، ويظهر لنا أن الشعب العربي ما زال حتى وقتنا الحاضر يطلق اللفظة ذاتها لتعني كثرة العشب والزرع والنماء[٧].

وبعد ذلك كله تأتي عملية الحصاد التي تعني - كما هو معروف - جني الثمار وحصاد الحبوب بعد نضوجها[٨]. إذ أن الأنباط قد استعملوا آلة المنجل[٩] التي ما زال الفلاحون يستخدمونها حتى وقتنا الحاضر في حصاد الشعير والحنطة.

وعند إتمام الحصاد توضع هذه المزروعات في طريق الحيوانات التي تضغط عليها لغرض استخراج الحب وتهشيم سيقانه، كما استخدمت للغاية ذاتها آلات تجرها الثيران حيث يجلس عليها شخص ليزيد من ثقلها وقد أطلق على هذه الإله اسم "الحيلان"[١٠] وما زالت هذه الآلة مستعملة في بعض المناطق حتى وقتنا الحاضر.

وبعد الدياسة والدراسة لا بد من القيام بعملية التذرية حيث استخدم لإنجاز هذا العمل آلة المذراة[١١] التي يذرّى بها الهشيم في الهواء والذي يقوم بدوره بحمل التبن إلى مكان أبعد من المكان الذي ينزل فيه الحب.

وهنا نرى أن العرب الأنباط لم يختلفوا عن غيرهم من الشعب العربي في اتباع هذه الأساليب، فقد استعمل العرب في الجاهلية هذه الأساليب وما زال سكان المنطقة يستخدمونها، وذلك لأن التسلسل المنطقي والطبيعي لأسس الزراعة هو واحد.

---

(١) وهي خشبة عريضة تجر بواسطة الحيوانات وقد استعملت لغرض تمليس التربة، راجع، التاج، ج٧، ص٧٣.

(٢) وهي شبحة ذات أسنان توضع على الحيوانات، والغاية من استعمالها حمل التراب المثار وتحويله إلى الأماكن المنخفضة راجع، التاج، ج١، ص١٩١.

(٣) وهي شبحة تشبه المشط، إلا أنه لا يوجد لها أسنان، راجع، التاج، ج١، ص١٩١.

(٤) جواد، علي، المفصل، ج٧، ص٥٠.

(٥) التاج، ج٧، ص٣٥٤.

(٦) جواد علي، المفصل، ج٧، ص٥٠.

(٧) التاج، ج١، ص٢٣٥.

(٨) جواد، علي، المفصل، ج٧، ص٥١.

(٩) آلة استعملت لغرض حصد الزرع بعد نضجه، راجع، التاج، ج٢، ص٣٣٦.

(١٠) جواد علي، المفصل، ج٧، ص٥٢.

(١١) وقد ذكر الباحثون عدة أسماء لآلة التذرية مثل: المذري، المذره، المروح، المراوح، الميثان، الحفراه. راجع، جواد علي، المفصل، ج٧، ص٥٣.

ويظهر أن الأنباط كانوا يقومون بطحن الحبوب بوساطة الطواحين التي غالباً ما كانت تدار بقوة مياه الأمطار وضغطها كالتي زينت الضفة الشرقية لوادي اللعبان[1].

وقد اشتهرت مملكة الأنباط بزراعة بعض المحاصيل الزراعية، وهنا أردنا أن نقوم بدراسة أشهر المحاصيل التي اهتم الأنباط بزراعتها في مناطقهم، لأن الزراعة هي حجر الأساس لأي مجتمع.

والمتأمل في المحاصيل يرى أن المنطقة النبطية اشتهرت بزراعة الحبوب وأشهرها الحنطة والشعير، حيث زرعت الحنطة بكثرة في الحميمة[2] وذلك لخصوبة التربة في هذه المنطقة فضلاً عن وفرة المياه فيها[3]، كما نجد أن زراعة الحنطة قد انتشرت في منطقة عبده[4] للظروف المتوفرة في الحميمة، وفي الوقت نفسه نجد أن تلك المناطق كانت صالحة لزراعة الشعير بالدرجة ذاتها التي تصلح فيها زراعة الحنطة كما اتبعت الأساليب الزراعية ذاتها.

وبسبب عدم توفر المعلومات التي تفيدنا عن كيفية تصدير الحبوب إلى الخارج فإننا نفترض أن هذه المحاصيل كانت للاستهلاك المحلي في المملكة النبطية.

ويشير الجغرافي سترابو أن الأنباط كانوا يصدرون نوعاً من الحبوب يدعى السمسم، كما يذكر أن زيته كان يستخدم محل زيت الزيتون[5]. ومن هذه الإشارة نذهب إلى أن هذا النوع كان متوفراً بكثرة في أرجاء المملكة النبطية الأمر الذي جعلهم يقومون بتصديره فضلاً عن استخدامه مكان زيت الزيتون.

ولم تقتصر الزراعة النبطية على الحبوب وإنما كان هذا الإنتاج أحد المحاصيل الزراعية الأهم في المملكة النبطية. حيث اكتشفت معصرة للعنب في خربة الذريح وتقع هذه المعصرة إلى الجنوب الشرقي من المعبد، حيث تكونت من الأحواض المستديرة المنحوتة في الصخر مع وجود حفرة مربعة حفرت في الصخر لغرض وضع العنب به وعصره بالأرجل[6].

---

(١) وجد مثل هذا النوع من الطواحين في منطقة وادي عفرا ومنطقة وادي فينان في وادي موسى، راجع Z. Al- Muheisen, Modes dinstallations agricdes nabateenne dens La region de Petra et le wadi Arabah. In G. Bishehh (ed) studies in the History and Arehaeolog of Jordan, Vol, 4, Amman (1992) P.P. 215-219.

(٢) Al-Muheisen, Ressourees Naturelles, PP. 142-148 قارن Eleson, op. cit, P. 256-257.

(٣) Ibid, P. 142-148.

(٤) ايفناري، المصدر السابق، ص٤٢٨.

(٥) Strabo. BK, XVL, ch, 4, P.26.

(٦) وجد مثل هذه المعاصر في مناطق بيضا القريبة من العاصمة البتراء، راجع Al-Muheisen, Z. Exemple dinstallations hydrauligues et de technigues dirrigation dans le domaine nabateen, BAH, CXXXVI, Paris, 1990, PP. 507-513.

وكانت لهذه المعاصر أهمية اقتصادية وتجارية كبرى تجلت في تصدير نبيذ العنب وبيعه[1] كما نفترض أن محصول الرُّمان الذي توفر بكثرة أيضاً في منطقة المملكة النبطية كان يعصر في هذه المعاصر ومن ثم يتم تصديره إلى الخارج. ومما يلفت النظر أن الأنباط قاموا بحفر أوراق هذه الشجرة وأغصانها على منحوتاتهم ولا سيما منحوتة الإله Eros[2] مما يعني قدسية هذه الأشجار وأهميتها في أعراف الأنباط ومعتقداتهم.

كما نجد أن العرب الأنباط قاموا بتزيين أوانيهم وأطباقهم بالأشكال الدالة على شجرة التوت[3]، مما يجعلنا نذهب إلى أن هذه الشجرة كانت متوفرة عندهم.

وقد كان من ضمن النباتات التي اشتهرت بها مملكة الأنباط شجرة البلسم[4] التي يبلغ ارتفاعها من (٥-٦م) وهي على شكل فروع حمراء ثلاثية الأوراق في موسم المطر وبدون أوراق خلال موسم الجفاف[5]. وأصل هذه الشجرة من المنطقة الجبلية للبحر الأحمر في جنوب الجزيرة ومن السواحل الشرقية الافريقية من الصومال[6]. كما تذكر المصادر أن هذه الشجرة وجدت في مصر وفلسطين[7].

وقد بلغت هذه الشجرة من الروعة ما بلغته حضارة الأنباط فقد عُدت من عجائب الدنيا في القرن الثاني للميلاد وبلغت شهرتها الحد الذي اهتم فيها الطبيب المشهور "جالينوس" واستعمال أوراقها عقاراً مهماً في القضاء على الأمراض[8]. كما قام انطونيوس بتقديم البلسم هدية إلى حبيبته كليوبترا[9] كما تجلت أهمية هذه الشجرة بأن اتخذها جستيان رمزاً لانتصاره حيث حمل هذا النوع من الشجر إلى روما بعد غزوه لفلسطين وانتصاره على أهلها[10].

ومن المحاصيل التي اهتم الأنباط بزراعتها شجرة الزيتون[11]، فعلى الجهة المقابلة من معاصر العنب في منطقة الذريح وعلى الجهة الجنوبية الغربية من المعبد جاءت معاصر الزيتون

(١) المحيسن، خربة الذريح موقع نبطي، ص٧.
(٢) أنظر الشكل (٤).
(٣) Glueck, The Other side, P. 209.
(٤) Lindner, Petra and das, P. 259.
(٥) Ibid, P. 259.
(٦) Ibid, P. 259.
(٧) Ibid, P. 259.
(٨) عباس، المصدر السابق، ص١١١.
(٩) Lindner, Petra and das, P. 259.
(١٠) Ibid, P. 259.
(١١) المحيسن، خربة الذريح موقع نبطي، ص٧.

في بناء ليشمل معصرتين للزيتون وتدل معاصر الزيتون والعنب على قوة الحضارة النبطية في المجال الزراعي، فقد كان الزيتون يعصر على مرحلتين الأولى يوضع الزيتون داخل صحن حجري كبير ثم ينهرس بواسطة دولاب حجري ثقيل يدور داخل الصحن الحجري(١).

وفي المرحلة الثانية يتم عصر الزيتون المهروس بوساطة حجر ثقيل يتحرك بحركة متوالية تارة للأعلى وأخرى للأسفل لينزل على سطح مستو يعصر عليه الزيتون(٢). ثم تتوجه هذه العصارة سائلة في داخل قناة حفرت على أطراف الحجر المسطح منتهية بفتحة يخرج منها الزيت صافياً ليصب في حوض دائري في أسفل المعصرة(٣). دالاً على اشتهار تلك المواقع بزراعة الزيتون التي أدرك الأنباط أهميتها.

ومما تجدر الإشارة إليه أن المؤرخ "بليني" قد ذكر أن بداية العمل في هذه المعصرة كان في نهاية القرن الأول قبل الميلاد(٤).

وقد اشتهرت منطقة الأنباط بزراعة "الأصطفرك"(٥) فضلاً عن نبتة الزعفران ونبتة "Costas" المعطرة(٦). كما يبدو أنهم زرعوا الفلفل الأخضر(٧).

فضلاً عن هذه المحاصيل المذكورة زين الأنباط منحوته الإله Eros بثمار نبتة الصنوبر(٨)، مما يجعلنا نذهب إلى أن هذه الشجرة قد زرعت من قبل الأنباط فضلاً عن جعلها نبته مقدسة في نفوسهم.

وتوجت هذه المحاصيل شجرة النخيل(٩) التي نعتقد أنها جلبت من بلاد الرافدين مما يدل على امتزاج هذه الحضارات ليس في المحاصيل والتبادل التجاري فحسب وإنما في روح الحضارة والرقي.

ولا تكفي اية إشارة بمهارة العامل النبطي الزراعية، الذي استطاع أن يتحمل الكثير لبناء الحضارة على الرغم من الظروف الصعبة، والذي تمكن من إنتاج هذه الأنواع الزراعية ونذهب إلى أن مثل أصحاب هذه الحضارة لا بد أنهم زرعوا أنواعاً أخرى من المحاصيل إلاّ أننا لم نعثر على دليل أو إشارة لهذه المحاصيل التي لا بد أن تكون منطقة الأنباط قد اشتهرت بها كسائر المناطق العربية.

---

(١) المحيسن، خربة الذريح موقع نبطي، ص٧.

(٢) المصدر نفسه، ص٧.

(٣) المصدر نفسه، ص٧.

(٤) Pliny, Natural History, (Cambridge, Mass), XvIII, P. 317.

(٥) الأصطفرك، نبته معمرة تزرع لاستخراج الصمغ الذي يستعمل في تثبيت العطور. راجع Kammerer, op. cit, P. 370.

(٦) Ibid, P. 370.

(٧) Starcky, Petra et la, op. cit, P. 938.

(٨) انظر لشكل (٣).

(٩) Kammerer, op. cit, P. 370.

الفصل الرابع
الصناعة

المبحث الأول: المعادن والتعدين:

تعد مملكة الأنباط واحدة من الممالك والدول العربية التي استطاعت أن تحقق مكانة متميزة في مجال الصناعات في عصور ما قبل الإسلام، حيث عرفت منتوجاتهم في معظم أجزاء بلاد العرب بل وصلت ألى أبعد من ذلك حيث وجدت آثار ذلك في بيتولي في إيطاليا وجزيرة رودس في بحر إيجة وفي اليونان(١).

ولم تقتصر الصناعات النبطية على إنتاج صنف واحد بل نجدها متعددة، وهذا ما نجده واضحاً ومتمثلاً في الصناعات المعدنية خاصة.

حيث نجد أن مملكة الأنباط اشتهرت بوجود معادن مختلفة ومتعددة كالذهب والفضة(٢) والنحاس والحديد والبرونز(٣).

ولكننا في الواقع لا نملك المعلومات الكاملة حول الطريقة التي كان الأنباط يستخرجون فيها المعادن من الأرض، كذلك لا نملك المعلومات التي تفيدنا عن كيفية إذابة هذه المعادن. مع العلم أنه تم مؤخراً العثور على ثلاث (مخربشات) في منطقة سيناء يعتقد أن الغرض منها يرتبط بعملية التعدين(٤).

ويرى الدكتور جواد علي أن طريقة إذابة المعادن هي واحدة عند مختلف الشعوب كالعرب والرومان واليونان والفرس والعبرانيين(٥).

ولهذا نفترض أن العرب الأنباط قد استخدموا الطريقة نفسها والمتبعة عند تلك الشعوب، حيث يتم استخلاص الذهب(٦) من الحجارة وتنقيته بعد أن يتم طحن حجارته أولاً ومن ثم يذرى تراب المعادن لاستخلاص الذهب منه.

وقد ورد في قاموس العرب "ذريت تراب المعدن"(٧) أي طلبت ذهبه وكان العرب يضعون هذا المعدن في التنور ثم يوضع في مكان خاص يدعى "الكوج" لتخليصه من الشوائب العالقة به(٨). ويستعمل لهذا الغرض المنافيخ الخاصة بإيقاد النار وزيادة لهبها لغرض صهر المعدن وجعله ليناً. أما معدن الفضة والبرونز فلا بد أن الأنباط قد استعملوا الطريقة نفسها التي استخدمت في تنقية الذهب لغرض تنقيته وصياغته بالشكل المطلوب(٩).

---

(١) Rostovtzeff, Caravan Cities, P. 50 وكذا Starcky, Petra et la, 1966, P. 937-938.

(٢) Strabo, BK, XVI, ch. 4, P. 826.

(٣) Glueck, The Other Side, 1970, P. 82 وكذا Kammerer, op. cit, P. 370.

(٤) Negev, "New Dated Graffiti From the Sinai", in IEJ, 17, 1967, PP. 250-255.

(٥) جواد، علي، المفصل، ج٧، ص٥٦٨.

(٦) المصدر نفسه، ص٥١٢.

(٧) التاج، ج١٠، ص١٣٦.

(٨) جواد، علي، المفصل، ج٧، ص٥١٢.

(٩) المصدر نفسه، ص٥١٢.

وسأقف - فيما بعد - عند المنتوجات والمصنوعات التي دخلت في صناعتها تلك المعادن.

أما معادن النحاس والحديد فقد كانت مناجمهما منتشرة في شتى أرجاء المملكة النبطية ولا سيما في منطقة سيناء ووادي عربة[١] فضلاً عن مناطق حبرة وخربة النحاس وخربة دبية وخربة جرية[٢].

ويظهر أن الأنباط قد استغلوا هذه المناجم لاستخراج معدني النحاس والحديد لما لهما من أهمية اقتصادية وقيمة تجارية تتمثل في صنع المواد اللازمة لشؤون حياتهم الخاصة وتصدير الفائض من الانتاج إلى الخارج[٣].

حيث وجد رأس مصنوع من معدن النحاس في منطقة خولان في اليمن[٤] مما يؤكد أن الأنباط كانوا يصدرون الفائض من إنتاجهم إلى خارج بلادهم.

ويذكر الأستاذ فيليب حتي أن أكثر مناجم المعادن في تلك الفترة كانت تحت سيطرة الحكومة وقد استخدم العبيد للعمل في هذه المناجم[٥].

ويبدو أن الأنباط استخدموا طريقة العرب والشعوب الأخرى في إذابة هذه المعادن إذ أن هناك طريقتين استخدمهما عرب جنوب الجزيرة العربية أولهما عن طريق خطوات متسلسلة ومتناغمة وتبدأ بوضع المعدن في نقر خاصة لإذابته ويوضع فوقه الخشب وذلك لإيقاد النار اللازمة لإذابته واستخلاص المواد الغريبة العالقة به، وإذا ذاب المعدن وخلص من المواد الغريبة عولج معالجة خاصة لتنقيته واستخراج معدنه[٦].

أما الطريقة الثانية فكانوا يستخدمون فيها (الآتون)، حيث توقد النيران في أسفله لتذيب المعدن وتحيله إلى سائل يخرج من خلال فتحة خاصة بذلك[٧]. ومما تجدر الإشارة إليه أن العبرانيين قد أطلقوا عليه هذه اللفظة (الأتون)[٨].

---

(١) Rostovtzeff, Caravan Cities, P. 28-29.

(٢) Rothenberg, B.: Turguoiser Coppeer and Pilgrims, Archaology of Southern Sinai" in sinai, ed. B. Rothenberg, Berne, kummerly Frey, geographical Publishers, 1970, P. 170.

(٣) فيليب، حتي، تاريخ سوريا، ص٢٠.

(٤) Dalman, op. cit, P. 99.

(٥) فيليب، حتي، تاريخ سوريا، ص٣٢٧.

(٦) جواد، علي، المفصل، ج٧، ص٥٦٨.

(٧) المصدر نفسه، ص٥٦٨.

(٨) المصدر نفسه، ص٥٦٨.

المبحث الثاني: الإنتاج الصناعي

اشتهر الأنباط بصناعات مختلفة أهمها:

أولاً: جمع القار

يعد البحر الميت المصدر الأساس والمهم في إنتاج مادة القار (الزفت)، فقد ذكر ديدور لصنقلي "أن الأنباط كانوا يأخذونه من البحر الميت بكميات كبيرة تتراوح ما بين عشرة آلاف لى ثلاثين ألف قدم مكعب في السنة"[١].

وقد اتبع الأنباط طريقة خاصة في جمعه يتحدث عنها ديدور الصقلي فيقول "لا يستعمل لأنباط القوارب في جمعه وإنما يضعون أحزمة من الرمث - الطوف - ويلقونها في البحر، هذه الأحزمة تتسع لثلاثة رجال، اثنان تقع على عاتقهم مهمة الجذف بالمجاذيف، والثالث مهمته صد الأعداء الذين من الممكن أن يتعرضوا لهم، وعندما يصل هؤلاء إلى كتل القار قومون بتقطيعها بواسطة الفؤوس، ومن ثم يتم نقلها إلى المكان المخصص لتصنيعها"[٢].

ومما يلفت الانتباه أن هذه المادة قد نالت أهمية كبرى في دول العالم القديم وذلك دخولها في طقوسهم الدينية ومصنوعاتهم[٣]، حيث كان المصريون يستوردون هذه المادة ن مملكة ا لأنباط لاستخدامها في تحنيط الموتى[٤]، أو يتخذون تمائم منها توضع مع لمومياء لغرض طرد العدو من القبر[٥]. كذلك كان المصريون يستعملونها في صناعة لمجوهرات التقليدية وفي تلوين المعادن[٦].

وقد استفيد من القار في طلي السفن لمنع الماء من التسرب والدخول فيها[٧]، كما اتخذ منصراً في التفرية[٨].

وحاول الإغريق - بسبب الأهمية الكبيرة لهذه المادة - أن يسيطروا عليه، لكنهم لم نجحوا في ذلك حيث استمر الأنباط يسيطرون ويتحكمون بتجارته[٩].

١) Diodorus, G., op. cit, XIX: 95 وكذا Starcky, Peta et La, P. 936.

٢) Diodorus, op. cit, P. 95.

٣) Hammond, P.C. "The Nabataean Bitumen industry at th eDead sea", in BA 22/2, 1959, PP. 40-48

٤) زيدان، المصدر السابق، ص٩٠.

٥) عباس، المصدر السابق، ص١١٠.

٦) المصدر نفسه، ص١١٠.

٧) جواد، علي، المفصل، ج٧، ص٥٦٣.

٨) عباس، المصدر السابق، ص١١٠.

٩) Joesephus, Flavius, Wars of the Jews or. The History of the Destruction of Jerusalem, 1825, II, P. 48.

ثانياً: استخراج الملح

وردت إشارة إلى أن الأنباط كانوا يتاجرون بمادة الملح، إذ قاموا بتصدير هذه المادة إلى فلسطين(١).

ويبدو أن الأنباط كانوا يستخرجون هذه المادة من جنوب خرائب عبدة المتاخمة للبحر الميت(٢). ففي وقت الصيف يأخذ الجزء الجنوبي من البحر بالتبخر تاركاً وراءه ملاحات عظيمة وواسعة استغلها سكان المنطقة في استخراج ما يحتاجون إليه من الملح وتصدير الفائض منه إلى باقي المناطق(٣).

ثالثاً: صناعة الفخار

يعد الفخار النبطي المتميز برقته ودقة صنعه ونعومته(٤) دليلاً واضحاً على ما وصل إليه الأنباط من تميز وشهرة في هذا المجال من الصناعات فكان أجود أنواع الفخار ذلك الذي صنع في الفترة التاريخية المقاربة للقرن الأول الميلادي(٥) حيث صنع من مادة الطين النضيج المحلي واستخدم الدولاب السريع في صنعه(٦). فصنعوا الكووس والأطباق والزبادي والجرار والأسرجة وأدوات الطبخ(٧).

وأهم ما يميز هذه المصنوعات ألوانها الزاهية وجمال زخارفها الهندسية التي من أشهرها الخطوط المستقيمة والدوائر النصفية والأشكال المعينية والمثلثات وظهور الأشكال والزخارف النباتية لأشجار النخيل والرمان والكرمة والتوت والثماروالورود(٨).

وانتشرت صناعة الفخار النبطي في جميع مناطق المملكة النبطية التي شملت جنوب الأردن وشمالها وفلسطين وشمال الجزيرة العربية وجنوب سوريا ومناطق جبل الدروز(٩).

ومن خلال المسوحات الأثرية التي قام بها "جلوك" في الثلاثينات من هذا القرن استطاع

---

(١) Glueck, The Other side, P. 192

(٢) موسل، المصدر السابق، ص٢١.

(٣) المصدر نفسه، ص٢١.

(٤) لمزيد من التفاصيل راجع: Amr, khairieh, The Pottery from Petra: A Neutron Actiration Analysis Study, Oxford, BAR in ternational series, 324, 1987.

(٥) Glueck, N., Explorations in Eastern Palestine, II, AASOR, Vol. XV, 1935, P. 36 سيشار له فيما بعد: Glueck, Explorations in Eastern.

(٦) Glueck, The Other Side, P. 209-211.

(٧) Ibid, 209-211.

(٨) Khairy, N., Technical Aspects of fine Nabataean ware, BASOR, 250, 1983, PP. 17-40.

(٩) Schmitt-Korte, K., Nabataean Pottery in Pre-Islamic Arabia (Studies in the History of Arabia) II, 1984, P. 8.

دمشق إلى مملكته[١]. وتعد العملة التي ضربت في زمن الملك الحارث الرابع من أفضل ما ضرب من نقود نبطية حيث كانت تدعى "السلعين الحارثية"[٢].

وقد سكت العملة من معدن الفضة وتدعى "كسف" وكما ضربوا العملة البرونزية والنحاسية[٣]، فأبدعوا وأحسنوا في صنعها، مؤكدين بذلك قابلية العرب للتطوُّر والإبداع مهما كانت ظروفهم وأحوالهم[٤].

ومما تجدر الإشارة إليه أن مسمى العملة عندهم هو "سلعين" نسبة إلى سلع منطقة الرقيم[٥].

ومن المستغرب أنه لم يعثر حتى الآن على أية قطعة من النقد النبطي المسكوك من الذهب[٦]، فربما هذا يعود إلى أنهم لم يسكوا لهم نقوداً ذهبية أو أن هذه العملة وقعت بيد اللصوص فقاموا بإذابتها وصهرها إلى معادن.

خامساً: صناعة الملابس والجلود

لقد أظهرت لنا المنحوتات والعملة النبطية أشكال الملابس التي يبدو أن الأنباط قد صنعوها من الكتان[٧]. ويذكر الدكتور زيدون المحيسن[٨] أن هناك ثلاثة أنواع من النسيج استخدمت في هذه الصناعات، ويدعى الأول "التوال" وهذا النوع يكون فيه تقاطع خيوط السداه واللحمة في الوسط، أما النوع الثاني فيدعى "التول" وتتكون فيه اللحمة من خيط واحد والسداه من خيطين أو ثلاثة، أما النوع الثالث فهو "التوست" وتتكون السداه واللحمة من خيطين أو ثلاثة.

وقد زودتنا الرسوم التي نقشت على العملات النبطية ببعض المعلومات الخاصة بنماذج الملابس الخاصة بالنساء كالخمار الذي صنع ليغطي الشعر والرقبة[٩]، فضلاً عن المعاطف

(١) جواد، علي، تاريخ العرب، ج٣، ص٤٩٤.

(٢) البكر، منذر، محاضرات في تاريخ العرب قبل الإسلام، (البصرة، جامعة البصرة، ١٩٧١)، ص١٤٣، قارن جواد علي، تاريخ العرب، ج٣، مصدر سابق، ص٤٢-٤٣.

(٣) Kammerer, op. cit, P. 371 كذا Dalmen, op. cit, P. 99.

(٤) جواد علي، تاريخ العرب، ج٣، ص١٧.

(٥) الفاسي، المصدر السابق، ص٢٠٠.

(٦) Kammerer, op. cit, P. 371 وكذا: هاردنج، المصدر السابق، ص١٤٥.

(٧) المحيسن، البتراء، ص١١٢.

(٨) المصدر نفسه، ص١١١-١١٢.

(٩) Meshorer, Y., Nabataean Coins, (Jerusalem, hebrew university, 1975), P. 57

تحديد المواقع النبطية عن طريق الفخار النبطي، وأثناء هذه المسوحات تم العثور على مراكز صناعة الفخار حيث عثر على أفران في منطقة "بير مذكور" في وادي عربة(١) وآخر في منطقة عبدة في النقب(٢)، أما المركز الثالث فوجدت آثاره في منطقة الزرابة الواقعة بين وادي موسى وذراع "أم الصاحون" في البتراء(٣)، وكانت هذه الأفران مبنية من الطوب المقاوم للنار(٤).

وقد أشار "جلوك" إلى وجود تأثيرات خارجية على الفخار النبطي كالتأثير البارثي والتأثير الهلنستي والتأثير الأخميني(٥).

وفي رأينا أنه لا يوجد تأثير اخميني على الحضارة العربية، لأن الحضارة الأخمينية ولا سيما في مجال العمارة والآثار ما هي إلاّ فرع من الحضارة الآشورية(٦) كما أن الحضارة الفرثية ما هي إلاّ خليط من الحضارة الأخمينية والحضارة الأسكثية الهندية، وعندما اختلطوا بالشرق تأثر الفرثيون بحضارة الشرق الأدنى القديم، وهذا واضح من الآثار التي خلفوها ولا سيما في العراق(٧).

ويحتمل أن الأنباط قد تأثروا بما صنعه الأدوميون من الفخار، بسبب الشبه الكبير بين شكل الفخار النبطي والفخار الأدومي الذي وجد في المنطقة(٨).

رابعاً: سك العملة

نحن مع الرأي القائل أن العملة اختراع حضاري لا ينسب إلى شعب دون آخر، وما هذا الاختراع الذي أوجده الأنباط سوى انعكاس للتطور على المستوى التجاري بحيث يتم استخدام العملة بدلاً من الشكل القديم الذي عرف باسم المقايضة.

ويبدو أن الأنباط قد ضربوا عملتهم على النمط اليوناني(٩)، إذ يعد الملك الحارث الثالث أول ملك نبطي أمر بسك العملة وضربها آخذاً السكة في ذلك من اليونان في أثناء ضمه

(١) Glueck, Explorations in Eastern P. 36.

(٢) Negev, A., Nabatean Archeology Today, New York, 1986, P. 93 سيشار له فيما بعد: Negev, Nabatean Archeology.

(٣) هاردنج، المصدر السابق، ص١٦٩.

(٤) المصدر نفسه، ص١٦٩.

(٥) Glueck, The Other Side, P. 209-211.

(٦) Ekrem, Akurgal; Die Kunst Anatoliens Von Homer Bis Alexander. (Berlin, 1961), P. 28

(٧) H. Frankfort, The Art and Architecture of the Ancient Orient. (London, 1963), P. 102.

(٨) Browning, I., Petra, 9london, Shatto, 1982), PP. 32-38.

(٩) جواد، علي، تاريخ العرب، ج٣، ص١٧.

والعباءات[1] كذلك القمصان التي تدعى "الخيتون"[2] وغير ذلك من أثواب صممت دون أكمام[3].

أما الملابس التي صنعت للرجال فظهرت العباءة[4] ولا بد أنهم استعملوا العمامة فقد ذكر بليني "إن العرب كانوا يتعممون بعمامة تتناسب مع طبيعة شعرهم"[5]. ويظهر لنا أن صناعة الملابس في مملكة الأنباط لا سيما في الفترة المتأخرة قد تأثرت بما صنع في روما عندما أدخل الحارث الثالث دولة الأنباط ضمن إطار الحضارة الهلنستية[6]. كما وجد في أحد القبور العائدة في تاريخها إلى القرن الأول الميلادي آثار الحرير مما يفيد أن الأنباط كانوا على علاقة مباشرة ببلاد الصين وأنهم كانوا يستوردون الحرير منها[7].

أما فيما يتعلق بزي الرجل النبطي الحربي فتفيد المنحوتات الموجودة أنه يتكون من التنورة المقسومة إلى عدة مستطيلات ترتبط فيما بينها بعدد من الحلقات التي من المحتمل أنها صنعت من معدن النحاس وذلك لحماية الجسم من ضربات السيوف والرماح والسهام.

وفي شكل آخر من منحوتة أخرى يتبين لنا أن الأنباط قد صنعوا العباءة التي تنتهي بمشبك، وهذا ما نجده سائداً لدى العرب في الجزيرة العربية كما نجد أن اللباس يتكون من الأحزمة العريضة المصنوعة من الجلد، وكذلك استخدمت الخوذة الخاصة لحماية الرأس من الضربات وربما صنعت من معدن النحاس والحديد.

ومن المصنوعات التي ترتبط بالجيش الأسلحة، التي أظهرتها لنا منحوتاتهم، كالأقواس والرماح والسهام والتروس.

كما وجدت بعض الصور في (منطقة عديد ووادي عبده) التي أظهرت لنا السيوف، مما يدل على استعمال الأنباط لهذا النوع من السلاح في قتالهم[8]، كما أظهرت لنا تلك الصور الرماح والسهام والأقواس[9].

ويظهر لنا أن الأنباط قد استعملوا جلود الحيوانات في صناعاتهم المحلية وذلك لتوفرها

---

(١) انظر لشكل (٩، ١٠).

(٢) Meshorer, op. cit, P. 103.

(٣) Glueck, N. AJA, 41/3, 1937, P. 370

(٤) انظر لشكل (١١).

(٥) Pliny, op. cit, 632, 162

(٦) Glueck, N., Deities and Doplphins, PP. 471-472 وكذا: انظر الشكل (١٢، ١٣).

(٧) فيليب، حتى، تاريخ سوريا، ص٤٢٥.

(٨) عباس، المصدر السابق، ص٧٧-٧٨.

(٩) المصدر نفسه، ص٧٧-٧٨.

عندهم، وتؤكد الكشوفات الأثرية أنهم صنعوا من هذه الجلود المعاطف والأحذية (الصندل) والأحزمة[1] فضلاً عن الأكفان الجلدية[2]. كما صنعوا من بعض أجزاء الحيوانات الأوتار الموسيقية التي نشاهدها في منحوتاتهم[3] أو الأقواس الخاصة برمي السهام[4]، كما أنها تدخل في صنع سروج الخيل والإبل.

كما أننا نفترض أن العرب الأنباط قد استعملوا كغيرهم من الشعوب العديد من المواد اللازمة في دباغة الجلد كأوراق السماق[5] والأقراط[6] فضلاً عن استعمال مادة الغرف[7] والدهناء[8] والقرضم[9] وشجر الأرط[10].

سادساً: صناعة الحلي

تميز الأنباط بصناعة الحلي المصنوعة من المعادن المتوفرة لديهم كالفضة والذهب والحديد فضلاً عن استعمال الحجارة والعظام والعاج[11]، الذي يستورد من بلاد الهند وأفريقيا[12]. فتفننوا بصياغة الحلي فصنعوا منها الأقراط والقلادات[13] التي تربط حول الأعناق وتتدلى حول الصدر، كما أبدعوا في صناعة الأساور[14] التي تزين أيدي النساء، وكذلك الخواتم[15] التي توضع في الأصابع.

ولدينا أمثلة كثيرة على ذلك تكشفها المنحوتات التي خلفتها حضارة الأنباط، فكانت المرأة النبطية تتزين بأشكال مختلفة من تلك المجوهرات التي صنعوها، فقد ظهرت

---

(١) Kammerer, op. cit, P. 370.

(٢) Negev, Nabatean Archeology, P. 75.

(٣) أنظر لشكل (١).

(٤) أنظر لشكل (١٨).

(٥) Pliny, BK. XIII, ch, 13.

(٦) كان القرظ يطحن بواسطة طواحين خاصة ومن ثم يدخل في عملية الدباغة. راجع: التاج، ج٥، ص٢٥٨.

(٧) التاج، ج٦، ص٢٠٩.

(٨) الدهناء: عبارة عن عشبة ذات لون أحمر تستعمل أوراقها في عملية الدباغة: راجع: التاج، ج٩، ص٢٠٥.

(٩) القرضم: وهو قشر الرمان، راجع: التاج، ج٩، ص٢٠٤.

(١٠) التاج، ج٥، ص١٠١.

(١١) Horsfiled, G., Sela-Petra, the Rock of Edom and Nabatene, QDAP, IX, 1941, P. 115.

(١٢) زيدان، العرب قبل الإسلام، ص١٧٩.

(١٣) Hammond, Ph. G. Excovations at Petra in 1959, BASOR, 159, 1960, P. 30.

الملكات النبطيات وهن يلبسن العقود والأقراط[٣]، كما تظهر بعض الإلهات بخربة التنور وهن يضعن الأساور فضلاً عن تزيين الأنف بحلقة تدعى الزمام[٤].

وقد أطلقت النقوش النبطية على الأشخاص الذين يمارسون هذه الحرفة اسم "صيغا" أي الصائغ، وقد حوت النقوش أسماء بعض الصاغة كوهب إلهي، وسلي (صالح)، وزيد برنيم (زيد بن نيم)[٥].

وقد بينا سابقاً الكيفية التي يتم بها التعامل مع المعادن لإخراجها إلى الأشكال المطلوبة.

سابعاً: الصناعات الخشبية

اشتهر الأنباط بالصناعات الخشبية، ويبدو أنه تم استعمال تلك الأخشاب في تقوية الجدران المبنية من الحجارة كمعبد خربة الذريح ومعبد قصر البنت[٦]. ويظهر أن الأنباط استفادوا من غابات الأرز المنتشرة في بلاد الشام[٧] التي استطاعوا في فترة من فترات تاريخهم ضم بعضها إلى نفوذهم. وقد أصبحت الأخشاب مادة أولية متوفرة لدى الأنباط ولهذا أحرزوا تقدماً في الصناعات الخشبية، فصنعوا السقوف والأبواب والشبابيك[٨] كما صنعوا أثاث البيوت كالسرر والكراسي، ولا بد أنهم صنعوا السفن لنقل بضائعهم التي يتاجرون بها من خلال البحر[٩].

ولكننا للأسف لم نعثر على شيء منها وربما يعود السبب إلى تآكلها لبعد الفترة الزمنية أو أنها دمرت في أثناء الحروب والغزوات، ولهذا لم يعثر إلاّ على التوابيت التي دفنت في المقابر والمصنوعة من خشب الأرز أو خشب الصندل[١٠].

وقد تميزت هذه التوابيت بنعومتها مما يدل على استعمال آلة المنشار والآلات الخاصة

---

(١) Horsfield, op. cit, P. 115 وكذا: Glueck, Deities and Dolphins, P. 434.

(٢) Horsfield, op. cit, P. 115.

(٣) Meshorer, op. cit, P. 43.

(٤) Rosenthal, R., A Nabataean Nose-Ring from Avoat, in IEJR, 24, 1974, PP. 95-96.

(٥) الفاسي، المصدر السابق، ص١٩٩.

(٦) المحيسن، البتراء، ص١١٣.

(٧) فيليب، حتي، تاريخ سوريا، ص٥٤.

(٨) المحيسن، البتراء، ص١٠٣.

(٩) المصدر نفسه، ص١١٤.

(١٠) Negev, A., The Nabatean Necropolis of Mampsis (Kuruub), IEJ, 21, 1971, PP. 117-119
سيشار له فيما بعد: Negev, The Nabatean Necropolis.

بتنعيم الخشب فضلاً عن استعمال الأزاميل الخاصة بالنجارة[1]. كما تميز العديد من هذه التوابيت بالأطراف المقوسة مما يدل على أن الأنباط استخدموا البخار في ثني الألواح الخشبية المستعملة[2] ويظهر أن الأنباط قد استخدموا طريقة التعشيق[3] لربط أجزاء الألواح الخشبية وتثبيتها حيناً واستخدام المسامير[4] حيناً آخر حيث عثر على عدد من هذه المسامير في القبور.

ثامناً: صناعة التماثيل

برع الأنباط بصناعة التماثيل ولا سيما ما خلفته لنا حضارة الأنباط من التماثيل الكثيرة في مدينة البتراء في معبد خربة التنور وغيرها من المدن النبطية. وقد كانت هذه التماثيل منحوتة من الحجارة. ومشكلة من الجص الذي نفترض أنه يحضر بالطريقة نفسها التي يحضر بها اليوم. وقد غلب على هذه التماثيل الطابع الشرقي العربي الواضح في منحوتات الآلهة المنتشرة في المعابد النبطية كتمثال الإله هرمس[5] ومنحوتة الإله Atargatis[6] إلاّ أننا لا ننكر التأثير اليوناني على المنحوتات النبطية[7] الأمر الذي أخرجها بمظهر هلنستي بديع تختفي في صميمه الروح والذاتية العربية الخالصة.



(١) Parr, P. Excavations at Petra, 1958, PEQ, 1960, PP. 125-126.

(٢) Negev, The Nabatean Necropolis, P. 117.

(٣) Marray, M., A., and Ellis, J., G., A Street in Petra, (London, British School, 1940), P. 12

(٤) Negev, The Nabatean Necropolis, P. 117

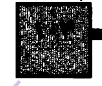
(٥) ستاركي، الحضارة النبطية، ص٢٨؛ وكذا: انظر الشكل (٢٠).

(٦) المصدر نفسه، ص٢٨؛ وكذا: انظر الشكل (٥).

(٧) المصدر نفسه، ص٢٨.



الفصل الخامس
التجارة



طبقاً للوضع السياسي السائد آنذاك ويمتد هذا الطريق إلى الشمال ماراً بنجران[1] ويتفرع أو يتجه إلى الشمال ماراً بالواحات والمراكز التجارية المهمة التي من أشهرها مكة ويثرب والعلا (ديدان) ومنها يتجه إلى الحجر ثم وادي السرحان ثم إيلة (العقبة)[2] عندها ينقسم الطريق إلى فرعين الأول يصل إلى عمق الخليج العربي أما الثاني فيرتقي إلى الشمال باتجاه المتوسط فيصل إلى العريش أو رفح وغالباً ما يصل إلى غزة[3]، ومن أيلة يمتد الطريق حتى البتراء وعندها يتجه إما إلى بصرى فدمشق أو إلى الجنوب الغربي إلى مصر[4]، وتشير المصادر إلى أن الأنباط استخدموا طريقاً مباشراً من البتراء إلى غزة[5]. الواقعة في نهاية الطريق التجاري عند البحر المتوسط[6].

وقد كان لهذا الطريق دور مهم في تاريخ الجزيرة العربية الحضاري والسياسي ولا سيما في القرن الأول قبل الميلاد فنشأت على طول هذا الطريق ممالك وحضارات كان لها شأن عظيم في تاريخ الجزيرة العربية فقامت في الجنوب دولتا سبأ ومعين كما قامت في الشمال مدن مهمة منها يثرب وخيبر وتيماء والجوف «دومة الجندل» حيث عدت هذه المناطق مراكز حضارية رئيسة واقعة على طول الطريق التجاري (طريق البخور)[7].

ومما تجدر الإشارة إليه هنا أن من يتحكم في أي جزء من هذا الطريق التجاري يستطيع أن يجبي أرباحاً طائلة[8] إذ يشير «بليني» أن الرحلة بواسطة الجمال من تمنع عاصمة قتبان إلى غزة كانت تنقسم إلى ٦٥ شوطاً في كل شوط منها مواقف للجمال إذ يدفع أصحاب القوافل عند كل شوط ثمن الحصول على الماء والأعلاف وأجر النزل الخاص بالمبيت ورسوماً لقاء السماح بالمرور والحماية[9] لذلك كانت الحكومة القتبانية مثلاً تجني ضرائب

---

(١) حيث يتفرع طريق إلى وادي الدواسر ثم الإفلاج فاليمامة فجرها على الخليج العربي، والفرع الآخر يسير شمالاً إلى مدينة تباله فالطائف فمكة فالمدينة، راجع: البكر، العرب والتجارة الدولية، ص٤٩.، وكذا: Walter, W. Müller, Eimsabaishe Gesandtschaft in Ktesiphon and Seleukia, P. 159.

(٢) عبد الحليم، عبد المنعم، البخور عصب تجارة البحر الأحمر في العصور القديمة، مجلة كلية الآداب، جامعة الملك عبد العزيز، جدة، ١٩٨٢، ص١٥٥-١٥٦. وكذا: النعيم، نورة، الوضع الاقتصادي في الجزيرة العربية في الفترة بين القرن الثالث قبل الميلاد وحتى القرن الثالث ميلادي، (الرياض، دار الشوّاف للطباعة والنشر، ١٤١٢هـ)، ص٢١٣-٢٢٠، وكذا: البكر، دراسات في تاريخ العرب، ص٣٨٢.

(٣) Kammerer, op. cit. P. 56.

(٤) Ibid, P. 56.

(٥) Meshel, Z. and Tasfrir, Y., The Nabatea Road from Avadat to sha'ar - Romon, PEQ. 112, 1974, PP. 103-119.

(٦) Brunnow, Provincia Arabia, P. 190.

(٧) الدايل، خالد عبد العزيز، التقرير الحقلي عن حفريات دومة الجندل في موسم ١٤٠٥هـ-١٩٨٥»، مجلة أطلال، حولية دائرة الآثار السعودية، ع١٠، ١٩٨٦، ص٧٩-٨٠.

(٨) فخري، المصدر السابق، ص٥-٦.

(٩) Murray, The Rock City, P. 125 وكذا: Kammerer, op. cit. P. 34.

قامت في شمال شبه جزيرة العرب دويلات عربية كان لها اتصال سياسي وثقافي وتجاري ببلاد العرب الجنوبية[1]، وكانت التجارة هي المحور الذي استقطبت حوله هذه الحضارات الشمالية، كما كان الأمر في الجنوب، ونجد أن دول الشمال والوسط لم تكن دولاً حربية، بل كانت تستمد قوتها من التجارة لأن موقعها الجغرافي سهّل لها الاتصال بأقوام غرب آسيا وشرقي البحر الأبيض المتوسط[2].

وهذا لا يعني أن هذه الدول لم تكن دولاً حربية تماماً، بل أنها لعبت دوراً هاماً في السياسة المحلية للمنطقة العربية في القديم، وهذه الدول هي مملكة الأنباط وجاء من بعدها مملكة تدمر ودولة الغساسنة والمناذرة وكندة[3].

وكان الأنباط ينشطون في عالم التجارة ويبدو أنهم نظروا إليها بشيء من التقدير، فقد خدمتهم الظروف الطبيعية حتى أننا نجد أن عاصمتهم البتراء أصبحت منذ أواخر القرن الرابع المدينة الرئيسة على طريق القوافل وتربط بين جنوبي الجزيرة العربية الذي ينتج العديد من السلع وبين مراكز الاستهلاك والبيع في الشمال[4].

وبذلك استفاد الأنباط من هذا الموقع ولعبوا دور الوسيط التجاري بين جنوبي الجزيرة العربية وعالم البحر الأبيض[5]، فضلاً عن أنهم حصلوا على أرباح طائلة نتيجة فرض ضرائب المرور التي فرضت على البضائع المارة في مقاطعاتهم[6].

المبحث الأول: الطرق البرية والبحرية

أولاً: الطرق البرية:

طريق البخور:

يعد من أهم الطرق التي استخدمها الأنباط وباقي التجار في الدول والممالك العربية، ويبدأ من الموانئ الجنوبية للبحر الأحمر كميناء قنا، أو عدن أو من موانئ سواحل حضرموت إلى أحد عواصم الدول العربية الجنوبية مثل قرناو أو معين ومأرب وتمنا (تمنع) وشبوه –

---

(١) البكر، منذر، دراسات في تاريخ العرب قبل الإسلام، (البصرة، جامعة البصرة، ١٩٩٣)، ص٣٥١. سيشار له فيما بعد: البكر، دراسات في تاريخ العرب.

(٢) فيليب، حتى، تاريخ سوريا، ١٠٣.

(٣) وهي دول يمكن أن نطلق عليها اسم مدن القوافل كدولة الأنباط ودولة لحيان ودولة تدمر والحضر، علماً بأن العرب ميالون إلى التوحد حينما تأفل لهم دولة نجدهم يجتمعوا تحت كيان سياسي آخر مكونين دولة أخرى. راجع: البكر، دراسات في تاريخ العرب، ص٣٥٣.

(٤ فيليب، حتى تاريخ سوريا، ص٤١٨.

(٥) بلاشير، د.ر، تاريخ الأدب العربي، تر: ابراهيم الكيلاني، ط(٢)، (دمشق، دار الفكر، ١٩٨٤)، ص٦٢.

(٦) Glueck, The Other Side, p. 192.

كثيرة على كل البضائع المارة بمنطقتها، كما كانت القوافل تدفع حصصاً أخرى من الضرائب تقدم لرجال الدين وأمناء الملك وحاشيته وخدمه، الأمر الذي أدى إلى ارتفاع أسعار البضائع حتى وصولها إلى نهاية الطريق التجاري[١].

ومن ملاحظتنا على هذا الطريق أن الجغرافي سترابو يشير إلى أن القوافل التجارية كانت تقطع الرحلة من جنوب الجزيرة العربية إلى ايلة في (٧٠) يوماً[٢] حيث شبهها بجيش عظيم يتحرك وذلك عند وصفه للجزء الشمالي من هذا الطريق الذي يتجه نحو البتراء ثم إلى سيناء وانتهاءً بغزة[٣].

كما توجد طرق أخرى عبر الطريق الرئيس (طريق البخور) ومنها:

١- الطريق بين اليمن والخليج العربي والعراق:

يسلك هذا الطريق الحافتين الغربية والشمالية لمنطقة الربع الخالي[٤]، إذ لا تزال تنتشر على طول هذا الخط العديد من الواحات والآبار[٥] حيث كانت القوافل تخرج من مأرب باتجاه نجران ثم تتجه إلى الشمال الشرقي من وادي الدواسر. ويمر الطريق بقرية الفاو ثم يتجه نحو الوديان الواقعة جنوب نجد في اقليم اليمامة ثم تعبر القوافل صحراء النفوذ الصغرى والدهناء شرق نجد ثم الإحساء فجرها[٦].

٢- طريق جرها - البتراء:

تمتع هذا الطريق بأهمية كبرى خلال القرنين الرابع والأول ق.م[٧] ويخترق هذا الطريق اقليم الإحساء ماراً بالدهناء وصحراء النفوذ الصغرى إلى شمال اليمامة، حيث يسير في وادي حنيفة في نجد عند موقع مدينة (الرياض الحالية تقريباً) وفي شمال (نجد) يتصل هذا الطريق بوادي (الرمة) ومنه إلى جبل (شحر) ثم يسير على الحافة الجنوبية لصحراء النفوذ الكبرى إلى أن يبلغ واحة تيماء ومنها شمالاً إلى تبوك وأخيراً البتراء[٨].

---

(١) جواد، علي، تاريخ العرب، (ج٣)، ص٢٣١-٢٣٢.

(٢) Strabo, XVI. 4,4.

(٣) Ibid, P. 23.

(٤) مهران، محمد بيومي، تاريخ العرب القديم، ط١١، ج١، (الاسكندرية، دار المعرفة الجاممعية، ١٩٩٤)، ص٢٨٢.

(٥) الحوفي، المصدر السابق، ص٩٨-٩٩.

(٦) المصدر نفسه، ص٩٨-٩٩.

(٧) المصدر نفسه، ص٩٨-٩٩.

(٨) الحوفي، المصدر السابق، ص٩٨-٩٩. وكذا: Rostovtzeff, M., The Social, P.758.

ونرى أنه من المفيد الإشارة إلى أهم المحطات التجارية التي تنتشر على طول الطريق الرئيس (طريق البخور) والتي تتوفر فيها الآبار والعيون، كما احتوت هذه المحطات على العديد من المستودعات الخاصة لخزن البضائع والأسلحة فضلاً عن أنها محصنة من هجمات القبائل البدوية:

١- البتراء:

يذكر «كامرر»(١) أن البدايات الأولى في تاريخ البتراء كانت محطة للجمالين، فقد كانت تأتيها القوافل وتحط الرحال بها فهي تقع عند ملتقى طرق القوافل بين غزة ووادي الرافدين والخليج العربي والبحر الأحمر واليمن(٢)، مما جعلها مركزاً مهماً لتوزيع البضائع(٣) التي تتجمع بها والتي يعاد تصديرها فيما بعد إلى المناطق المختلفة من العالم(٤).

لذلك كانت التجارة وخدمة القوافل التجارية هما العملان الأساسيان لسكان هذه المدينة(٥)، فكان عرب الجنوب يتجهون شمالاً في قوافلهم وكانوا يقيمون في هذه المحطة ويستعينون بما يلزمهم من إبل نشيطة(٦) وأعلاف الحيوانات والمأكولات والسروج (والأكسية) الخاصة بالحيوانات وكذلك الأكياس للبضائع والأسلحة للحراس(٧). كما كان سكان هذه المدينة يعقدون الصفقات التجارية كالبيع والشراء والإقراض(٨)، مما نشط الحركة التجارية داخل المدينة نفسها وقام الأنباط ببناء نقاط الحراس لغرض تأمين التجارة والقوافل التجارية من البتراء إلى باقي المناطق، ومنها نقطة باير (BAYIR) الواقعة في عين الشلالة على امتداد الطريق المؤدي من وادي عربة إلى النقب(٩).

وتراجعت البتراء من كونها أحد المراكز التجارية المهمة بعد حكم تراجان في المنطقة على الرغم من ثراء مواطنيها وبذلك انتقل مركز التجارة إلى بصرى(١٠).

---

(١) Kammerer, op. cit., P. 33.

(٢) Glueck, The Other Side, P. 192.

(٣) Ibid, P. 196.

(٤) ستاركي، النبط، ص٥.

(٥) Dalman, op. cit. P. 43.

(٦) حتي، فيليب، تاريخ العرب، (بيروت، دار غندور للطباعة والنشر والتوزيع، ١٩٨٦)، ص١١٠. سَيُشار له فيما بعد: فيليب، حتي، تاريخ العرب.

(٧) صالح، العلي، المصدر السابق، ص١٢٣.

(٨) Rostovtzeff, Caravan Cities, P. 48.

(٩) Glueck, The Other Side, P. 192.

(١٠) Rostovtzeff, Caravan Cities, P. 51.

٢- صبرا:

وتقع (صبرا) في الجنوب الشرقي من البتراء على بعد ثمانية كيلومترات[١]. وهي احدى أهم مناطق المراقبة للقوافل التجارية وسلامتها من الأعراب وقطاع الطرق الآتية من النقب ووادي عربة مروراً بمنطقة (غرندل والسادة) احدى المحطات التجارية النبطية التي تقع على الطريق التجاري[٢].

وعرفت صبرا كما يذكر الدكتور زيدون المحيسن[٣] بأنها منطقة مراقبة وحماية عسكرية، ولا سيما أن هذه المنطقة هي جسر مفتوح للدخول إلى وسط العاصمة البتراء.

٣- العلا «ديدان»:

يذكر ياقوت الحموي أن ديدان اسم لمدينة تقع على الطريق بين الحجاز والبلقاء[٤]. وتحديداً تقع على بعد (٩٧٥كم) إلى الجنوب من دمشق[٥]، في منطقة تسمى وادي القرى، حيث جاء اسمها في النقوش الآشورية[٦]، كما ذكرت في التوراة[٧].

وأهم ما يميز هذه الواحة تجارياً الموقع الاستراتيجي الذي كانت تتمتع به، فقد يتفرع من الطريق التجاري الكبير عند هذه الواحة طريق آخر على حدود الحافة الجنوبية لرمال النفوذ الصحراوية ثم يخترق قلب الجزيرة العربية إلى الخليج العربي فجرها[٨].

وفي فترة الازدهار السياسي للأنباط أصبحت العلا واحدة من مراكزهم الرئيسة[٩]. حيث نجد من خلال النقوش النبطية أن المنطقة كانت معبراً مهماً للتجارة النبطية من الحجر وإليها[١٠].

---

(١) المحيسن، البتراء، ص١٦٥.

(٢) Al - Muheisen, Z., Les installations dans Le sude de la Jordanie, en particulier a lepogue nabateene, Thse de Doetoraat, Paris I, Pantheon-Sorbonne, 1986 P.P. 102-1044.

(٣) المحيسن، البتراء، ص١٦٦.

(٤) معجم البلدان، ج٢، ص٦٣٩.

(٥) لمزيد من المعلومات، راجع: البكر، دراسات في تاريخ العرب، ص٣٧٩، وما بعدها.

(٦) الأنصاري، عبد الرحمن الطيب، البتراء ومدن القوافل، وقائع الندوة التي عقدتها في البتراء في أيلول ١٩٨٥، دائرة الآثار العامة بالتعاون مع الموسوعة المصورة للميثولوجيا الكلاسيكية بدعم من منظمة اليونسكو، دائرة الآثار العامة، ١٩٩٠، ص١٦.

(٧) العهد القديم، التكوين، ١٠: ٦-٧، ٢٥: ١.

(٨) موسل، المصدر السابق، ص٩٦.

(٩) الهاشمي، آثار الخليج العربي، ص٢٨٣.

(١٠) Parr, P., and Harding, G.L. and Dayton, J. E., Preliminary survey in North West Arabia in BIA, 8,9, 1970, P. 213.

٤- الحجر (مدائن صالح):

تقع مدائن صالح في موضع يبعد حوالي (١٥كم) إلى الشمال من مدينة ديدان[١]، وأهم ما يميز الحجر توفر الآبار والتي تم اكتشافها مؤخراً، مما جعل المياه متوفرة فيها على مدار السنة[٢]، وبالتالي أصبحت مركزاً تجارياً مهماً لدى الأنباط حيث تتركز فيها جميع أنواع التجارة النبطية[٣].

ونجد أن الأنباط من خلال سيطرتهم على الحجر قد أصبحوا قريبين من الحوراء الواقعة على البحر الأحمر الأمر الذي جعلهم على معرفة تامة بالطريق البحرية الواصلة إلى الهند[٤].

وقد أشار سترابو[٥] إلى أن القوافل التجارية كانت تقطع الرحلة من جنوب الجزيرة العربية إلى ميناء ايلة في سبعين يوماً، وايلة تقع على مسيرة عشرة أيام من الحجر.

٥- تيماء:

كانت تيماء مركزاً تجارياً مهماً لوقوعها على الطريق التجاري الكبير[٦] فهي تتوسط بين مكة والشام إذ تقع في منتصف الطريق بين بابل ومصر لذلك بلغت مكانة تجارية تتناسب مع موقعها الجغرافي[٧]، ويؤكد ذلك ما جاءت به التوراة حيث يذكر سفر أيوب، أن أهل تيماء كانوا يشتغلون بالتجارة وكانت لهم قوافلهم التجارية الخاصة[٨]. وجاء في سفر أشعيا أن تيماء كانت مركزاً تجارياً مهماً لبعض القبائل العربية (كمدين وعيفة) التي تقع ديارهم بالقرب من واحة تيماء[٩]، بل إن تيماء مركز تجاري قديم للأدوميين حتى جاء «بنو نيدس» في القرن السادس قبل الميلاد وقضى على تجارة الأدوميين التي كانت تمتد شرقاً حتى تيماء وجنوباً حتى ديدان[١٠]. وعندما اتسعت حدود المملكة النبطية وجدنا أن الأنباط يمدون نفوذهم باتجاه الحوراء على الساحل وتيماء والحجر في الداخل[١١].

---

(١) Gaskel, W., Die Bedeutung der Beduinen inder Geschichte der Araberkoln. 1954, p. 5.

(٢) المحيسن، البتراء، ص٢٠٨.

(٣) موسل، المصدر السابق، ص١٠٦-١٠٧، وكذا: عباس، المصدر السابق، ص٨٤، قارن هيلي، المصدر السابق، ص١٣٧.

(٤) المصدر نفسه، ص١٠٨.

(٥) Strabo, XVI, 4: 4.

(٦) فيليب، حتى تاريخ العرب، مصدر سابق، ص٤٩.

(٧) المصدر نفسه، ص٦٢.

(٨) سفر أيوب، ٦: ١٩.

(٩) سفر أشعيا، ٦٠: ٦.

(١٠) «الهاشمي، رضا جواد، العرب في ضوء المصادر السماوية»، مجلة كلية الآداب، ع(٢٢)، (بغداد، جامعة بغداد، ١٩٧٨)، ص٦٦٣.

(١١) عباس، المصدر السابق، ص٧٥.



ودفعوا الأتاوات لمن يسيطر عليها[1]. لذلك كان من مصلحة الأنباط إنشاء مراكز تجارية في مدينة عبدة وخلاصة وعوجا الحفير وكرنب ممسيس وسبيطة لغرض السيطرة على الطريق الممتد إلى غزة والطريق الممتد باتجاه سيناء إلى مصر[2].

وتحتوي هذه المراكز على عدد من المستودعات الخاصة بخزن البضائع ومخازن الأسلحة لغرض حماية القوافل التجارية من غارات البدو[3]. ففي القرب من مدينة كرنب ممسيس ومدينة عبدة وعوجا الحفير قام الأنباط ببناء الغرف[4] الخاصة بتخزين البضائع ومرافق القوافل من الرجال والرواحل[5].

ونفترض أن الآبار والخزانات التي قام الأنباط بحفرها في مدينة عبدة[6] وباقي المدن النبطية، لم يكن الغرض مقصوراً على استخدامها في مجال الزراعة فسحب وإنما استخدمت في مجال التجارة أيضاً، وذلك لأن العامل الأول الذي يقرر اتجاه القوافل في الصحراء هو الآبار وخزانات المياه[7].

٨- أم الجمال:

تمتعت هذه المدينة بمركز هام في عالم التجارة النبطية، وذلك لوقوعها على الطريق التجاري القادم من شمال الجزيرة العربية إلى جنوب سوريا[8]. الذي كان تحت حكم السلطة النبطية ولا سيما في زمن الملك رابيل الثاني (٧١-١٠٦م)[9]، وكانت هذه المدينة المُصدر الرئيس للثروة الحيوانية إلى معظم مدن الشرق الأدنى في ذلك الوقت[10]. وقد زودتنا المسوحات الأثرية التي قام بها علماء الآثار بالكشف عن عدد من الأبنية التي من المحتمل أنها خصصت لخزن الحبوب[11]. كما وجدت ساحات داخل المدينة ربما كانت معدة لإقامة القوافل العابرة إلى المدينة[12].

---

(١) عباس، المصدر السابق، ص٧٧.
(٢) المصدر نفسه، ص١٠٨.
(٣) المحيسن، البتراء، ص٢٠١.
(٤) Negev, A., Nabatean Capitals from the Town of the Negev, IEJ. 24, 1974, PP. 153-154.
(٥) المحيسن، البتراء، ص٢٠١.
(٦) Evenari, op. cit. P. 131.
(٧) البكر، دراسات في تاريخ العرب، ص٣٨٢.
(٨) Glueck, N., Explorations in Eastern Palestine IV, BASOR, XXV - XXVIII, 1951, P13.
(٩) Kammerer, op. cit. P. 309.
(١٠) عباس، المصدر السابق، ص٨٤. وكذا: المحيسن، البتراء، ص١٩٤.
(١١) المحيسن، البتراء، ص١٩٤.
(١٢) هاردنج، المصدر السابق، ص١٨٧.

ومن أهم المعالم التي جعلت من تيماء مركزاً يصلح للتجارة وجود الآبار ولا سيما بئر «هداج» الذي يسقى منه أربعون جملاً في وقت واحد[1].

٦- دومة الجندل «الجوف»:

تقع دومة الجندل على مسافة (٤٠٠ كم) الى الشرق من البتراء[2]، وكانت تسمى عند الأشوريين «أدوماتو» أما الجندل فهو الصخر[3]، والاسم الحديث لها الجوف[4]. وتأتي أهميتها في التاريخ القديم بأنها الحصن المنيع الذي يحمي الجزيرة العربية من الشمال والشمال الشرقي، وأن سقوطها يؤدي إلى سقوط باقي المدن على الطريق التجاري الذي يؤدي إليها[5].

ونجد في التاريخ النبطي أن دومة الجندل كانت ضمن المناطق التي سيطر عليها الأنباط[6] فقد أصبحت مركزاً تجارياً مهماً لنقل البضائع القادمة من «الجرعاء» على ساحل الخليج العربي إلى أم الجمال ثم إلى بصرى[7]. وقد كان بها سوق عربي يسمى سوق دومة الجندل. ويبدأ في أول يوم من شهر ربيع الأول وينتهي في النصف منه أي لمدة أسبوعين[8]، وكان يتصارع على حكم دومة الجندل (الأكيدر) وهو كِندي وشخص آخر يدعى (قنافة الكلبي)، فإذا ظهرت قوة الغساسنة في المنطقة حكم (قنافة) على حين يحكم الأكيدر عند ظهور قوة كندة، وهذا يجعل دومة الجندل تقع على خط التماس بين كندة من جهة الجنوب والغساسنة من الشمال وذلك لأهميتها الاستراتيجية سياسياً واقتصادياً[9].

٧- النقب:

باتساع تجارة القوافل كان من الضروري للأنباط تأمين الطريق التجاري الذي يذهب من البتراء مخترقاً النقب إلى غزة أو العريش ويظهر أنهم في بادئ الأمر سلكوا تلك الطريق

---

(١) الأنصاري، المصدر السابق، ص١٧.
(٢) موسل، المصدر السابق، ص١٨٢.
(٣) الأنصاري، المصدر السابق، ص١٨.
(٤) الأنصاري، المصدر السابق، ص١٨، وكذا موسل: المصدر السابق ص١٢٣.
(٥) الأنصاري، المصدر السابق، ص١٨.
(٦) ستاركي، النبط، ص٥.
(٧) عباس، المصدر السابق، ص١٠٧.
(٨) الأنصاري، المصدر السابق، ص١٨.
(٩) المصدر نفسه، ص١٨.

ومما تجدر الإشارة إليه أن الأنباط قاموا بحفر الآبار والخزانات والبرك في مدينة أم الجمال والتي كان لها الأهمية الكبيرة في تطور اقتصاد المملكة النبطية ولا سيما في مجال التجارة.

٩- بصرى:

تقع على مشارف الشام ويمتد إليها الطريق التجاري القادم من البتراء[١]، وقد كانت مركزاً تجارياً مهماً للأنباط ينقلون منها البضائع إلى الحجاز كما كانوا يجلبون إليها بضائع الحبشة والهند واليمن مما جعلها تكتسب شهرة عالمية في مجال التجارة آنذاك[٢]. ونالت بصرى شهرة عالمية لا مثيل لها عندما قام الامبراطور تراجان بالسيطرة على البتراء وجعل بصرى عاصمة للولاية العربية سنة (١٠٦م)، كما ضرب العملة بها وقام بتحصينها إذ جعل بها حامية عسكرية لغرض مراقبة قبائل البدو وغاراتهم[٣].

ثانياً: التجارة البحرية:

لم يقتصر اهتمام الأنباط على تجارة البر فقط بل أنهم اهتموا بالتجارة البحرية حيث كانت لهم قواربهم الخاصة بهم[٤]، والتي استعملوها في نقل متاجرهم، وربما قام الأنباط بتطوير هذه القوارب إلى سفن تجارية كبيرة قادرة على قطع المسافات الكبيرة في مياه البحر الأحمر والبحر الأبيض.

لقد كانت صادرات الهند تنقل عبر طريقين أولهما طريق الخليج العربي ومنه إلى العراق فسوريا براً إلى البحر الأبيض المتوسط حيث تحمل البضائع ثانية من هناك الى اوروبا. وأحياناً كانت البضائع التجارية تفرغ حمولتها في موانئ البحرين وفي جرها ثم تنقل عبر الصحراء إلى العراق أو سوريا أو فلسطين ومصر[٥].

أما الطريق الآخر فهو القادم من خلال البحر العربي إلى البحر الأحمر أو إلى ميناء ايلة ومنها الى موانئ سوريا في طريقها الى اوروبا عبر البحر المتوسط[٦].

ويمكن أن نسجل على هذين الطريقين أن الأول الذي يمر بالخليج العربي أفضل من

(١) Meshel, op. cit. PP. 103-119.

(٢) الأفغاني، سعيد، أسواق العرب في الجاهلية والإسلام، (بيروت، دار الفكر، ١٩٦٠)، ص٤٦٤.

(٣) جواد، علي، المفصل، ج٣، ص٥٩.

(٤) Glueck, The Other Side P. 197. وكذا: موسل، المصدر السابق، ص١١٦.

(٥) صالح، العلي، المصدر السابق، ص٣٦-٣٧. وكذا: Kammerer, op. cit. P. 34.

(٦) صالح، العلي، المصدر السابق، ص٢٧.

الطريق الثاني لأسباب عديدة أهمها أنه أقصر كذلك أنه خال من الجزر المرجانية كالتي توجد في البحر الأحمر. ولذلك كانت السفن التجارية تستعمل الأول أكثر من الآخر[1].

وبشكل عام كانت الطرق البحرية في ذلك الوقت عرضة للأخطار كالعواصف والدوامات والحيوانات البحرية أو الشعاب المرجانية لذلك نجد أن الطرق البرية كانت هي المفضلة عند التجار[2] وما ذكرنا يناقض تماماً ما طرحه جرجي زيدان من أن القوافل التجارية كانت تفضل الطرق البحرية على البرية لطول مدة السفر فضلاً عن ذلك ما يصيبها من أخطار البدو وغاراتهم على الطريق[3].

لقد أدرك السلوقيون أهمية بلاد الأنباط وتحكمهم بالتجارة والطرق التجارية في المنطقة حيث قام الاسكندر بمحاولات للحد من هذه السيطرة من خلال الاستيلاء على ميناء غزة النبطي سنة (٣٣٢ق.م) إلا أن العرب قاوموه وفشلت هذه الحملة[4]. كما حاول «انتيجوناس» غزو الأنباط مرة أخرى سنة (٣١٢) ق.م إلا أن هذه الحملة لم يكتب لها النجاح[5].

ولكننا نجد أن ما فشل به السلوقيون نجح به البطالمة الذين اهتموا بالسيطرة على البحر الأحمر. فقد بدأت العلاقات العامة بين البطالمة والأنباط بالتدهور في زمن «بطليموس الثاني» (٢٨٤-٢٤٦ق.م) الذي عرف بحبه للمال بسبب عمله في التجارة[6] حيث حاول بطليموس زيادة الوارد المالي لمصر[7] من خلال قيامه بعدة أعمال، فأرسل «أرستون» في حملة غايتها كشف الساحل الشرقي للبحر الأحمر[8]، كما قام بإنشاء العديد من الموانئ على البحر الأحمر من أهمها ميناء «أرسنوى» السويس على خليج «هيروبولس» المعروف بخليج السويس[9].

ومن ثم أمر بإعادة فتح القناة القديمة التي كانت تصل النيل بالبحر الأحمر[10] وبنى ميناء

---

(١) صالح العلي، المصدر نفسه ص٢٧.

(٢) المصدر نفسه، ص٢٧.

(٣) زيدان، تاريخ العرب، ص١٨٠.

(٤) Brunnow, Provincia Arabia, P. 190.

(٥) Starcky, Petra et la, P. 903. وكذا: Lindner, Petra and das, P. 39. وكذا: Kennedy, op. cit. 1925, P. 31.

(٦) Altheim, Finanzgeschichte der spatanike.

(٧) رستوفنزف، تاريخ الامبراطورية الرومانية، تر: زكي علي، (القاهرة، د.ن ١٩٥٧، ص٢٧٠.

(٨) حوراني، جورج فضلو، العرب والملاحة في المحيط الهندي، تر: يعقوب بكر، (القاهرة، د.ن، ١٩٥٨)، ص٥٧.

(٩) «بلينيوس، بلاد العرب من تاريخ بلينيوس»، تر: محمود شكري محمد، مجلة المجمع العلمي العراقي، المجلد ٣، ١٩٥٤، ص١٤١.

(١٠) «سترابو، بلاد العرب من جغرافية سترابون»، تر: جبرا ابراهيم جبرا، مجلة المجمع العلمي العراقي، المجلد الثاني، ١٩٥١، ص٢٤٩.

«فيلوتير» (Philotora)[١] كما قام بتجديد طريق قفط (Coftos)[٢] فأنشأ ميناء «برنيقة» على النيل حيث زوده بالحاميات ومؤن الطعام والماء الذي يخزن في صهاريج خاصة عملت لهذا الغرض[٣].

فضلاً عن ذلك وطد علاقاته مع ديدان مما أدى إلى تحول تجارة البخور من طريقها القديم الذي كان يمر ببلاد الأنباط إلى الطريق الجديد ثم العمل على نقلها إلى مصر عبر البحر الأحمر وذلك عن طريق القوارب[٤].

ومن الأعمال التي قام بها إنشاء مدينة «امبلونة» (Ampelone) على خليج العقبة (ولويكه كومة) على البحر الأحمر وشحنها بالمجرمين لغرض حراستها وحراسة البضائع الواردة إليها من ساحل الحجاز ضد غارات الأنباط[٥].

وهذه الأعمال جميعها تعني سيطرة مصر على التجارة البحرية مما أدى إلى خسائر فادحة للأنباط الذين كانوا يحصلون على أرباح باهظة من تجارة القوافل التي كانت تمر ببلادهم مما جعل الأنباط يقاومون هذه الإجراءات بغارات بحرية على التجارة البحرية المصرية[٦]، مما جعل بطليموس يكوّن قوة بحرية لحراسة هذه السفن التجارية[٧].

وهكذا تمكن البطالمة من السيادة التامة على البحر الأحمر والتحكم في متاجره[٨]. وفي القرن الثاني ق.م ظهر الصراع بين البطالمة والسلوقيين في الشام حيث نجد أن الأنباط قاموا بمد يد العون إلى السلوقيين عندما حاصر «أنطيوخس الثالث» مدينة غزة سنة (٢١٧ق.م) مما أدّى إلى ضعف البطالمة[٩] إذ تمكن السلوقيون من استرجاع سوريا وباقي المناطق كصور وبقية الموانئ على البحر الأبيض المتوسط[١٠]، وأعقب هذا فترة ضعف فيها السلوقيون وعم الاضطراب في منطقة الشرق الأدنى القديم والهلال الخصيب وقامت في فارس الامبراطورية البارثية «الفرثية» واستقلت (بغض النظر) في شمال الهلال الخصيب وسوريا مما أدى الى اضطراب الأمن وانتشار الفوضى وبالتالي ضعفت التجارة المارة

---

(١) المصدر نفسه، ص٢٤٩.
(٢) أوليري، المصدر السابق، ص٨٦.
(٣) هـ. موس، ميلاد العصور الوسطى، تر: عبد العزيز توفيق، (القاهرة، ١٩٦٧)، ص١٨.
(٤) Altheim, Finanzgeschichte der spatanike P. 42.
(٥) رستم، أسد، تاريخ اليونان من فيليبوس المقدوني إلى الفتح الروماني، (بيروت، د.ن، ١٩٦٩)، ص٧٤.
(٦) Murray, Petra, The Rock City, P. 80.
(٧) Rostovtzeff, The Social and Economic, P. 383.
(٨) رودوكاناكيس، المصدر السابق ص١١٩.
(٩) ديسو، المصدر السابق، ص٣٤-٣٥.
(١٠) صالح، العلي، المصدر السابق، ص٢٩.

والقادمة من العراق[1]. وقد ساعدت هذه الظروف ان استردت الطرق التجارية المارة في غرب الجزيرة أهميتها وازدهرت البتراء نتيجة لذلك، اذ أغلب ما نعرفه عن مملكة الأنباط يعود إلى هذه الفترة[2].

وهنا لا بد من الحديث عن موانئ الأنباط الثلاث، التي كانت تابعة لهم وتحت نفوذهم السياسي والتجاري والتي من خلالها استطاعوا أن يصلوا إلى أبعد المناطق في العالم آنذاك.

وهذه الموانئ هي غزة على البحر المتوسط وميناء لوكية كومة (القرية البيضاء) وميناء ايله (العقبة).

١- ميناء غزة[3]:

وهو من الموانئ المهمة التي كانت تحت نفوذ المملكة النبطية[4]، ويقع هذا الميناء على البحر الأبيض المتوسط، وتظهر أهميته من كونه المركز النهائي على طريق القوافل التجارية القادمة من جنوب الجزيرة[5]، فقد كانت التجارة قبل وصولها إلى هذا الميناء تتركز في مدينة البتراء ومن ثم تنقل إلى غزة من خلال النقب الشمالي وكذلك عسقلان على البحر الأبيض[6]، وبعد أن تصل البضائع الى غزة تحمل باتجاه الأسواق السورية أو المصرية[7]، وكذلك إلى بتولي في ايطاليا ورودس في بحر إيجه[8].

وبذلك عدّ هذا الميناء مركزاً لتبادل السلع التي تأتي من أوروبا إلى الوطن العربي، كما كان مكاناً تبحر منه السفن الى ايطاليا واليونان وتلجأ إليه السفن الواردة من تلك الدول.

٢- ميناء لويكة كومة:

يعد من الموانئ المهمة على البحر الأحمر، ويبدو أنه يقع بالقرب من الوجه[9] ويدعى هذا المرفأ باللغة الاغريقية (LEUKE KOME) أي القرية أو المدينة البيضاء[10]، وهو من الموانئ التي

---

(١) صالح، العلي، المصدر السابق، ص٢٩.

(٢) المصدر نفسه، ص٢٩-٣٠.

(٣) يذكر البكري أن غزة موقع بديار جذام عن مشارف الشام، راجع البكري، أبو عبيد الله، عبد الله بن عبد العزيز، معجم ما استعجم، تح: مصطفى السقا، ج(١)، (القاهرة، عالم الكتب، ١٩٤٥)، ص٦٦٧.

(٤) ستاركي، النبط، مصدر سابق، ص٧.

(٥) Brunnow, Provincia Arabia, P190.

(٦) Glueck The Other Sides, P 196.

(٧) Kammerer, op. cit. P. 58.

(٨) Glueck, The Other Side, P. 196.

(٩) ستاركي، النبط، ص٦، وكذا هيلي، المصدر السابق، ص١٣٧.

(١٠) فيليب حتي، تاريخ سوريا، ص٤٢٦.

أنشأها الأنباط بعد أن قاموا بتدمير ميناء «امبلوني» في أثناء صراعهم مع البطالمة[1] ومن خلال تتبعنا لحملة (اليوس جالوس) على اليمن نجد أن قواته قد نزلت به سنة (٢٤ق.م)[2].

وقد ذكر مؤلف غير معروف في كتابه «الطواف حول البحر الأرتيري» أن ميناء لويكة كومة من الموانئ التي تمتد منه طريق إلى البتراء[3]، كما ذكر أنه مركز تجاري يستقبل المراكب الصغيرة القادمة من الجزيرة العربية[4]، ولهذا نجد أن الأنباط قاموا بوضع قوة مسلحة لغرض حفظ الأمن وتحصيل الضرائب على المواد بنسبة ربع قيمة البضائع المستوردة[5].

٣- ميناء ايلة:

يقع هذا الميناء على خليج العقبة الواقع على البحر الأحمر، وخليج العقبة الذي كان يسمى خليج ايلة كما يقول «ارتيمدورس» ينسب إلى ميناء ايلة في حين يذكر «أيوبا» أنه خليج لحيان نسبه إلى بني لحيان الذين كانوا يملكون المنطقة منذ القرن الخامس حتى القرن الثالث قبل الميلاد. ونجد تعدد الألفاظ لهذا الخليج فيسميه «أجاثا رشيد» وديدور (لنانيتيك)، ويليني يسميه (لياتيك وايلانتيك) وسترابو يسميه (ايلاتتيك)[6]. أما الميناء فقد سمي فيما يرى موسل باسم بطمة (فيران أو فاران)[7].

وأهم ما يميز هذا الخليج عدم وجود الجزر المرجانية فيه[8]، مما جعله مركزاً تجارياً مهماً تتجمع به التجارة وتتفرع منه الطرق الواصلة إلى موانئ اليمن جنوباً[9]، كما كان التجار الأنباط يصلوا بقواربهم الصغيرة إلى خليج «هيروبولس» السويس[10]. إذ نجد أن التجار الذين يبحرون من خليج ايلة تكون الجبال المصرية الممتدة بالاتجاه الجنوبي على يمينهم وتكون الصحراء الممتدة على مسافات شاسعة نحو الشمال على يسارهم[11].

---

(١) W. W. Tarn, Ptolomy 11 and Arabia, JEA, 15, 1929, P9-25. وامبلوني، الثغر الذي كانت التجارة تنتقل منه إلى مصر، راجع: Rostovtzeff. The Social Economic, P. 928.

(٢) ستاركي، النبط ص٦.

(٣) هيلي، المصدر السابق، ص١٣٧.

(٤) المصدر نفسه، ص١٣٧.

(٥) المصدر نفسه، ص١٣٧.

(٦) موسل، المصدر السابق، ص١١٦-١١٨.

(٧) المصدر نفسه، ص٦٥.

(٨) المصدر نفسه، ص١١٦.

(٩) عباس، المصدر السابق، ص٣٣.

(١٠) Kammerer, op. cit.. P 74.

(١١) موسل، المصدر السابق، ص١٢١.

من بضائع الهند والصين كاللؤلؤ والمنسوجات والحرير والعاج وريش النعام، فضلاً عما يرد إليها من بلاد «بنت» الصومال الحالية والسواحل الشرقية لإفريقيا[1].

لقد كانت قوافل التجار كما ذكرت «جاكلين بيرين» تأتي من سبأ ومعين وحضرموت وتتجه نحو البتراء محملة بالتوابل والأفاوية المستوردة من الهند[2].

حيث نجد أن السبئيين والمعينيين كانوا يتنافسون فيما بينهم على السيادة التجارية في الواحات التي تمر بها عبر الطريق التجاري الممتد من جنوب الجزيرة إلى شمالها[3]. فكانت تقيم في كل واحة من الواحات المهمة على طول الطريق التجاري جالية من عرب الجنوب ومعهم حامياتهم العسكرية والجالية كانت تتألف من الأوساط التجارية في تلك الواحات وكان يقيم مع هذه الجالية مقيم من أهل الجنوب يسمى «كبير»[4] ومهمته الإشراف على سلامة التجار والتجارة واستحصال رسوم الحكومة منهم[5].

وقد زودنا «بليني» بمعلومات قيمة تخص نقل البضائع من جنوب الجزيرة العربية إلى غزة احدى الموانئ النبطية، إذ يذكر أن الكندر والبخور كانا يحملان من جنوب الجزيرة الى غزة على ظهر الجمال في خمس وستين مرحلة، وكان يدفع عن كل جمل عائدات كثيرة الى الكهنة، ومساعدي الملك وحرس البضائع وبقية المستخدمين، فكان هناك ثمن للماء والعلف وأجر للمرابط ورسم عن المرور، حيث كانت تكاليف الجمل الواحد تصل حتى وصوله إلى غزة (٦٨٨) درهماً رومانياً[6].

كما كان للأنباط علاقات تجارية مع مدينة جرها الواقعة على الخليج العربي[7]، التي كانت تحتل مركزاً تجارياً لتبادل بضائع شبه الجزيرة العربية[8]، ومركزاً أساسياً لتجارة الهند[9].

وتذكر المصادر أن الأنباط قاموا بعقد اتفاقية مع الجرهيين وتتضمن مد جرها مدينة البتراء بالبهارات والتوابل عن طريق ساحل عُمان[10] مقابل أن يحصل الجرهيون على امتياز خاص من البضائع التي تصل عن طريق البحر المتوسط.

---

(١) البكر، محاضرات في تاريخ العرب، ص٣٨٢.

(٢) بيرين، اكتشاف جزيرة العرب، ص٣٣، ٢٠٧.

(٣) موسل، المصدر السابق، ص١.

(٤) Winnett, F.v, and Keed, W. 1. Ancient Kerocds From Notrh Arabia (Totonto, Toronto vp, 1970). p. 117.

(٥) موسل، المصدر السابق، ص١.

(٦) Murray, Petra, The Rock City, P. 115 أي ما يعادل (٢,٧)كغم من الفضة تقريباً، راجع: رودنسن امكسيم، الإسلام والرأسمالية، تر: نزيه الحكيم، (بيروت، دار الطليعة، ١٩٦٨)، ص٧٠.

(٧) حوراني، المصدر السابق، ص٤٥.

(٨) Rostovtzeff, The Social and Economic, P. 457.

(٩) البكر، محاضرات في تاريخ العرب، ص٣٩٩.

(١٠) المحيسن، البتراء، ص٨٨.

وعند هذا الميناء كان يتفرع طريق إلى غزة[١]، حيث قدرت المسافة بين الميناءين إيلة وغزة بحوالي (٢٢٠كم)[٢]. وفي عهد تراجان نجد أن هذا الميناء نال أهمية كبيرة، حيث قام تراجان بوضع إدارة جمركية فيه، وأعد هذا الميناء من الفُرض المهمة على خليج العقبة بل والبحر الأحمر[٣].

أهمية طرق القوافل:

لقد استطاع الأنباط بفضل سيطرتهم على الطرق التجارية البرية والبحرية التي ذكرناها سابقاً من الحصول على الضرائب مقابل السماح بمرور القوافل المارة ببلادهم والتعهد بحمايتها، مما أدى إلى تحقيق الأرباح الكبيرة[٤]، كما تأتي أهمية الطرق التجارية بأنها الشريان الحيوي لنقل الثقافة من بلد إلى آخر ومن خلالها تنقل الأخبار وما يتجسد من مذاهب وآراء، وكان كل سوق أو محطة تحط بها القوافل ميداناً لتبادل الفكر والمعرفة[٥].

ونتيجة لاهتمام العرب بالتجارة البرية والبحرية تولد عندهم الدافع لمعرفة الكواكب الثابتة الكبرى ومواقع طلوعها وغروبها فاهتدوا بها في ظلمات البر والبحر[٦]. وقد ذكر المؤرخون العرب أنه إذا سألهم سائل عن الطريق المؤدي إلى البلد الفلاني قالوا عليك بالنجم كذا وكذا فيسير السائل في جهته حتى يجد المكان[٧].

كما نجد اهتمام العرب بمعرفة مهاب الريح للاهتداء بها في رحلاتهم لذلك يبدو أنهم وضعوا لها أسماء على الرغم من اختلافهم في عدد جهاتها[٨].

المبحث الثاني: العلاقات التجارية

لقد كانت للأنباط علاقات تجارية مع أبناء عمومتهم في شبه الجزيرة العربية وكذلك مع خارج شبه الجزيرة العربية مع روما وداسيا وبلاد الغال والهند وأفريقيا.

حيث كانت تجارتهم تمتد إلى بلاد اليمن في جنوب الجزيرة العربية والتي كانت تنتج المحاصيل الزراعية كاللبان والعطور والطيب والبخور كما كانت اليمن تتاجر بما يرد إليها

---

(١) Glueck, The Other Side, P. 192

(٢) موسل، المصدر السابق، ١١٧.

(٣) جواد علي، المفصل، ج٧، ص ٢٧٨.

(٤) Glueck, The Other Side. P. 192, 197

(٥) فخري، المصدر السابق، ص ٦.

(٦) كارلو فلينو، علم الفلك عند العرب، (روما، د.ن، ١٩١١)، ص١٠٧.

(٧) كراتشكوفسكي، تاريخ الأدب الجغرافي العربي، تر: صلاح الدين عثمان، ج(١)، (القاهرة، د.ن، ١٩٦٣) ص٤٢-٤٤، وكذا: زيدان، جرجي، تاريخ التمدن الإسلامي، ج(١)، (بيروت، دار مكتبة الحياة، ١٩٦٧)، ص١٥.

(٨) البيروني، الآثار الباقية من القرون الخالية، (لايبزك، بروكهارس، ١٩٢٣)، ص٣٣٦.

كما وسع الأنباط علاقاتهم التجارية مع دولة ميسان[1]. التي كانت تضم جالية من الأنباط[2] وأغلبهم من التجار، فقد كانت هذه الدولة مركزاً تجارياً كبيراً لتصدير بضائعها المحلية كاللؤلؤ والبخور فضلاً عن البضائع التي تأتيها من الهند[3]، حيث حصل تجار ميسان على فوائد بالغة جراء التنافس بين التجار الأنباط واللحيانيين على بضائع الدولة[4].

فقد كان هناك طريق يمتد من خراكس العاصمة الميسانية الى البتراء العاصمة النبطية مخترقاً الصحراء[5] حيث نجد أن الأنباط يسيطرون على هذا الطريق كما كانوا يقومون بوضع مراكز الحراسة على طوال هذا الخط فضلاً عن ذلك أنهم حفروا الآبار وشيدوا الخانات[6] عليه مما أدى إلى حصولهم على مبالغ وأرباح كبيرة جراء السيطرة على هذا الطريق مما دفعهم إلى ضرب العملة باسم الملك النبطي الحارث الثالث[7]. وكانت مدينة فرات[8] مركزاً رئيساً لتحميل البضائع للقوافل النبطية فأصبحوا بذلك المجهزين الرئيسيين للبضائع العربية والهندية للعالم الغربي[9].

ومع أن النقوش النبطية لم تزودنا بمعلومات تفصيلية عن اسفار الأنباط البحرية وكذلك عن العلاقات التجارية التي كانت قائمة بين المملكة ودول غرب البحر الأبيض المتوسط إلا أنه يمكننا أن نستنتج ذلك من خلال ما عثر عليه من كتابات نبطية في تبولي مرفأ روما، ويعود تاريخها إلى سنة (٥م)[10] إذ تشير إلى أن الأنباط كانوا يقومون ببيع بضائعهم ومنتوجاتهم في ايطاليا[11].

كما تشير المصادر إلى أن التجار الأنباط كانوا يحملون آلهتهم على متن السفن التجارية أينما ذهبوا فيقومون بأداء طقوسهم الدينية عند مرورهم بالموانئ الغربية مما يجعلهم

---

(١) وعرفت قديماً باسم خراكس وهي الاسكندرية التي بناها الاسكندر الكبير سنة (٣٢٤ق.م) عند ملتقى نهر كارون Eulae-os بنهر دجلة العوراء (نهر شط العرب الحالي) حيث بُنيت على مرتفع صناعي. لمزيد من التفاصيل، راجع: البكر، الجذورالتاريخية لعروبة الأحواز، ص٢، وكذا Altheim, Finanzgeschichte der Spatantike, P. 317.

(٢) «نودلمان، ش، ميسان»، تر. فؤاد جميل، مجلة الأستاذ، بغداد، المجلد (١٢)، ١٩٦٤، ص٤٥٩.

(٣) Wettgese hixhte, Vol. 11. Berlin, (1964), P. 338.

(٤) نودلمان، المصدر السابق، ص٤٥٩.

(٥) البكر، الجذور التاريخية لعروبة الأحواز، ص٢٠.

(٦) نودلمان، المصدر السابق، ص٤٥٩.

(٧) البكر، دراسات في تاريخ العرب، ص٤٠٧.

(٨) وهي مدينة البصرة الحالية، راجع ALTHEIMKOP. CIT. (1957) P. 34. وتقع هذه المدينة على بعد (١١) ميلاً إلى الجنوب من العاصمة خراكس وعلى نهر دجلة العوراء، راجع Hansman, J, Charak and the Karkhel Iran-ica Artiva Vol. v11, (Leiden, 1967), P. 46-47.

(٩) البكر، دراسات في تاريخ العرب، ٤٠٧.

(١٠) Glueck, The Other Side, P. 196.

(١١) ستاركي، النبط، ص٧.

يشعرون بالأمان عند ابتعادهم عن موطنهم[1]، كما اعتاد التجار الأنباط وبعد تفريغ حمولتهم وبضائعهم في تبولي أن يقوموا بزيارة معابدهم وتقديم الشكر للآلهة لوصولهم بأمان وسلام كما يطلبون منها أن تمدهم بالرياح المناسبة التي تعينهم على الوصول إلى بلادهم آمنين[2].

وهذه الأعمال ما هي إلا دليل واضح على الصلة الوثيقة والارتباط القوي بدينهم وبآلهتهم، كما نجد أن للأنباط علاقات تجارية مع «مليتوس» وجزيرة «كوس» على بحر إيجه «ورودس» التي وجد فيها عدة معابد كما وجد العديد من النقوش والوثائق في دلتا النيل الشرقية ومصر العليا[3]، مما يشير إلى ما وصل إليه الأنباط من نشاط تجاري بحري مع تلك المناطق.

ونفترض أن منتوجات وبضائع الجزيرة العربية عندما تصل إلى بلاد الأنباط كانوا يستخدمون جزءاً منها، والفائض عن الحاجة يقومون بتصديره إلى باقي المناطق، فقد كانت هذه البضائع تتكون من المرّ والتوابل والبخور الذي كانت له تجارة رائجة في عالم المتوسط في ذلك الوقت[4].

ويشير فيليب حتي[5] إلى أن المبادلات التجارية بلغت ذروتها في زمن الحكم الروماني حيث كانت مدن القوافل كالبتراء وجرش وبصرى وتدمر مراكز تجارية مزدهرة، وصارت هذه المدن مراكز مهمةً لتصدير المرّ والبخور القادم من جنوب الجزيرة العربية والتوابل والجواهر من الهند والحرير من الصين مقابل ما يأتي إلى البلاد من خزف يوناني وايطالي[6].

أما ما كان يصدره الأنباط من منتوجاتهم فهو المعادن بأنواعها، فضلاً عن الزيوت كزيت السمسم والزيتون وكذلك القار الذي يستخرج بكميات كبيرة من البحر الميت حيث يصدر إلى مصر لأجل التحنيط[7] كما كانوا يصدرون الملح أيضاً.

---

(١) Glllueck, Rivers in the desert, P. 196.

(٢) Ibid, P. 197.

(٣) موسكاتي، المصدر السابق، ص٢٠٣.

(٤) Kammerer, op. cit. P33.

(٥) فيليب حتي، تاريخ سوريا، ص٣٣٠.

(٦) فيليب حتي، تاريخ سوريا، ص٤٢٥.

(٧) زيدان، تاريخ العرب، ص٩٠.

المبحث الثالث: السلع

حرص التجار الأنباط على عودة قوافلهم وهي محملة بكل ما تجده في أسواق الشام من بضائع ومصنوعات محلية أو مجلوبة من مصر والعراق ومختلف بلاد حوض البحر الأبيض المتوسط، كما حرص التجار الأنباط على استيراد مختلف البضائع القادمة من جنوب الجزيرة العربية وأفريقيا وبلاد شرق آسيا.

ومن أهم السلع التي كان الأنباط يستوردونها من مختلف بقاع العالم، اللبان والكندر والبخور والمرّ والكافور والطيب والقرفة والقرنفل واللؤلؤ والأخشاب والحرير والخزف والعطور والعاج وريش النعام.

وسوف أقوم باستعراض أهمية كل سلعة من هذه السلع، وكذلك البلد المصدّر لها.

أما أهم السلع التي كان يصدرها الأنباط فكانت القار وبعض أنواع الفخار والأملاح والمعادن والزيوت والنبيذ والبلسم.

❖ اللبان:

وهو الاسم العربي الجنوبي للكندر[1] واسمه اليوناني (Libunoto Phoros) وكلمة (لبنى) يمكن أن تنطق «لباني» أو «لبانى» أو «لباناى» لأن اللغة العربية الجنوبية القديمة لا توجد فيها حروف متحركة[2].

واللبان ضرب من الصمغ يصنع من عصير جملة أنواع من الشجيرات[3]، وهو من بضائع الجزيرة العربية، إذ كان العبرانيون يستوردونه من سبأ[4] كما كان من ضمن ما يستورده السلوقيون، فقد كانوا يستخدمونه في العبادة فكان يحرق على كل مذبح في العالم الهلنستي كما هو الحال في العالم المسيحي[5]. وقد أدت تلك الطقوس إلى ارتفاع أسعاره[6].

❖ البخور:

وهي مادة تستعمل في المعابد بكثرة، كما كان يستعمل في تحنيط الموتى حيث استورده المصريون بكميات كبيرة[7].

---

(١) الكندر: كلمة مأخوذة من أصل عجمي Gyndyry وهو من الألفاظ السنسكريتية راجع جواد علي، المفصل ج(٧). ص٢٤٠.

(٢) مهران، المصدر السابق، ص٢٨٠.

(٣) جواد علي، المفصل، ج٧، ص٢٣٩.

(٤) المصدر نفسه، ص٢٤٠.

(٥) فيليب حتي، تاريخ سوريا، ص٣٠٠.

(٦) مهران، المصدر السابق، ص٢٨٠.

(٧) جواد علي، المفصل، ج٧، ص٢٣٧.

ومن البخور نوع يعرف (بالقسط) وهو من أصل هندي، استعمل في الدواء، وهناك نوع منه عربي، (فقسط ظفار) الذي ذكره جواد علي هو ضرب من الطيب وقيل من العود وإن قسط ظفار هذا نسبةً إلى ظفار قرب مرباط بالعربية الجنوبية وهي تعرف بظفار الساحل التي ينسب إليها العود[١] الذي يستعمل في المعابد، وكان يستورد غالباً من الهند[٢].

♦ المرّ:

وهو «أمرر» في لغة المسند[٣]، وفي تاج العروس المرّ كالصبر دواء سمي به لمرارته[٤] وهو من المواد الثمينة والغالية في قائمة المنتجات العربية فقد كان يكثر في مناطق جنوب الجزيرة العربية ولا سيما في مملكة أوسان، كما جاء ذكره في النقوش السبئية[٥].

♦ الكافور:

وهو طيب أو أخلاط من الطيب تركب من كافور الطلع، وقيل يكون من شجر بجبال بحر الهند في الصين[٦] وقد جاء ذكره في القرآن الكريم «إن الأبرار يشربون من كأس كأن مزاجها كافورا»[٧] وهذا دلالة على معرفة العرب له.

♦ الطيب:

وهو من «طب» في لغة المسند[٨]، ويستخرج من أنواع متعددة من الأشجار، وقد كان الطيب من أهم المواد التي تاجر بها العرب الجنوبيون. حيث كان يصدر من الجزيرة العربية إلى بلاد الشام ومصر والعراق، كما كان يتاجر به داخل الجزيرة العربية، وكان بعض الطيب يجلب من الهند وأفريقيا[٩].

---

(١) التاج، ج(٥)، ص٢٠٥.
(٢) جواد علي، المفصل ج(٧) ص٢٣٧.
(٣) جواد علي، المفصل ج(٧) ص٢٣٨.
(٤) التاج، ج (٣)، ص٥٣٨.
(٥) Grohman, op. cit. P9.
(٦) التاج، ج (٣)، ص٥٢٧.
(٧) سورة الإنسان، آية ٥.
(٨) جواد علي، المفصل، ج(٧)، ص٢٣٧.
(٩) المصدر نفسه، ص٢٣٧.

ومن أنواع الطيب المسك[١]. الذي جاء ذكره في القرآن الكريم[٢]، وهو من الأنواع التي تباع بأسعار مرتفعة، وقد استعمل المسك في الطيب[٣].

ومن أنواع الطيب أيضاً العنبر الذي كان يجلب من شجر عُمان[٤].

◆ القرفة:

وهو ضرب من الدار الصيني، وهو على أنواع، منه (الدار صيني) ومنه المعروف بـ (قرفة القرنفل)[٥]، وكانت القرفة من محاصيل الهند التي لها تقدير كبير حيث تعد من المواد الثمينة[٦]، حيث يستخدم قشرها كما يستخدم دهنها الحاصل من ثمرها في بعض الأحيان[٧].

◆ القرنفل:

من المواد المستوردة من الهند وما وراءها[٨]. وقد استعمل طيباً، كما استعمل علاجاً في الطب، والأكل أيضاً[٩].

◆ اللؤلؤ:

كان يؤتى به من الخليج العربي وله قيمة عالية في التجارة حيث يستعمل لأجل الزينة[١٠].

ومن جملة السلع التي تصدر إلى مملكة الأنباط من البلاد والمناطق كان ما يلي:

خشب الصندل والساج والأبنوس ربما من (باريايكون) الهندية[١١]، وكذلك الحرير الصيني من الصين، وكان يصدر أيضاً من بلاد ميسان[١٢]، كما كان يصدر الحرير الأرجواني من بلاد

---

(١) المصدر نفسه، ص٢٣٨.

(٢) سورة المطففين: آية ٢٦.

(٣) التاج، ج(٧)، ص١٧٦.

(٤) التاج، ج(٣)، ص١٢٦.

(٥) التاج، ج(٦)، ص٢١٩.

(٦) فيليب حتي، تاريخ سوريا، ص٣٠٠.

(٧) جواد علي، المفصل، ج٧، ص٢٣٨.

(٨) المصدر نفسه، ص٢٣٩.

(٩) التاج، ج(٨)، ص٧٩.

(١٠) فيليب حتي، تاريخ سوريا، ص٤٢٥.

(١١) البكر، الجذور التاريخية لعروبة الأحواز، ص٢٢.

(١٢) المصدر نفسه، ص٢٢.

فينيقيا[1]، والخزف من روما[2]، والعطور والأخشاب وريش النعام والعاج من شواطئ أفريقيا الشرقية[3].

وقد توفرت في المملكة النبطية العديد من السلع التي كان الأنباط يقومون بتصديرها إلى الخارج والتي من أهمها:

القار:

ويظهر أن هذه السلعة كانت متوفرة بكميات كبيرة عند الأنباط، حيث تتراوح نسبة ما يستخرجه الأنباط من القار من البحر الميت بحوالي عشرة آلاف إلى ثلاثين ألف قدم مكعب في السنة[4]. ونجد أن هذه السلعة نالت أهمية كبرى في دول العالم القديم، حيث نجدها قد دخلت من ضمن الطقوس الدينية كما دخلت في صناعة بعض المصنوعات فاستعملت في صناعة المجوهرات التقليدية وفي تلوين المعادن، كما كانت عنصراً مهماً في طلي السفن لمنع الماء من التسرب والدخول فيها[5]. هذا وقد أقبل المصريون على هذه السلعة واستوردوها من المملكة النبطية لاستخدامها في تحنيط الموتى، كذلك كان اعتقادهم أنها تطرد العدو من القبر عندما يتم وضعها مع المومياء[6].

الفخار:

يعد الفخار من السلع التي كان الأنباط يتاجرون بها، حيث وجدت العديد من القطع الفخارية في مناطق لم تكن تابعة لسيطرة الأنباط السياسية، حيث انتشر الفخار النبطي في مدينة غزة ومادبا ثم الجوف وحائل وكذلك مدينة الحجر ومنطق السويس ومنها الى البحر المتوسط[7]. مما يشير إلى أن الأنباط كانوا يصدرون هذه السلعة الى خارج بلادهم، ويبدو أن الإقبال على هذه السلعة كان كبيراً لما تتمتع به من رقة ودقة في الصنع والنعومة والألوان الزاهية وجمال الزخارف[8].

---

(١) نولدمان، المصدر السابق، ص٤٦٠.

(٢) صالح العلي، المصدر السابق، ص٤٣.

(٣) زيدان، تاريخ العرب، ص١٧٩.

(٤) Dioorus, op. cit. xlx, 95.

(٥) عباس، المصدر السابق، ص١١٠.

(٦) المصدر نفسه، ص١١٠ وكذا المحيسن، البتراء، ص٣٢.

(٧) المصدر نفسه، ص٩٠.

(٨) Khairy, N. Technical Aspects of Jine Nabataean ware, Basor 250 (1983), pp. 17-40.

الملح:

يشير المؤرخ يوسف فلافيوس إلى أن الملح كان يصدر من مملكة الأنباط إلى فلسطين(١)، ويبدو أن الأنباط كانوا يستخرجون هذه المادة من مياه البحر الميت عندما يتبخر الجزء الجنوبي من البحر(٢).

المعادن:

كما اشتهرت مملكة الأنباط بوجود مناجم النحاس والحديد في بعض المناطق التابعة لها(٣)، الأمر الذي جعلهم يقومون بتصديره إلى خارج بلادهم، بعد أن تتم عملية تصنيعه(٤).

الزيوت:

يشير الجغرافي سترابو إلى أن الأنباط كانوا يصدرون زيت السمسم(٥)، مما يشير إلى انتشار زراعته في أرجاء المملكة النبطية.

كما وجد العديد من معاصر الزيتون(٦) التي تدل على اشتهار وانتشار هذه الشجرة بكثرة عند الأنباط، وربما كان الأنباط يصدرون زيتها إلى الخارج.

النبيذ:

لقد تم الكشف مؤخراً عن معاصر العنب والرمان في المملكة النبطية(٧)، ونفترض هنا أن نبيذ العنب والرمان كان يصدر إلى روما، لأن الإقبال على هذه السلعة من قبل الرومان كان كبيراً في ذلك الوقت(٨).

---

(١) Josephus, Jlaviuus, Wars of the Jews (J. W), P48.

(٢) موسل، المصدر السابق، ص٢١.

(٣) Rostovzeff, Caravan Cities, P. 28.

(٤) فيليب حتي، تاريخ سوريا، ص٢٠.

(٥) Strabo, XVT, ch, 4, P. 26.

(٦) أنظر، ص٩١ من هذه الدراسة.

(٧) أنظر، ص٨٩-٩٠ من هذه الدراسة.

(٨) فيليب حتي، تاريخ سوريا، ص٣٢٩.

البلسم:

نالت شجرة البلسم أهمية كبيرة، فقد استعملت أوراقها عقاراً في القضاء على الأمراض، مما دفع «جالينوس» إلى الاهتمام بها[١]. ويبدو أن هذه الشجرة لم تكن موجودة عند الرومان ويؤيد ذلك أن جستنيان بعد غزوه لفلسطين وانتصاره على أهلها قام بحملها إلى روما[٢]، وهنا نفترض أنها كانت من ضمن ما يصدره الأنباط إلى العالم الغربي.

المبحث الرابع: المعاملات التجارية:

لم تزودنا النقوش النبطية بمعلومات تفصيلية لنصوص تجارية نستطيع من خلالها أن نتعرف على طبيعة المعاملات التي كانت سائدة عند الأنباط في تجارتهم، إلا أنه وجد عدد من البرديات وهي عبارة عن صكوك خاصة ببيع لمزارع النخيل، وتأجير وغيرها، ونستطيع من خلالها أن نفترض أن الأنباط كانوا يتعاملون في تجارتهم ومعاملتهم بالصكوك.

فبالقرب من البحر الميت وتحديداً في منطقة (كهف الرسائل) عُثر على عدد من البرديات مكتوبة باللغة النبطية والأرامية والاغريقية وهي مؤرخة سنة (٩٣-١٣٢م) وهذه البرديات تنسب الى امرأة تسمى «بابتا»، ومحتوى هذه البرديات يتضمن بيع مزارع النخيل وصكوك ملكية أراضي وكذلك مبالغ البيع والشراء بالعملة النبطية كما تتضمن عمليات رهن وبيع، فضلاً عن ذلك أنها توضح حقوق المشتري بالأراضي المشتراه من بيع أو رهن أو نقل ملكية إلى شخص آخر[٣].

كما وجد مثيل لهذه البرديات في منطقة (خربة مرد) بالقرب من البحر الميت وتتضمن عقوداً لبيع بستان وتأجير دكاكين وهذه البرديات كتبت بالخط النبطي[٤].

وأهم ما يميز هذه الصكوك أنها موقعة رسمياً من قبل صاحب الصك وكذلك من قبل الشهود ومكتب العقود الملكي[٥]، وكانت جميع هذه الصكوك تنتهي بجملة جزائية وهي فرض غرامة مالية من قبل البائع والمالك في حالة عدم التزام المشتري بما دون الصك[٦].

---

(١) عباس، المصدر السابق، ص١١١.

(٢) أنظر، ص٩٠ من هذه الدراسة.

(٣) Starcky, J. vn contrat Nabateenne sur papyrus in RB 61. (1954) 161, P. 180.

(٤) Yadin, Y, Expedition D - The cave of the Letters in IEJ 12/3-4 (1962) P. 235.

(٥) Yadin, op. cit. P. 238-241.

(٦) Ibid 238-241.

ومن دراستنا لهذه البرديات تعرفنا على أن الأنباط كانوا يتعاملون في بيعهم وشرائهم بالعملة وليس المقايضة. وهذا لا ينفي أنهم تعاملوا بهذا النوع من المعاملات، إذ ما زالت هذه الطريقة قائمة ومعروفة تتبعها الأمم في تصريف منتجاتها بمنتوجات أخرى عوضاً عن النقد لحاجتها إليه ولتصريف حاصلاتها الفائضة عليها[١].

ويبدو أن الأنباط لم يستعملوا العملة الأجنبية في مملكتهم كما وجد عند أهل ميسان الذين استعملوا عملة غيرهم لغرض تسهيل العملية التجارية التي تلائم مركزهم التجاري[٢] الدولي. ولكن الأنباط على ما يظهر كانوا يعتزون بعملتهم ولا يقبلون في البيع والشراء إلا العملة النبطية مما يدل على القيمة العليا لهذه العملة أمام العمل الأخرى المستخدمة في المنطقة.

كما زودتنا نقوش الحجر بألفاظ ومصطلحات لها صلة بالتجارة وبعض المعاملات الاقتصادية التي كانت سائدة آنذاك مثل: البيع «يزبن» الشراء «يزبن»، البيع بالعربون «يمسكن»، التأجير «يوجر» القرض بأجل «يآنا»، القرض «يسأل»، الرهن «يرهن»، الهبة «يهب»[٣]، ونجد أن في اللهجات العربية ألفاظاً ومصطلحات كثيرة لها صلة بالتجارة والتعامل التجاري، وهي من اللغات العالمية الغنية في هذه المادة، ومثال ذلك المرسوم الملكي الذي أصدره ملك قتبان «شهر هلل بن يدع اب» الخاص بتنظيم التجارة وكيفية الاتجار، إذ ورد في النص جملة من المصطلحات التي لها معان تجارية مثل: «يشط» أي «يتاجر»، و«يعرب» بمعنى يقدم «عربوناً»[٤].

ويلاحظ بصورة عامة أن اللهجات السامية غنية بالألفاظ المستعملة في البيع والشراء والتجارة وفيها مترادفات كثيرة في هذا الباب، مما يدل على حذق الساميين عموماً بالتجارة وافتتانهم بها من جهة، وعلى وجود عقلية تجارية لديهم من جهة أخرى[٥]. ويؤكد ذلك التاريخ حيث نرى أن الساميين هم أنشط من غيرهم في تنقلهم من مكان إلى آخر طمعاً في

---

(١) جواد علي، المفصل، ج(٧)، ص٢٢٩-٢٣٠.
(٢) البكر، الجذور التاريخية لعروبة الأحواز، ص١٧-١٨ وكذا نولدمان، المصدر السابق، ص٤٥١.
(٣) الفاسي، المصدر السابق، ص٣٢١-٣٢٥.
(٤) جواد علي، المفصل، ج(٧)، ص٢٣١.
(٥) المصدر نفسه، ص٢٢٨.

الربح وسعياً وراء التجارة، وهم أحذق الناس في التحكم في الأسعار والتعامل والبيع والشراء(١).

ويشير الجغرافي سترابو إلى أن الأنباط كانت عندهم المحاكم القضائية(٢) كما يذكر أن الأنباط لم يرفعوا على بعضهم البعض الدعاوى أو القضايا التي تستدعي المحاكم(٣)، فلا بد إذاً أن تكون هذه المحاكم خاصة بقضايا التجارة وهذا يدل على التطور التجاري في هذه الدولة العربية.

وخلاصة القول أن استمرارية مملكة الأنباط وتطورها يرتبط تماماً بالتجارة وهذا ما تؤكده الأحداث التي جرت ضمن مسيرة تطورها التاريخي والحضاري فعندما قام الامبراطور تراجان سنة (١٠٦) بمهاجمة مملكة الأنباط نجد أن أهلها قاوموا حملته الأمر الذي دفعه لتحويل خط سير الطريق التجاري المار من العاصمة البتراء إلى مدينة بصرى، وجعل البتراء ضمن الولاية العربية Provincia Arabia وبهذه الحركة من قبل الامبراطور الروماني نلاحظ الانهيار السريع لمملكة الأنباط.

وهذا يشير إلى أن اقتصاد الأنباط كان يعتمد بشكل مباشر على التجارة ولم تستطع الزراعة والصناعة على الرغم من تطورهما في المملكة إنقاذ الاقتصاد النبطي من الانهيار.

---

(١) جواد علي، المفصل، ج(٧)، ص٢٢٨.

(٢) Strabo, op. cit. 16, 21.

(٣) Ibid 16, 21.

الخاتمـــة



بعد هذا العرض المتواضع للأحوال الاجتماعية والاقتصادية لمملكة الأنباط نتبين ما يلي:

- قسم الأنباط دولتهم إلى مقاطعات كما فعل أهل جرها وأهل ميسان وغيرها من الممالك أو المقاطعات العربية التي كانت معاصرة أو سابقة لمملكة الأنباط.
- للأنباط نفس عادات القبائل العربية من حيث الزواج والطلاق والاحتفالات وكذلك عادة الختان.
- من مظاهر اهتمام الأنباط بالطهارة وجود الأحواض المائية الكبيرة الخاصة بالاغتسال المنتشرة في معابدهم على غرار ما هو موجود في معابد القبائل العربية قبل الإسلام.
- ظهر تأثير العالم الهلنستي واضحاً ببعض الجوانب الفنية عند الأنباط زمن الملك الحارث الثالث لا سيما في الألعاب الرياضية والبناء والملابس وما تركوه من فخار مما يدل على مرونة وقابلية العقل العربي للتأثر والتأثير.
- من الملاحظ أن للأنباط شعور قومي واضح تجلى في مقاومتهم للاحتلال اليوناني لعاصمتهم البتراء إضافة إلى تمسكهم وارتباطهم القوي بالإله ذي الشرى والحج إليه.
- برع الأنباط بالزراعة واستصلاح الأراضي وهندسة الري، لا سيما ما خلفوه لنا من بناء السدود وخزانات المياه والصهاريج والقنوات التي صنعوها من الفخار، حيث ذكر المؤرخون أن الأنباط استطاعوا أن يغزوا الصحراء ويحولوا أجزاء منها إلى أراضي صالحة للزراعة ومثال ذلك صحراء النقب.
- وجدنا من خلال دراستنا لحضارة الأنباط أنهم أبدعوا في مختلف الصناعات ولكنهم تميزوا في صناعة الفخار ذي الألوان الزاهية والقشرة الرقيقة، كما تفننوا

في وسائل التعدين لاستخراج الحديد والنحاس وجمع الملح والقار من مياه البحر الميت.

❖ تميز الأنباط كغيرهم من أبناء عمومتهم في السيطرة على التجارة القادمة من جنوب شبه الجزيرة العربية وسواحل البحر الأبيض المتوسط، وكانوا يدافعون بمهارة فائقة عن استقلالهم الاقتصادي، وهذا واضح من اثار القلاع والحصون المنتشرة على طول الطريق التجاري لا سيما ما يأتي ضمن حدود مملكتهم.

❖ أظهرت التنقيبات الأخيرة التي قام بها الدكتور زيدون المحيسن (١٩٩٧) في منطقة "حيان المشرف" القريبة من مدينة (المفرق الحالية) على الاستقرار النبطي في المنطقة، الذي تمثل بوجود العديد من النقوش إضافة إلى الفخار النبطي المتميز بألوانه الزاهية، كما عُثر على عدد من العملات مما يعزز اتساع مناطق الاستقرار النبطي في المنطقة.

المصادر والمراجع



المصادر العربية:

- القرآن الكريم.
- الكتاب المقدس، (العهد القديم والجديد).

- الآلوسي، السيد محمود شكري الآلوسي البغدادي، بلوغ الإرب في معرفة أحوال العرب، شرح وتصميم، محمد بهجه، ط(٣)، ج٢، (مصر، دار الكتاب، ١٣٤٢هـ).

- ابن حبيب، أبو جعفر محمد بن حبيب البغدادي، المحبر، تح: د. ايلزة شتيتر (الهند، د. ن، ١٩٦١).

- ابن قطرب، أبو علي محمد بن المستنير بن أحمد، كتاب الأزمنة وتلبية الجاهلية، تح: جميل حداد، (الزرقاء، مكتبة المنار، ١٩٨٥).

- ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم، لسان العرب، (بيروت، دار صادر، ١٩٥٥).

- ابن هشام، أبو محمد عبدالملك المعافري، السيرة النبوية، تح: مصطفى السقا وآخرون، ط(٢)، ج(٢)، (القاهرة، د.م، ١٩٥٥).

- الازرقي، أبو الوليد محمد عبدالله، أخبار مكة وما جاء فيها من آثار، تح: رشدي الصالح ملحس، ط(١)، ج(١)، (مكة المكرمة، مطابع دار الثقافة، ١٩٦٥).

- الأفغاني، سعيد، أسواق العرب في الجاهلية والإسلام، (بيروت، دار الفكر، ١٩٦٠).

- اوليري، دي لا سي، جزيرة العرب قبل البعثة، تر: موسى الغول، ط١، (عمان، وزارة الثقافة، ١٩٩٠).

- باقر، طه، مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة (في التاريخ العراقي القديم)، ط(٢)، ج١، (بغداد، جامعة بغداد، ١٩٥٥).

- بروكلمان، تاريخ الشعوب الإسلامية، تع: نبيه فارس ومنير البعلبكي، (بيروت، دار العلم

للملايين ١٩٦٥).

- البكر، منذر، محاضرات في تاريخ العرب قبل الإسلام، (البصرة، جامعة البصرة، ١٩٧١).

- الجذور التاريخية لعروبة الأحواز قبل الإسلام، (البصرة، مطبعة جامعة البصرة، ١٩٨١).

- دراسات في تاريخ العرب قبل الإسلام، (البصرة، جامعة البصرة، ١٩٩٣).

- البكري، أبو عبيد الله، عبدالله بن عبدالعزيز، معجم ما استعجم، تح: مصطفى السقا، ج(١)، (بيروت، عالم الكتب، ١٩٤٥).

- بلاشير، د. ر، تاريخ الأدب العربي، تر: إبراهيم الكيلاني، ط(٢)، (دمشق، دار الفكر، ١٩٨٤).

- البيروني، أبو الريحان محمد بن أحمد الخوارزمي البيروني، الاثار الباقية عن القرون الخالية، (لا يبزك، بروكهارس، ١٩٢٣).

- جروهمن، الناحية الأثرية لبلاد العرب الجنوبية من كتاب التاريخ العربي القديم، نلسن ديتلف، تر: فؤاد حسنين، (القاهرة، مكتبة النهضة المصرية، ١٩٥٩).

- جواد، علي، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ط(١)، (بيروت، دار العلم للملايين، ١٩٧١).

- تاريخ العرب قبل الإسلام، (بغداد، الرابطة للطبع والنشر، ١٩٥٣).

- حتي، فيليب، تاريخ العرب، (بيروت، دار غندور للطباعة والنشر والتوزيع، ١٩٨٦).

- تاريخ سوريا ولبنان وفلسطين، ج(١)، تر: جواد حداد، (بيروت، دار الثقافة، ١٩٥٨).

- الحمد، جواد مطر رحمة، الديانة اليمنية ومعابدها قبل الإسلام، دراسة تاريخية في



الميثولوجيا والمعتقدات الدينية العربية في اليمن القديم، رسالة ماجستير غير منشورة، (البصرة، جامعة البصرة، ١٩٨٩).

- الحموي، الامام شهاب الدين أبو عبدالله ياقوت بن عبدالله الحموي الرومي البغدادي، معجم البلدان، (بيروت، دار إحياء التراث العربي، ١٩٧٩).

- الحوت، محمود سليم، في طريق الميثولوجيا عند العرب، (بيروت، د.ن، ١٩٥٥).

- حوراني، جوراج فضلو، العرب والملاحة في المحيط الهندي، تر: يعقوب بكر، (القاهرة، د.ن، ١٩٥٨).

- الحوفي، أحمد محمد، الحياة العربية من الشعر الجاهلي، ط(٤)، (القاهرة، مكتبة نهضة مصر، ١٩٦٢).

- خليف، يوسف، الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي، ط(٢) (القاهرة، دار المعارف، ١٩٦٦).

- خليل، أحمد خليل، مضمون الاسطورة في الفكر العربي، (بيروت، دار الطليعة، ١٩٧٣).

- خوري، لمياء، المنحوتات الحجرية النبطية في البتراء، رسالة ماجستير غير منشورة (جامعة اليرموك، ١٩٩٠).

- الدباغ، تقي الدين، الفكر الديني القديم، ط(١)، (بغداد، د.ن، ١٩٩٢).

- ديسو، رينيه، العرب في سوريا قبل الإسلام، تر: عبدالحميد الدوخلي، مراجعة، محمد زيادة (القاهرة مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، ١٩٥٩).

- رستم، أسد، تاريخ اليونان من فيليبوس المقدوني إلى الفتح الروماني، (بيروت، الجامعة اللبنانية، ١٩٦٩).

- رستوفتزف، تاريخ الامبراطورية الرومانية، تر: زكي علي، (القاهرة د.ن، ١٩٥٧).

- رودنسن، امكسيم، الإسلام والرأسمالية، تر: نزيه الحكيم، (بيروت، دار الطليعة، ١٩٦٨).

- رودو كناكيس، الفصل الثالث من تاريخ العرب القديم، نلسن ديتلف، تر: فؤاد حسنين، (القاهرة، مكتبة النهضة المصرية، ١٩٥٩).

- الروسان، محمود محمد، القبائل الثمودية والصفوية، دراسة مقارنة، (الرياض، جامعة الملك سعود، عمادة شؤون المكتبات، ١٩٨٧).

- الزبيدي، محمود محمد، القبائل الثمودية والصفوية، دراسة مقارنة، (الرياض، جامعة الملك سعود، عمادة شؤون المكتبات، ١٩٨٧).

- الزبيدي، محمد مرتضى الحسيني، تاج العروس من جواهر القاموس، (الكويت، وزارة الاعلام، ١٩٦٩).

- زغلول، سعد، تاريخ العرب قبل الإسلام، (بيروت، دار النهضة للنشر، ١٩٧٦).

- زيدان جرجي، العرب قبل الاسلام، مراجعة: حسين مؤنس، (جامعة القاهرة، دار الهلال).

- تاريخ التمدن الإسلامي، ج(١)، (بيروت، دار مكة، الحياة، ١٩٦٧).

- سوسة، أحمد، العرب واليهود في التاريخ، (بغداد، مطبعة دار الحرية، ١٩٧٣).

- الطبري، أبو علي الفضل بن الحسن، مجمع البيان، ج(١)، (بيروت، دار الزهراء، ١٩٨٠).

- الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الرسل والملوك، ط(٢)، ج١، (القاهرة، دار المعارف، ١٩٦٦).

- عاقل، نبيه، تاريخ العرب قبل الإسلام والعصور الاسلامية، ط(٣)، (بيروت، دار الفكر، ١٩٧٥).

- عباس، إحسان، تاريخ دولة الأنباط، ط(١)، عمان، دار الشروق، ١٩٨٧).

- العتوم، علي، قضايا الشعر الجاهلي، (د.ن، د.م، ١٩٨٢).

- العسقلاني، شهاب الدين أبو الفضل أحمد علي بن حجر، الإصابة في تمييز الصحابة، ط(١)، ج(١)، (مصر، مطبعة، السعادة، ١٣٢٨هـ).

- عصفور، محمد أبو المحاسن، معالم حضارات الشرق الأدنى القديم، ط(٢)، (بيروت، دار النهضة العربية، ١٩٨١).

- العلي، صالح، محاضرات في تاريخ العرب، ج(١)، (بغداد، مطبعة المعارف ١٩٥٥).

- علي، عبداللطيف أحمد، مصادر التاريخ الروماني، (القاهرة، د.ن، ١٩٦٤).

- الفاسي، هتون جواد، الحياة الاجتماعية في شمال غرب الجزيرة العربية في الفترة ما بين القرن السادس قبل الميلاد إلى القرن الثاني ميلادي، ط(١)، (الرياض، د.ن، ١٩٩٤).

- كارلوفلينو، علم الفلك عند العرب، (روما، د.ن، ١٩١١).

- كراتشكوفسكي، تاريخ الأدب الجغرافي العربي، تر: صلاح الدين عثمان، ج(١)، (القاهرة، د.ن، ١٩٦٣).

- الكلبي، أبو المنذر هشام بن محمد بن السائب، كتاب الاصنام، تح: أحمد زكي، (القاهرة، د.ن، ١٩٦٥).

- م.ب. بيوتروفسكي، اليمن قبل الإسلام والقرون الأولى للهجرة، تع: محمد الشعبي، ط(١)، (بيروت، دار العودة، ١٩٨٧).

- المحيسن، زيدون، البتراء مدينة العرب الخالدة، (عمان، وزارة الشباب، ١٩٩٦).

- المرصفي، سيد بن علي، رغبة الأمل من كتاب الكامل، ج(٦)، (مصر، مطبعة النهضة).

- مهران، محمد بيومي، تاريخ العرب القديم، ط(١١)، ج(١)، (الاسكندرية، دار المعرفة الجامعية، ١٩٩٤).

- موسكاتي، سبتينو، الحضارات السامية القديمة، تر: السيد يعقوب بكرر (لندن، د، ن، ١٩٥٧).

- موسل، أ، شمال الحجاز، تر: عبدالمحسن الحسيني، (الاسكندرية، مؤسسة الثقافة الجامعية، ١٩٨٨).

- النعيم، نوره، الوضع الاقتصادي في الجزيرة العربية في الفترة بين القرن الثالث قبل الميلاد وحتى القرن الثالث ميلادي، (الرياض، دار الشواف للطباعة والنشر، ١٤١٢هـ).

- النويري، شهاب الدين أحمد بن عبدالوهاب، نهاية الإرب، ج(٤)، (القاهرة، مطبعة كوستا توماس).

- نينا فكتور فنا بيفوليفكيا، العرب على حدود بيزنطة وإيران من القرن الرابع إلى القرن السادس الميلادي، تر: صلاح الدين عثمان، (الكويت، د. ن، ١٩٤٦).

- هـ، موس، ميلاد العصور الوسطى، تر: عبدالعزيز توفيق، (القاهرة، د.ن، ١٩٦٧).

- هاردنج، لانكستر، آثار الأردن، تر: سليمان موسى، ط(٣) (عمان، وزارة السياحة، ١٩٨٢).

- الهاشمي، رضا جواد، اثار الخليج العربي والجزيرة العربية، (بغداد، جامعة بغداد، ١٩٨٤).

- نظام العائلة في العهد البابلي القديم، (البصرة، جامعة البصرة، ١٩٧٠).

- ولفنسون، إسرائيل، تاريخ اللغات السامية، ط(١)، (بيروت، دارالقلم، ١٩٨٠).

- اليعقوبي، أحمد بن أبي اليعقوب، تاريخ اليعقوبي، ج(١)، النجف، ١٩٦٤).

الدوريات العربية:

- إيفنارى وكولر، "أساطين الصحراء"، تر: عبدالكريم الخضيري، مجلة الزراعة العراقية، بغداد، ١٩٥٦.

- الأنصاري، عبدالرحمن الطيب، "البتراء ومدن القوافل"، دائرة الآثار العامة، عمان، ١٩٩٠.

- البراهيم، محمد، "تقرير مبدئي عن نتائج حفريات الحجر"، مجلة أطلال، الرياض، ع(١١)، ١٩٨٨، ص٥٧-٦٨.

- البكر، منذر، "العرب والتجارة الدولية منذ أقدم العصور إلى نهاية العصر الروماني". مجلة المريد، بغداد، ع(٤)، ١٩٧٠، ص٤٨-٥١.

-إيمبولس الكاتب العربي الطوبائي "مجلة المورد، بغداد، مج(١)، ع(١)، ١٩٧١، ص٩-١٢.

- "اليمامة وجرها في عصور ما قبل الاسلام"، مجلة كلية التربية، جامعة البصرة، ع(٣) ن ١٩٨٠، ص١١٥-١١٨.

- "في الميثولوجيا العربية الشمس في عبادة العرب قبل الاسلام"، مجلة كلية التربية، البصرة، جامعة البصرة، ع(٤)، ١٩٨١، ص١٠٩-١١٩.

- الدايل، خالد عبدالعزيز، "التقرير الحقلي عن حفريات دومة الجندل في موسم ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م"، مجلة أطلال، حولية دائرة الآثار السعودية، ع(١٠)، ١٩٨٦، ص٧٩-٨٥.

- المحيسن، زيدون، "حفريات خربة الذريح لموسم ١٩٩٣"، مجلة أنباء، ع(١٦)، جامعة اليرموك، ١٩٩٤، ص٨-١٢.

- "دراسة في هندسة المياه في البتراء"، مجلة أنباء، جامعة اليرموك، ع(١٥)، ١٩٩٣، ص١١-١٤.

- "حفريات خربة الذريح لموسم ١٩٩٢"، مجلة أنباء، جامعة اليرموك، ع(١٤)، ١٩٩٣، ص٥-٧.

- "خربة الذريح موقع نبطي في وادي اللعبان"، حولية دائرة الآثار العامة، مج(٣٤)، عمان، ١٩٩٠، ص٥-١٣.

- المعاني - سلطان، "في حياة العرب الدينية قبل الاسلام من خلال النقوش"، دراسات تاريخية، دمشق، ع(٤٧، ٤٨)، ص٩٥-١٠٨.

- الهاشمي، رضا جواد، "العرب في ضوء المصادر المسمارية"، مجلة كلية الآداب، ع(٢٢) ن بغداد، جامعة بغداد، ١٩٧٨.

- بلينيوس، "بلاد العرب من تاريخ بلينيوس"، تر: محمود شكري محمد، مجلة المجتمع العلمي العراقي، مج(٣)، ١٩٥٤.

- بيرين، جاكلين، "الفن في منطقة الجزيرة العربية في فترة ما قبل الإسلام"، دراسات يمنية، صنعاء، ع(٢٣)، ١٩٨٦.

- زيادين، فوزي، "حولية دائرة الآثار العامة"، عمان، ع(٢٦)، ١٩٨٨.

- ستاركي، جان، "الحضارة النبطية"، حولية دائرة الآثار العامة، عمان، مج(١٤)، ١٩٦٩، ص٢٦-٢٨.

- "النبط"، تر:محمود العابدي، حولية مديرية الآثار العامة، عمان، ع(١٥)، ١٩٧٠، ص٥-١٣.

- سترابو، "بلاد العرب من جغرافية سترابو"، تر: جبرا ابراهيم جبرا، مجلة المجمع العلمي العراقي، مج(٢)، ١٩٥١.

- عبدالحليم، عبدالمنعم، ؛البخور عصب تجارة البحر الأحمر في العصور القديمة"، مجلة كلية الآداب، جامعة الملك عبدالعزيز، جدة، ١٩٨٢، ص١٥٥-١٥٦.

- علي، جواد، "أصنام الكتابات"، مجلة سومر، مج(٢١)، ج١، بغداد، ١٩٦٧).

- فخري، أحمد، "اتجاهات حديثة في دراسة تاريخ الأنباط"، حولية دائرة الآثار العامة،

عمان، ع(١٧)، ١٩٧٢، ص٥-٢١.

- كاسكل، "الدور السياسي للبدو في التاريخ العربي"، مجلة الخليج العربي، البصرة، مركز دراسات الخليج العربي، مج(٢٠)، ع(١)، ١٩٨٨.

- "لحيان المملكة العربية القديمة"، تر: منذر البكر، مجلة كلية الآداب، البصرة، جامعة البصرة، ع(٥)، السنة الرابعة، ١٩٩١.

- لوندن، "العلاقات الزراعية في سبأ"، تر: أبو بكر السقاف، مجلة دراسات يمنية، صنعاء، ع(٢)، ١٩٧٩.

- مجلي، عبدالمجيد، "أعمال الترميم في معبد قصر البنت ودرج المحكمة في البتراء"، حولية دائرة الآثار العامة، عمان، مج(٢٩)، عمان، ١٩٨٥، ص٢٥-٢٩.

- "مكتشفات خربة التنور، ١٩٣٧"، حولية دائرة الآثار، القدس، ع(٨-٩)، ١٩٦٤.

- نودلمان، ش، "ميسان"، تر: فؤاد جميل، مجلة الأستاذ، بغداد، مج(١٢)، ١٩٦٤.

- هيلي، جون، "الأنباط ومدائن صالح"، مجلة أطلال، الرياض، ع(١٠)، ١٩٨٦، ص١٣٥-١٤٤.

- Al-Muheisen, Z., Les installations hydrauligues dans Le sud de la Jordanie, en particulier a l'ëpoque Nabateenne, Theése de Doctorat, Paris I-panthéon-sorbonne, 1986.

- Amr, Khairieh, The Pottery from Petra A Neutron Actiration Analysis Study, (oxford, BAR, 1987).

- Beeston, A.F.I, A Descriptive Grammar of Epigraphic South Arabian (London, Luzac, 1962).

- Browning, I., Petra. (London, Chatto, 1982).

- BrUnnow, R.E., and Von Domasweski, A. Die Provincia Arabia, 3Vol., (Strassbourg, Karl, J, Trubner, 1904, 1905, 1909).

- Caskel, W., Dis Altarabische Koigreichh Lihjan, (Koln, N.P., 1951).

- Caskel, W., Die Bedeutung der Bduinen inder Geschichte der Araber Koln, 1954.

- Corpus Inscriptionum semiticarum, pars, (11, 349-3233).

- Dalman, G., Pétra und seine Felsheiligtümer, (Leipzing, N.P., 1908).

- Diodorus Siculus, The Library of History. (Leiden, Brill, 1972).

- Ekrem, Akurgal, Die kunst Anatoliens von Homer Bis Alexander, (Berlin, Waltter de Gruyter, 1961).

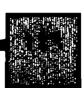
- Evenari,k M., Faire revivre le dësert Expériences d'agriculture en zones arides, ed, Fr., (Zurich, 1974).

- F. Altheim-R. Steihl: Die Araber in der alton welt Bd. 1, (Berlin, DeGrugter, 1966).

- Glueck, N., Deities and Dolphins, The Stody of the Nabataeans, (New York, Staus and Giroux, 1965).

- Glueck, N., Nelson, The Other Side of the Jordan. (Cambridge Massassuchets, ASOR, 1970).

- Glueck, N. Rivers in the desert, (New York, W.. W.Norten, 1959).



- Grohmann, A., Arabic Papyri Frm Hirbet el-Mird, (Louvain, University de Louvain, 1963).

- H. Frankfort, The Art and Architecture of the Ancient Orient, (London, Penguin Books, 1963).

- Hammond, Ph. C., The Nabataeans-Their History, Cluture and Archaelogy, (Gothenburg, N.P. 1973).

- Hansman, J., Charax and the Karkheh Iranica Antiava, Vol, VII, (Leiden, N.P., 1967).

- Hitti, J., Histroy of Arabs. (9th, New York, 1969).

- Josephus, Flavius, Wars of the Jews or the History of the Destruction of Jerusalem, Vol. 11, 1825.

- Kammerer, A., Pétra et la Nabaténe, 2 Vol., (Librairie Drientaliste, Paris, 1929-1930).

- Kennedy, A.C.W., Petra, Its History and Monuments. (London, country life, 1925).

- Lawlor, J., I., The Nabataeans in Historical Perspective, (Michigan, 1974).

- Lindner, M., Der Nabateers een vergeten volk an de dodezee, (Tongeren, Delp., 1971).

- Lindner, M., Petra und das königreich der Nabatàer, (Munich, Delp, 1980).

- Marray, M., A., and Ellis, J., G., A Street in Petra, (London, British School, 1940).

- Meshorer, Y., Nabataean Coins. (Jerusalem, Hebrew University, 1975).

- Murray, M. A., Petra, The Rock City of Edom. (London, N.P., 1939).

- Negev, A., Nabatean Archaeology Today, (New York, New York University Press, 1986).

- Negev, A., Tempel, Kirchen und Zisterne. (Stuttgart, Calwer, 1983).

- Pliny, Natural History, Vol. VIII, (Cambridge, Mass, 1967).

- Rostovtzeff, M., Caravan Cities. (New York, AMS press, 1971).

- Rostovtzeff, M., The Social and Economic History of Hillenistic World. (Oxford, N.P., 1967).



- Rothenberg, B., Turguoiser Copper and Pilgrims, Archaeology of southern sinai, in sinai, ed., B., Rothenberg, Berne, Kummerly Frey, gegraphical Publishers, 1970.

- Rychmans, J., Linstitutation Monarcigue en Arabe Meridionale avant Islam (Louvain, Publications Univesitaires, 1951).

- Schmitt-Korte, K., Nabataean Pottery in pre-Islamic Arabia (Studies in the History of Arabia), 11, 1984.

- Segert, Stanistav, Agrammer of Phoenician and Punic, (Munchen, Verlag C. H. Beck, 1976).

- Starbo, Geography.

- Starcky, J., Pétra et La Nabaténe, Supplément au dictionnaire de La Bible, Vol. VII, 1966, PP. 886-1017.

- W. W., Tarn, Alexander the Greet and the Unity of Mankind, 1933.

- Wellhausen, J., R., Reste Arabischen Heidentums (Berlin, Walter De Gruyter, 1961).

- Weltgesehiehte, Vol. 11, (BERLIN, N.P., 1964).

- Weltgesehiehte, Vol. 111, (Berlin, 1964).

- Winnett, F., V., and keed, W., I., Ancient Kecords from North Arabia. (Toronto, Toronto, VP. 1970).

الدوريات الأجنبية:

- Al-Muheisen, Z., Exemples dínstallations hydrauligues et de technigues dírrigation dans le domaine nabatéen, BAH, CXXXVI, Paris, (1990), PP. 507-513.

- Al-Muheisen, Z., Modes dínstallations agricoles nabateennes dans La region de Petra et dans Le Wadi Arabah, SHAJ, 4, (1992), PP. 215-219.

- Al-Muheisen, Z., and Villeneuve, F., Khirbet edh Dharih, LB., XLIII, (1993), PP. 486-489.

- Al-Muheisen, Z., and Tarrier, D., La Protecetion du site de pétra á Lépogue pogue nabateenne, SHAJ, V., (1995), PP. 721-725.

- Al-Muheisen, Z., and Tarrier, D., Ressourees Naturelles et occubation du dite de petra, SHAJ, 6, (1997), PP. 142-148.

- Glueck, N., Explorations in Eastern Palestine, 11, AASOR, Vol. XV, (1935).

- Glueck, N., AJA, 41/3, (1937).

- Glueck, N., The Early History of a Nabataen Temple (Khirbet et-Tunnur), in BASOR, 69, (1938), PP. 7-8.

- Glueck, N., Exploration in Eatern Palestine, IV, AASOR, XXV-XXVIII, (1951), P. 13.

- Hammond, P.C., The Nabataean Bitumen Industry at the Dead Sea, in BA., 22/2, (1959), PP. 40-48.

- Hammond, Ph., G., Excavations at Petra in (1959), BASOR, 159, (1960), PP. 26-31.

- Hammond, Ph. C, American Expedition to petra. A Preliminary Report,1988, Season, ADAJ, 32, (1988), PP. 189-194.

- Horsfield, G., Sela-Petra, The Rock of Edom and Nabatene, QDAP, IX, (1941), PP. 105-204.

- J, Eadie, Humayma, 1983, The Regional Survey, ADAJ, 28, (1984).

- J.P. Oleson, The Humayma Hydraulic survey Preliinary Report of the 1986 Season, ADAJ, 30 (1986), P. 256-257.

- Khairy, N., Technical Aspects of Fine Nabataean Ware, BASOR, 250, (1983), PP. 17-40.

- Max Dieckhoff, uber Krieg und Frieden im griechisch-romischen, Altertum (Pas Altertum), Bd, 12, (1966), H.I.J. PP. 17-28.

- Meshel, Z. and Tsafrir, Y., The Nabatean Road from Avdat to Shàar-Roman, PEQ. 112, (1974), PP. 103-119.

- Milik, J., T., et starcky, J., Inscriptions récemment découvertes a pétra, ADAJ, Amman, (1975), PP. 120-125.



- Mordtrumann, J., M., Dusares bei Epiphanius, ZDMG., Bd, 29, Berlin, (1876).

- Negev, A., The Chronology of the Middle Nabatean Period", PEQ 101, (1969), PP. 5-14.

- Negev, A., The Nabatean Necropolis of Mampsis (Kuurnub), IEJ, 21, (1971), PP. 110-129.

- Negev, A., Nabatean Capitals from the Towns of the Negev, IEJ, 24, (1974), PP. 153-159.

- Negev, New Dated Graffiti from the sinai, in, IEJ, 17, (1967), PP. 250-255.

- O'Connor, M., The Arabic Loanwords in Nabataean Aramaic", JNES, 45/3, (1986), PP. 213-229.

- Parr, P. Excavations at petra, 1958-1959, PEQ 92, (1960), PP. 125-126.

- Parr, P., and Harding, G.L. and Dayton, J.E., Preliminary survey in North West Arabia in BIA, 8, 9, (1970), P. 213.

- Rosenthal, R., A Nabataean Nose-Ring from in IEJ, 24, (1974), PP. 95-96.

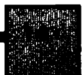
- Starcky, J., Vn., Contrat Nabateenne sur Papyrus, in RB, 61, (1954) 161.

- W.W. Tarn, Ptolomy II and Arabia, JEA, 15, (1929), PP. 9-25.

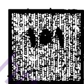
- Walter, W. Muller, Eimsabaishe Gesandtschaft in Ktesiphon and Selenkia, Wiesbaden, NESE, Bd. 2, (1974).

- Wright, G.R.H. The Khazneh at Petra, A Review, ADAJ, 6-7, (1962), PP. 24-54.

- Yadin, Y;., Expedition D. The Cave of the Letters in IEJ, 12/3-4 (1962).

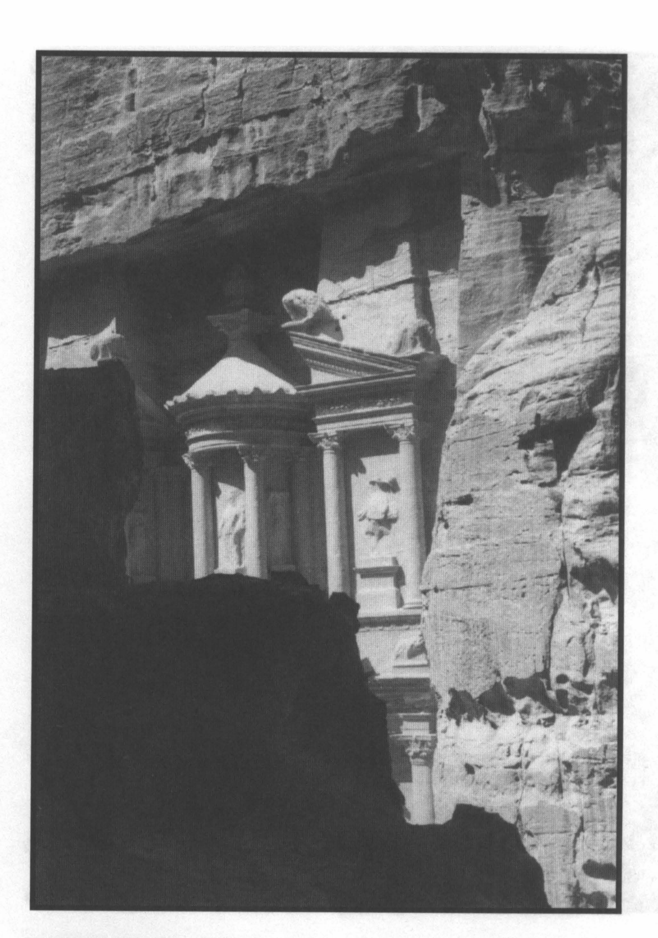


الأشكال



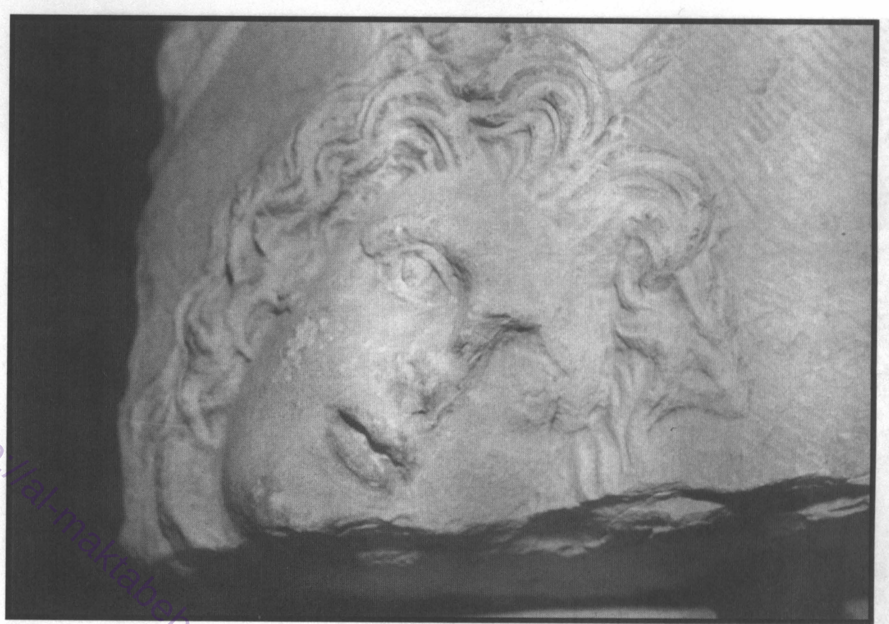
شكل رقم (١)

الواجهة المعمارية الخزنة



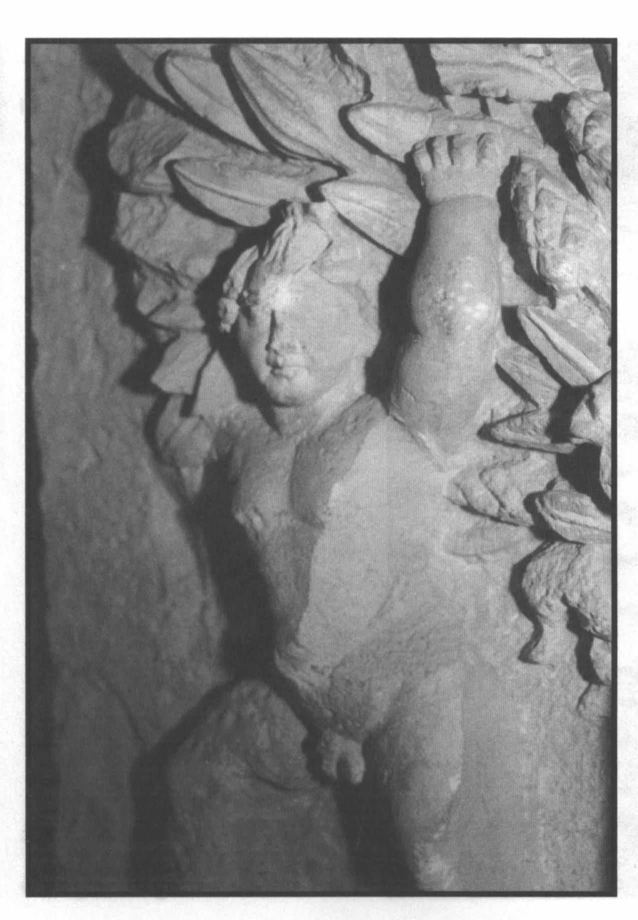
شكل رقم (٢)

منحوتة مادوسـا



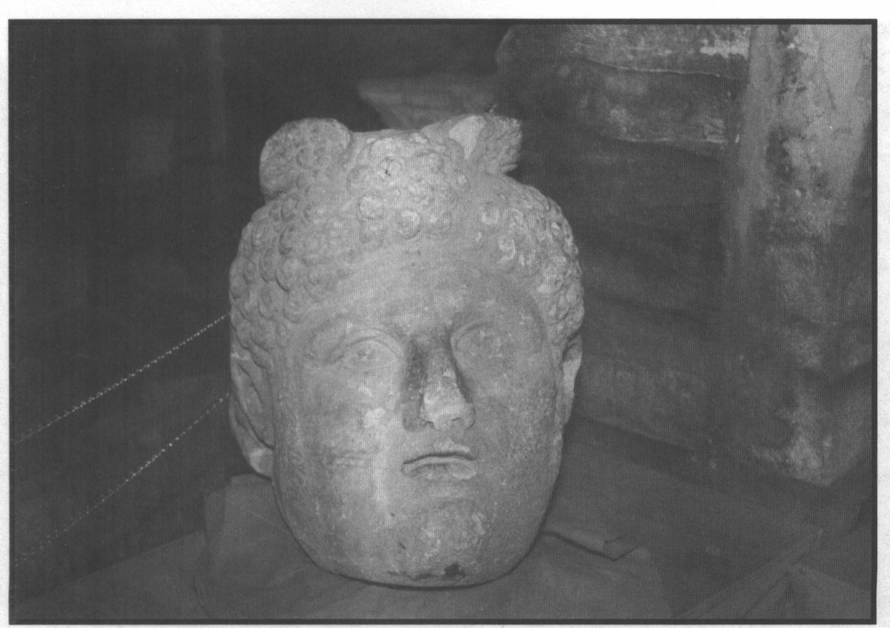
شكل رقم (٣)

EROS يحمل النباتات



شكل رقم (٤)

منحوتة رأس الآلهة هرمس

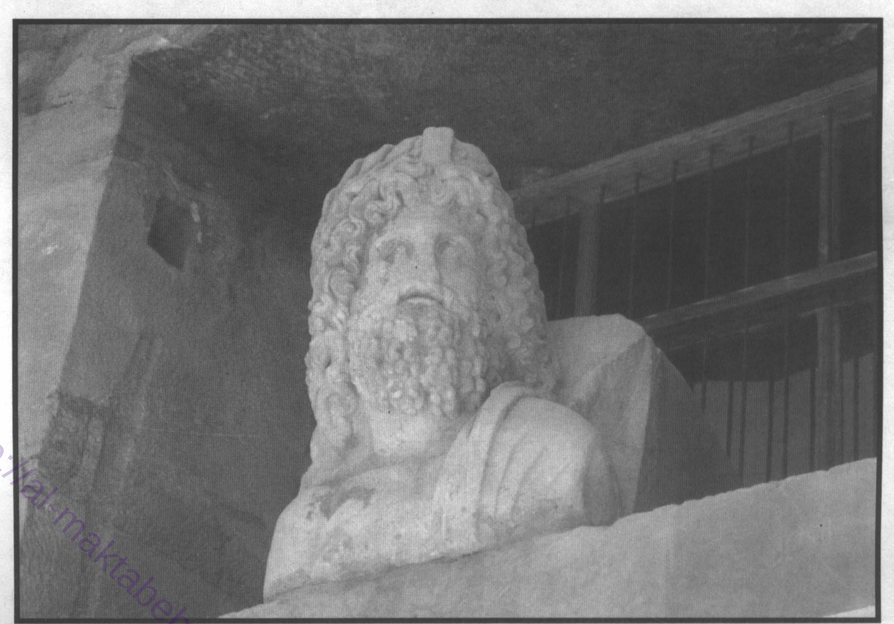


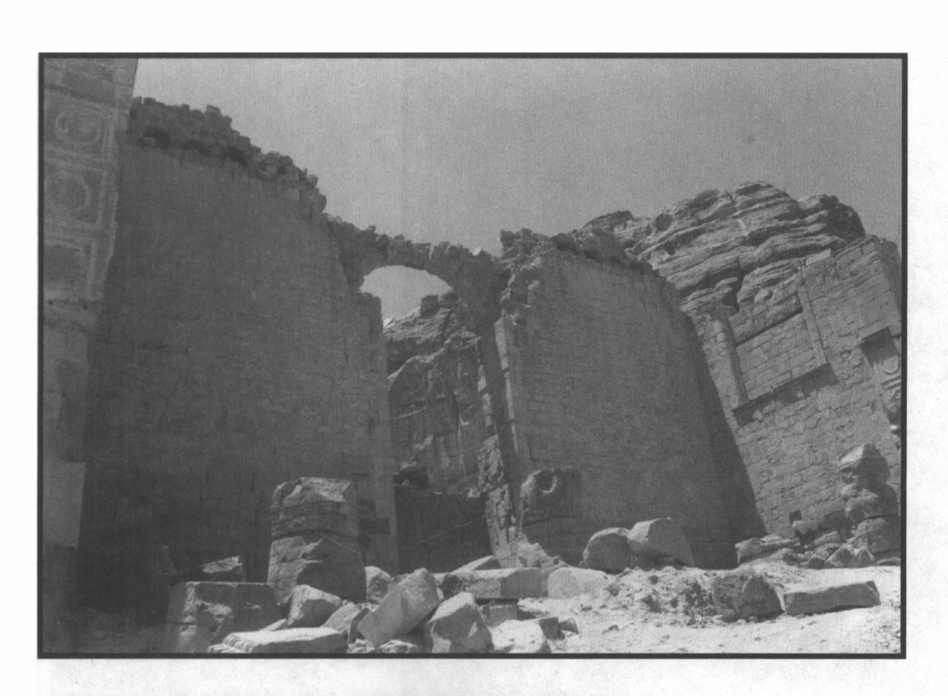
شكل رقم (٥)

الآلهة العزى

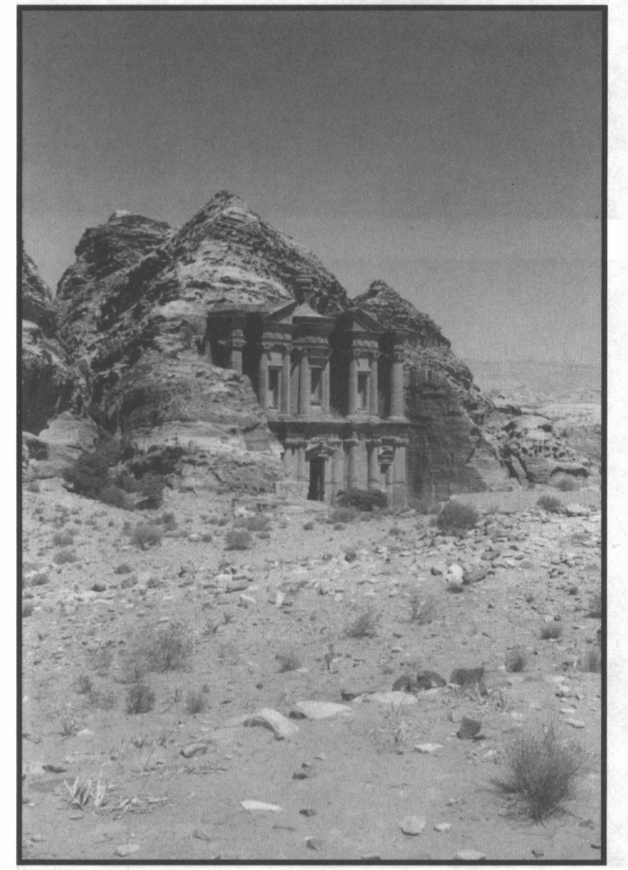
شكل رقم (٦)

الآلهة ذو الشرى

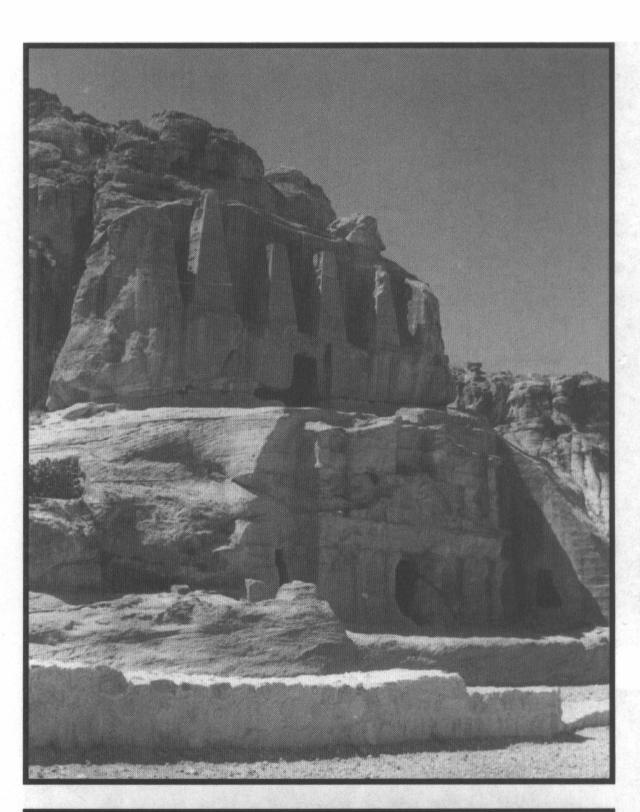




شكل رقم (٧)
المعبد العظيم

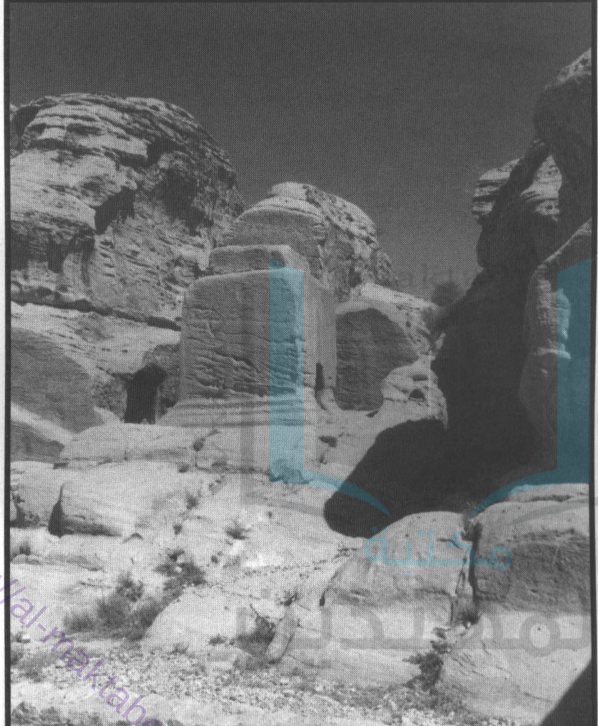


شكل رقم (٨)
الواجهة المعمارية (الدير)



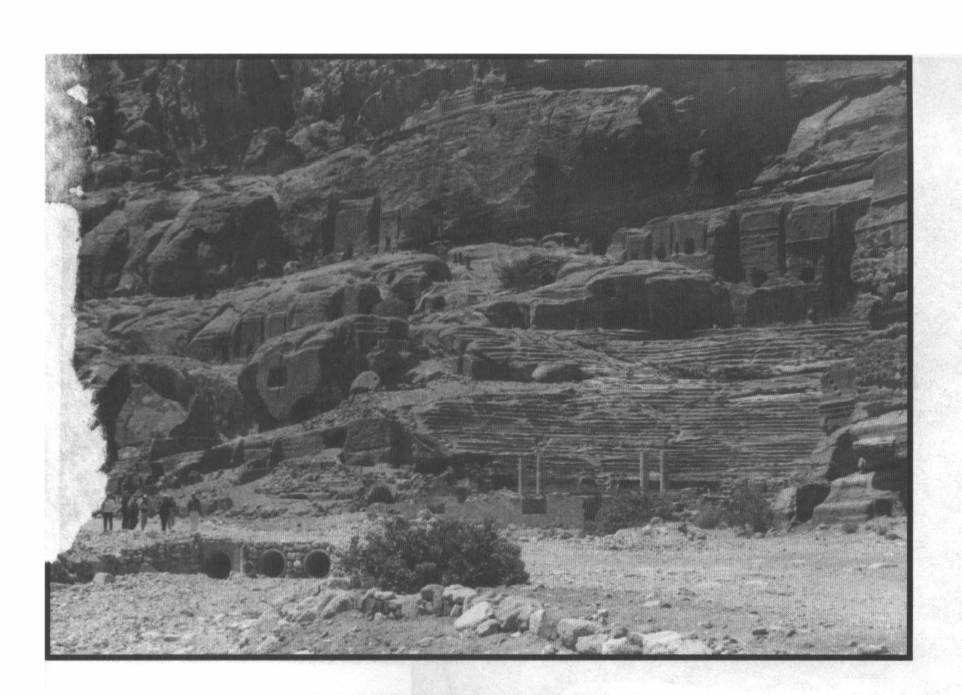
شكل رقم (٩)

قبر المسلات

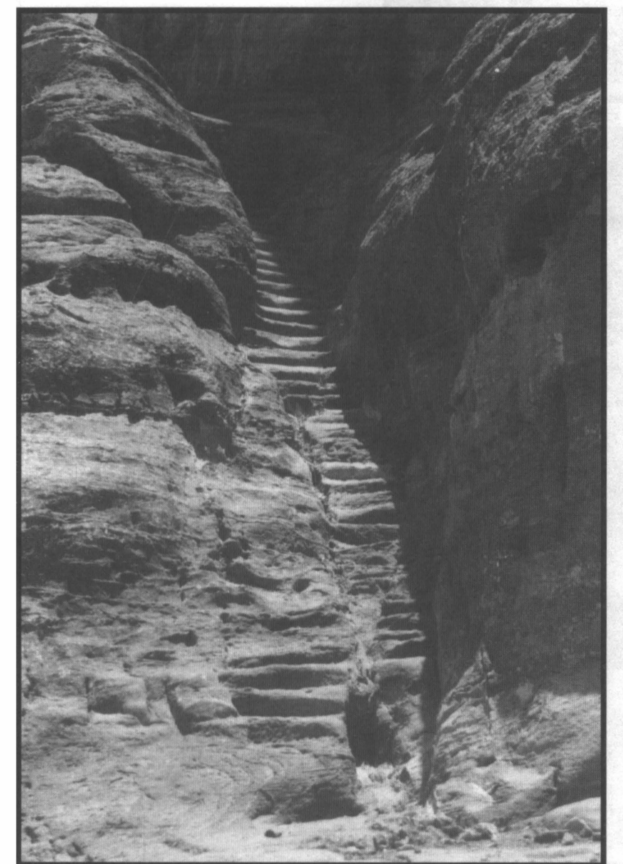


شكل رقم (١٠)

أشكال مبكرة للإله (اللات)



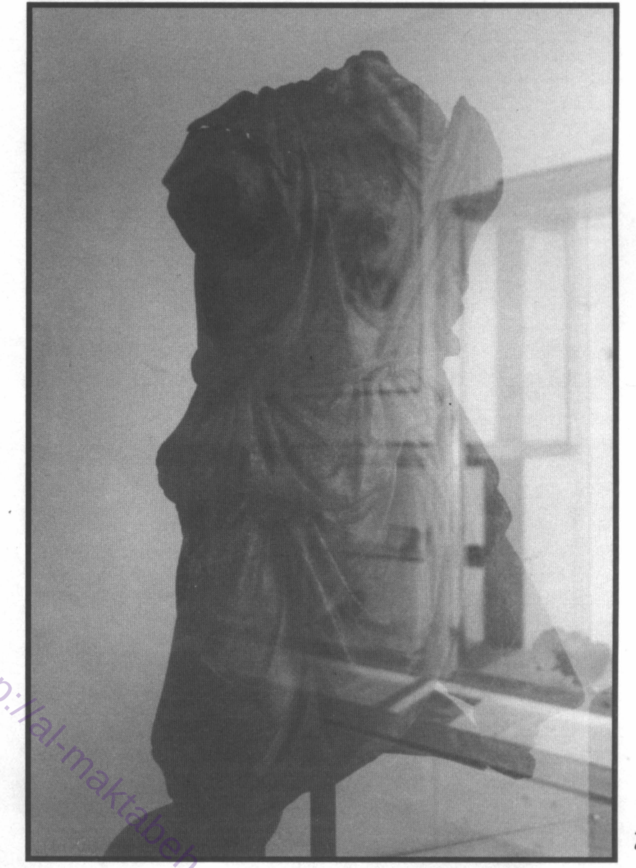
شكل رقم (١١)
المدرج النبطي وسط المدينة



شكل رقم (١٢)
ادراج محفورة في الصخر
تؤدي الى مواقع العبادة

شكل رقم (١٣)

نماذج من الفخار النبطي



شكل رقم (١٤)

نموذج لتمثال يوضح رداء امرأة


مطابع الرأي التجارية
AL-RAI COMMERCIAL PRESS